الجزء الرابع المجلد الثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

شعبان ١٤٢٦هـ

تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٥م

مجلة
مجمع اللغة العربية بدمشق
« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »

ص.ب ٣٢٧

البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي بدءاً من مطلع العام ١٩٩٦م

١٦٠ ليرة سورية في الجمهورية العربية السورية
١٥ دولاراً أمريكياً في البلدان العربية
١٨ دولاراً أمريكياً في البلدان الأجنبية

ترسل المجلة إلى المشترك خارج القطر بالبريد الجوي المسجّل

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

(خطة المجلة)

- إن خطة المجلة التي تلتزمها أن تنشر لكتّابها المقالات التي يخصّونَها بها ويقصرونَها عليها.
- المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها.
- ترتيب المقالات يخضع لاعتبارات فنية.
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة إلى المجلة مطبوعة على الآلة الراقنة، أو على الحاسوب، ويفضل في هذه الحالة أن تشفع المقالة بقرص مرن (ديسك فلوبي) مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- المقالات التي لا تنشر لا تردّ إلى أصحابها.
- يرسل الكاتب الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة، مع مقالته، موجزاً بسيرته العلمية وآثاره وعنوانه.

الجزء الرابع المجلد الثمانون

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلّة المجمع العلمي العربي سابقًا »

شعبان ١٤٢٦هـ

تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٥م

لجنة المجلة

الدكتور شاكر الفحام

الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة

الدكتور محمد إحسان النص

الدكتور عبد الله واثق شهيد

الدكتور محمد زهير البابا

الأستاذ جورج صدّقني

الدكتورة ليلى الصباغ

الدكتور محمود السيد

الدكتور محمد مكي الحسني الجزائري

أمين المجلة

الـــــسيد ســـــامر اليامـــــاني

رأي في تيسير
مبحث الممنوع من الصرف

د. إحسان النص

بحث الممنوع من الصرف من المباحث النحوية التي يجد المتكلمون والكاتبون عسرًا شديدًا في استيعابها والوقوف على قواعدها ومعرفة عللها. فالتساؤل يُطرح أولاً عن العلّة في مخالفة هذه الأسماء في إعرابها سائر أسماء اللغة العربية التي تنصب بالفتحة في مواضع، وبالألف في مواضع أخرى. وترفع بالضمّة أو الواو، وتجرّ بالكسرة أو الياء، تبعًا لاختلاف المواضع.

فما العلّة في مخالفة هذه الأسماء قواعد الإعراب التي تنتظم الأسماء عامة؟ لم يهتد الباحثون إلى معرفة علة هذه المخالفة على وجه اليقين، وللنحاة أقوال كثيرة في علل منع هذه الأسماء من الصرف (أو التنوين) وليس بينها ما يقنع.

والصعوبة الثانية هي في تفطّن المتكلّمين إلى جرّ الممنوع من الصرف بالفتحة نيابة عن الكسرة، فالخطأ كثير في هذا الباب، وقد لا يفطنون إلى صرفه إذا اتصل بأل أو أضيف، فقد سمعنا بعضًا من المتحدثين يقولون: حضرت في المجالسَ.

ونحن ندرج أحوال الممنوع من الصرف ضمن الأحوال الشاذّة في النحو العربي، وليس هذا الشذوذ بدعًا في اللغة العربية وحدها بل نحن واجدوه في أكثر اللغات، ففي الفرنسية مثلاً ثمة أفعال تجري في تصريفها على قواعد مطّردة تنتظم أكثر الأفعال وإلى جانبها أفعال شاذّة تخالف القواعد العامة في تصريف

الأفعال.

والتساؤل الثاني يدور حول العِلل التي يسوقها النحاة في بيان صيغ الأسماء الممنوعة من الصرف، ففي منع صيغة (عُمَر) مثلاً والأسماء التي على شاكلتها يقولون إنها مُنعت من الصرف لعلة العَدْل، فاسم (عُمر) معدول عن (عامر)، وهذا التعليل فيه تكلّف ظاهر.

والصعوبة في تعليم الممنوع من الصرف ناجمة عن عدم قدرة الطُلاّب والمتعلمين على التفريق بين أحوال الأسماء الممنوعة من الصرف وغير الممنوعة منه، كالتفريق بين أنواع ألف الاسم الممدود، فهي تكون أصلية وتكون للتأنيث وتكون للإلحاق وتكون منقلبة عن أصل. فنسمع كثيرًا من المتكلمين والمذيعين يمنعون مثلاً ألفاظًا مثل (أجزاء) و (أنباء) و (أكفاء) و (أخطاء) و (أرزاء) من الصرف فيجرّونها بالفتحة بدلاً من الكسرة، مع أن همزتها أصلية وهي غير ممنوعة من الصرف، ويمنعون من الصرف ألفاظًا مثل أحياء وأجواء وأهواء وأسماء (جمع اسم) وهمزتها منقلبة عن أصل، وهي مصروفة قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياءٌ عند رَبِّهِم يُرزَقون﴾ [آل عمران ١٦٩] وقال تعالى: ﴿إن هي إلاّ أسماءٌ سمَّيتُموها﴾ [النجم ٢٣].

ما السبيل إذًا إلى تيسير تعليم الممنوع من الصرف والحؤول دون التخبّط في تمييز الأسماء الممنوعة من الصرف من سائر الأسماء؟

جعل النحاة الأسماء الممنوعة من الصرف ضربين: أولهما: ما يمنع من الصرف لعلة واحدة، وثانيهما: ما يمنع من الصرف لاجتماع علّتين. ثم فرّقوا في الضرب الثاني بين ما هو علم وما هو صفة.

والممنوع من الصرف لعلة واحدة نوعان: الأول ما لحقت بآخره ألف

التأنيث، مقصورة كانت أو ممدودة، والنوع الثاني ما كان على صيغة منتهى الجموع.

وليس في الممدود الذي تقع في آخره ألف التأنيث المقصورة صعوبة، اسمًا كان كليلى أو صفة كحبلى، إنما الصعوبة في النوع الأول هي في التمييز بين ما زيد في آخره ألف التأنيث الممدودة وبين ما زيدت في آخره ألف ممدودة لغير التأنيث، كأن تكون أصلية مثل ألف أنباء أو منقلبة عن أصل نحو: أجواء جمع جو فهي منقلبة عن الواو أو مثل أحياء فهي منقلبة عن ياء أو تكون للإلحاق مثل علباء، (ولا يمنع من الصرف من الممدود ما كان على ثلاثة أحرف نحو: ماء، وما كان على أربعة أحرف نحو: سماء). وألف التأنيث الممدودة هي أشيع الألِفَات، فهي تأتي في صيغ كثيرة منها: أَفعِلاء كأنبياء، وفُعَلاء مثل أُمَراء، وفَعْلاء مثل صحراء وحسناء، وفِعْلِياء نحو كبرياء وفُعْلَلاء كخُنْفَساء وفُعَيلاء كرُبَيْلاء وغيرها من الصيغ؛ وهي تقع في الأسماء المفردة وفي الجموع. وقد أحصى السيوطي في المزهر طائفة كبيرة منها. وللتسهيل على المتكلمين والطُلاّب نأتي بقاعدة بسيطة وهي أن ما كان من الممدود على وزن (أفعال) من الجموع ليس ممنوعًا من الصرف نحو: أنباء وأبناء وأسماء (جمع اسم)، وأجواء، وأحياء، ولا يستثنى من هذه القاعدة إلاّ لفظ (أشياء) فهو ممنوع من الصرف، وقد ورد في الآية الكريمة: ﴿لاَ تَسْأَلُواْ عَنْ أَشْيَاء إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم﴾[المائدة ١٠١]، وقد أوردنا نماذج من ورود هذه الصيغة في القرآن الكريم ومن أمثلة ما زيد في آخره ألف التأنيث من الممدود قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء﴾ [المائدة ٢٠] وقوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَقُولُ إِنّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء﴾ [البقرة

.[٦٩]

وطبيعي أن تخضع الأسماء الممدودة للقاعدة العامة في صرف الاسم الممنوع من الصرف إذا اتصلت به (أل) أو أضيفت، ومن أمثلة صرف الممدود في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِم﴾ [الأنعام ١٢١].

أمّا المقصور فلا صعوبة في تَعَرُّف الممنوع من الصرف فيه، فكل مقصور منته بألف التأنيث فهو ممنوع من الصرف، اسمًا كان نحو: ليلى وسلمى أو صفة نحو: حُبلى وغضبى، ومفردًا كان كالأمثلة السابقة أو جمعًا نحو: صَرعى وقَتلى وسُكارى وأُسارى، ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾ [الحج ٢].

فإذا كان الاسم المقصور على ثلاثة أحرف لم يمنع من الصرف نحو: فتىً، وعِدًى (جمع عَدُوّ).

والعلّة الثانية المفردة التي تمنع من الصرف هي صيغة منتهى الجموع، وقد لا يدرك المتعلم المراد من عبارة منتهى الجموع، وهو كل جمع تكسير وقع بعد ألف تكسيره حرفان أو ثلاثة أحرف أوسطها ساكن، وللتيسير على المتعلم نقول إن كل جمع تكسير على مثال مَفاعل أو مفاعيل فهو ممنوع من الصرف، مهما يكن وزنه الصرفي، فقد يكون على مفاعل مثل: مساجد ومنابر، أو أفاعل مثل أماجد وأماكن أو فواعل مثل شواعر ولوازم، أو فعالل مثل موادّ ومهامّ (أصلها موادد مهامم) أو على مفاعيل نحو: مصابيح ومفاتيح أو أفاعيل نحو أقاويل أو غيرها من الصيغ. ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا

اسْمُ اللَّهِ﴾ [الحج ٤٠] وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك ٥].

ويحسن أن نلفت النظر هنا إلى أن مثال مفاعل المنقوص يعرب إعراب الاسم المنقوص، فتحذف ياؤه في الجر والرفع وينون ماقبلها، وينصب بالفتحة ولا ينوّن، فنقول: هذه أغانٍ وطربت لسماع أغانٍ، وسمعت أغانيَ.

أمّا ما يحتاج إلى علّتين لمنعه من الصرف فهو على ضربين: أولهما ما كان علَمًا، وثانيهما ما كان صفة.

فالعلَم يمتنع من الصرف إذا اجتمعت معه علة أخرى، والعِلل ستّ أولاها: اجتماع العلمية والعُجمة، والعلم الممنوع من الصرف في هذه الحال نوعان: أحدهما ما زادت أحرفه على ثلاثة نحو: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ولا صعوبة في معرفة هذا النوع إذا تحقَّق المتكلم من عجمة العلَم، وتقع في هذا النوع الأسماء الغربية كلها نحو: جورج ولويس وبرنار، وثمة وجهة نظر تذهب إلى أن من الأسهل نطق هذه الأعلام بصورتها الأجنبية وعدم تحريك أواخرها، وهذا الرأي فيه نظر ويفتقر إلى اتفاق الآراء حوله.

ومن أمثلة هذا النوع في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [البقرة ١٣٦].

والنوع الثاني من أمثلة اجتماع العلَم مع العجمة ما كان على ثلاثة أحرف وهو غير ممنوع من الصرف سواء أكان الاسم ساكن الوسط مثل: نوح ولُوط وهود وسام وكوش أو محرّك الوسط نحو: لَمَك (ابن متوشلخ بن نوح) ومن ورود هذه الأعلام في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً.. وَنُوحاً إِذْ نَادَى﴾ [الأنبياء ٧٤و٧٦].

وهنا أيضًا تعترضنا مشكلة الأسماء الغربية الثلاثية مثل: جاك، وجون وبول ونحوها، فهل ننطقها بإسكان أواخرها على الوقف أم نعاملها كالأسماء الأعجمية القديمة فنصرفها ونقول مثلاً: رأيت جاكًا وجاء جُونٌ، أرى أن في هذا النطق شيئًا من الغرابة والعُسر ولعلَ الأمثل إسكان أواخرها على الوقف.

والعلة الثانية: ماكان على وزنٍ مختص بالفعل أو غالبٍ فيه. نحو: يزيد وأحمد وأيمن ويَغُوث ويَعُوق. ومثاله من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف ٦] وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [نوح ٢٣].

وفي هذا الضرب يقع الخطأ أحيانًا في منع صرف أسماءٍ مثل: حَمَد وكَرَم، فهما على زنة الفعل الماضي فَعَل.

ويتساءل بعضهم لماذا لم يُمنع من الصرف ماكان على وزن فاعل ومفعول وفعِيل ونحوها من المشتقات؟ والجواب عن ذلك أننا وجدنا في كلام العرب أسماءً ممنوعة من الصرف فجرينا على سننهم والتمسنا لمنعها من الصرف عللاً، فوجدنا أن العلة في منع صرف نحو يزيد وأحمد هي مشاكلة الفعل في وزنها، لأن الفعل لا يُنوّن وليس لنا أن ندخل في عداد الممنوع من الصرف غير ماذكره أسلافنا وما وجدناه في القرآن الكريم، وهو مرجعنا الأول في استخلاص قواعد النحو، وما وجدناه في كلام العرب وأشعارهم.

والعلة الثالثة التي تجتمع مع العلمية هي العَدل، أي ما عُدل عن صيغة أخرى، نحو: عُمَر وزُفَر وثُعَل، فهذه الأعلام معدولة في قول النحاة عن: عامر وزافر، وقد أدخل بعض النحاة لفظ ثعَل في عداد المعدول ولكنه ليس بمعدول، وقد ذكر ذلك في لسان العرب، فهو مصروف وهو أبو حيٍّ من أحياء قبيلة

طيّئ. وهذه العلة لا يُدركها المبتدئون من المتكلمين، فالنحاة لم يجدوا ما يعلّلون به منع صرف الأسماء التي على وزن (فُعَل) غير علّة العدل، وهي علّة ضعيفة غير مقنعة، والأمثل أن نكتفي بالقول إن الأسماء التي هي على وزن (فُعَل) ممنوعة من الصرف في كلام العرب ونحن نجري على سننهم، ولا ضرورة لالتماس علّة لهذا النوع من الممنوع من الصرف.

والعلة الرابعة هي زيادة الألف والنون في آخر العلم نحو: عدنان، وعثمان، وقحطان، وغَطفان، وحَيّان، ولا صعوبة في معرفة هذا النوع ولا إشكال فيه، فإذا لم تكن الألف والنون زائدتين لم يمنع العلم من الصرف نحو: حسّان إذا كان أصل هذا الاسم مأخوذًا من حَسُن، وهو الراجح، أما إذا عُدّ أصله حَسَّ فهو ممنوع من الصرف. وقد تجتمع علّتان في بعض الأعلام مثل: عِمران، فقد اجتمع فيه مع العلمية العُجمة وزيادة الألف والنون، ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران٣٣].

والعلة الخامسة مع العلمية هي الاسم المركب تركيبًا مزجيًّا نحو: بعلبكّ ومعديكربَ وحَضْرموتَ ولا صعوبة في معرفته فلا نقف عنده.

والعلة السادسة مع الاسم العلم هي التأنيث، فما جاءت في آخره هاء التأنيث مُنع من الصرف سواء أكان علمًا لمؤنث نحو: فاطمة وعمرة وغزّة (اسم مدينة) وجُدّة (اسم مدينة) أو كان علمًا لمذكّر نحو: طلحة وحمزة.

ويمنع من الصرف أيضًا كل علم مؤنث ولو لم تلحقه تاء التأنيث كزينب وسُعاد،وينطبق هذا على كثير من الأسماء المحدثة المنقولة عن مصادر أو عن غيرها نحو: دَلال وسِهام وسَحاب. ويشترط النحاة أن يكون زائدًا على ثلاثة

أحرف فإن كان على ثلاثة أحرف محرّك الوسط مُنع من الصرف نحو: سَقَر (اسم لجهنم)، و رَفَح (اسم لمدينة) وسَحَر (اسم امرأة)، وإن كان ساكن الوسط أعجميًّا مُنع من الصرف نحو: جُور وصُور (مدينتان) وإن كان عربيًّا جاز فيه الوجهان نحو: هِنْد ودَعْد والمنع أولى. ويحسن تجنبًا لتعقيد القاعدة أن نجعل كل علم مؤنث سواء لحقته التاء أو لم تلحقه ومهما يكن عدد حروفه ممنوعًا من الصرف.

أما أسماء القبائل نحو: تميم وقريش وهُذَيل فلنا أن نمنعها من الصرف إذا لوحظ فيها التأنيث، أو نصرفها إذا لوحظ فيها اسم الرجل الذي تنتمي إليه.

ويلاحظ أن الأعلام المؤنثة المؤلفة من ثلاثة أحرف كثرت في أيامنا كثرة تلفت النظر طلبًا لخفة النطق، والناس لا يراعون أن يكون العلم مشهورًا أو مأخوذًا عن القدماء، بل يختارون ما يعجبهم لفظه، وربما تعمَّدوا مغايرة المألوف الشائع، فيطلقون على بناتهم أسماء منقولة عن أسماء النبات أو مظاهر الطبيعة أو الحيوان أو المصادر أو غير ذلك، وربما لم يعرفوا دلالة هذه الأسماء فيسمّون بناتهم مثلاً بمها ورنا وأمل وقمر وسُها وشذا ومُنى ولمى وسحر وريم ودلع وغيرها كثير، والوجه أن تكون كلها ممنوعة من الصرف.

وما كان على وزن (فَعال) كحذام ورقاش نختار مذهب أهل الحجاز فيه فنجعله مبنيًّا على الكسر ولا نمنعه من الصرف، ومثاله قول الشاعر:

إذا قالت حذامِ فصدّقوها فإن القول ما قالت حذامِ

وللنُّحاة تفصيلات كثيرة في هذه العلة لا طائل وراءها، وبعضها يقوم على افتراضات لا تتحقق في الواقع فيحسن الاستغناء عنها، وكذلك يستغنى

عن علة العلمية وألف الإلحاق المقصورة نحو: عَلَقى وأَرَطى، على افتراض التسمية بها، والأمثل وضعها مع ما يمنع من الصرف من المقصور.

والضرب الثاني مما يمنع من الصرف لاجتماع علّتين هو **الوصف** مع علة أخرى وأنواعه ثلاثة: أولها الوصف وزيادة ألف ونون نحو: سكران وعطشان وغضبان. ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الأعراف ١٥٠]. ويشترط النحاة هنا ألا يكون مؤنثه مختومًا بالهاء (التاء المربوطة)، وهذا القيد لا أراه ضروريًّا لقلّة أمثلته، فيُكتفى بالقاعدة العامة.

والنوع الثاني: الصفة المعدولة ومثالها لفظ (أُخَر)، فهو معدول عن آخِر في قول النحاة، وهنا أيضًا يُفضّل أن يقال: ما كان صفة على وزن (فُعَل) فهو ممنوع من الصرف، ولا حاجة إلى القول بعلّة العدل.

ويدخل في المعدول من الصفات أيضًا أسماء العدد على وزن (فُعال) و (مَفْعَل) نحو: ثُلاث ومَثنى ورُباع، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿منه آياتٌ مُحكَمات هُنّ أمُّ الكتاب وأُخَرُ مُتشابهات﴾ [آل عمران ٧] وقوله تعالى: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء ٣].

والنوع الثالث: الصفة على وزن أفعل نحو: أسود وأحمر، ويشترط النحاة أن تكون الصفة أصلية غير عارضة مثل أسماء العدد إذا استعملت صفات، ويشترطون أيضًا ألا يكون مؤنثها منتهيًا بالهاء نحو: أرمل، فهو غير ممنوع من الصرف لأنه يقال لمؤنثه: أرملة.

ويدخل في هذا النوع أسماء التفضيل على صيغة (أفعَل) نحو: هذا الكتاب

أفضلُ من غيره. ومثال هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام ١٥٢]. وقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [النساء ٨٦].

من مواضع تيسير تعليم النحو
وحلول مقترحة

د. محمود أحمد السيد

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف جوانب من تيسير تعليم النحو وأن نقدِّم عددًا من المقترحات حول هذا الموضوع بعد عرض تلك الجوانب.

أولاً: من مواضع تيسير تعليم النحو:

اتجهت أنظار بعض الباحثين في موضوع تيسير تعليم النحو إلى المادة النحوية نفسها، واتجهت أنظار بعضهم الآخر إلى طريقة التدريس، ورأى آخرون أن التيسير في تعليم النحو إنما يرجع إلى بناء المناهج التعليمية. وفيما يأتي وقفة على هذه الاتجاهات:

١ – المادة النحوية:

لم يكن الإحساس بثقل المادة النحوية على المتعلمين وليد العصر الحاضر، إذ إن هذا الإحساس تزامن مع كثرة الافتراضات والمماحكات والتأويلات والخلافات بين المدارس النحوية، وهذا ما دعا بعضهم إلى الشكوى والتذمر من الشذوذ والاستثناء والتأويل فها هو ذا «**دماذ**» صاحب أبي عبيدة يشكو إلى أبي عثمان بكر المازني شيخ نحاة البصرة في عصره ما لقيه من عنت في موضوع واو المعية وفاء السببية من أن ما بعدهما ينصب بأن مضمرة وجوبًا[1]، وها هو ذا الجاحظ يدعو في إحدى رسائله إلى الاقتصار في تعليم النحو للصبي على

الموضوعات الأساسية التي تؤدي إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ولا يضطر إليه في شيء على حد تعبير الجاحظ.

وثار ابن مضاء القرطبي على النحاة بعد أن هالته كثرة افتراضاتهم وتأويلاتهم، ورأى أن يحذف من النحو كل ما يستغني الإنسان عنه في معرفة نطق العرب بلغتهم، «**فأحوال أواخر الكلام كأحوال أوائله لغوية بسيطة لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم ولا إلى بُعد في التأويل**»(٢).

ومن المحاولات العملية في العصور السابقة محاولة خلف بن حيان الأحمر البصري في رسالته «**مقدمة في النحو**»(٣)، ومحاولة أبي جعفر النحاس النحوي في كتيبه «**التفاحة في النحو**»(٤)، وتشتمل الرسالة كما يشتمل الكتيب على الموضوعات النحوية الأساسية التي يحتاج إليها المتعلم في إصلاح لسانه في كتاب إن كتبه، أو شعر إن أنشده، أو خطبة إن ألقاها، أو رسالة إن ألَّفها، على وفق تعبير خلف نفسه.

وأول محاولة ظهرت في العصر الحديث هي محاولة **الأستاذ إبراهيم مصطفى** في «**إحياء النحو**» عام ١٩٣٧م، إذ إنه كان ثائرًا على النحويين الذين قصروا مباحث النحو على الإعراب والبناء دون أن يبحثوا خصائص الكلام من حيث التقديم والتأخير والنفي والإثبات والتأكيد(٥). ودعت لجنة تيسير قواعد اللغة العربية عام ١٩٣٨م إلى إلغاء الإعراب التقديري والمحلي لعدم فائدته في ضبط لفظ أو تقويم لسان، وأن نجعل المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل في باب واحد أسمته باب «**المسند إليه**»، وأوصت أن يُلغى الضمير المستتر جوازًا ووجوبًا(٦).

ومن محاولات التيسير في القرن العشرين محاولة مؤتمر مفتشي اللغة العربية عام ١٩٥٧م في القاهرة، الذي رأى أن الكلام العربي كله مكوَّن من جمل ومكملات وأساليب، وأن لكل جملة ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه، وأما التكملة فهي كل لفظ يضيف إلى معنى الجملة الأساسية معنى يُكمله، وأما الأساليب فهي تعبيرات خاصة نطق بها العرب على الصورة التي وصلت إلينا، نحفظها ونقيس عليها(٧)؛ وشقت هذه الدعوة طريقها إلى المناهج التربوية إبان الوحدة بين سورية ومصر، وكانت ثمة عودة عنها بعد الانفصال، فعادت المناهج التربوية في سورية إلى اعتماد مصطلحات الفاعل والمبتدأ ونائب الفاعل والخبر على النحو الذي كان سائدًا قبل الوحدة.

ورَمَتْ محاولة تيسير تعليم اللغة العربية التي ظهرت في الجزائر عام ١٩٧٦م بإشراف اتحاد المجامع اللغوية العربية إلى الاقتصار من المادة النحوية ما أمكن على ما يستعمله الطلاب في حياتهم، والإبقاء على الإعراب التقديري والمحلي دون تعليل، ودراسة بعض التراكيب النحوية دون تعرض لإعرابها التفصيلي كصيغ القسم والتعجب والتحذير والإغراء... وترك دراسة القواعد التي تُستعمل نادرًا كالتنازع والاشتغال، والإبقاء على تسمية المبتدأ بعد إن وأخواتها فيُقال مبتدأ إن منصوب(٨).

وفي الثمانينيات ظهرت محاولة الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في كتابه «**تجديد النحو**» وقد اعتمد ستة أسس للتجديد منها إعادة تنسيق أبواب النحو وحذف ثمانية عشر بابًا من أبوابه، والأبواب المحذوفة هي (باب كان وأخواتها)، (باب ما ولا ولات العاملات عمل ليس)، (باب كاد وأخواتها)، (باب ظن وأخواتها)، (باب أعلم وأخواتها)، (باب التنازع، باب الاشتغال)، (باب الصفة المشبهة، باب اسم التفضيل، باب التعجب، باب أفعال المدح والذم، كنايات

العدد، الاختصاص، التحذير، الإغراء، الاستغاثة، الندبة).

ومن الأسس المعتمدة إلغاء الإعرابين التقديري والمحلي والإعراب لصحة النطق، فليس ثمة داع لمبحث لاسيما، مادام ما بعدها يكون مرفوعًا أو منصوبًا أو مجرورًا، ولا لإعراب كم الاستفهامية وكم الخبرية.

ومن الأسس التي اعتمدها **الدكتور شوقي ضيف** في تجديد النحو حذف زوائد كثيرة من مثل حذف اسم التفضيل وشروط فعل التعجب وقواعد اسم الآلة وشروط صيغ التصغير وحذف قواعد النسب، وحذف شروط الحال وأحكامها وحذف عمل المصدر...إلخ.

أما الأبواب التي أضافها فهي باب التقديم والتأخير، وأضاف مبحثًا في حروف الزيادة وتوسَّع في بيان عمل المصدر والمشتقات عمل الفعل[٩].

ذلك هو جانب من محاولات تيسير تعليم النحو في عصرنا الحديث، والسؤال الذي يمثل: هل شقت هذه المحاولات طريقها إلى المناهج التربوية؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن المحاولة التي شقت طريقها إلى المناهج التربوية هي محاولة مؤتمر مفتشي اللغة العربية، إذ إن المناهج في عصر الوحدة بين سورية ومصر طبَّقت ما جاء في هذه المحاولة من اعتماد المسند والمسند إليه والتكملة والأساليب. أما بقية المحاولات فقد بقيت توصياتها دون تنفيذ، كمحاولة تيسير تعليم اللغة العربية في الجزائر في السبعينيات ومحاولة **الدكتور شوقي ضيف** في الثمانينيات.

ويرجع السبب إلى أن الإنسان يألف ما ينشأ عليه، وثمة صعوبة في تقبُّل التغيير فضلاً عن الحرص على إبقاء الصرح الذي خلَّفه لنا الآباء والأجداد على النحو الذي ورد عليه دون مساس به.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها أصحاب هذه المحاولات بقي التذمّر

من صعوبة القواعد النحوية قائمًا، وبقي ضعف الطلبة في اكتساب المهارات مستمرًا.

وتساءل المربّون: لم لا يُطبّق طلبتنا القواعد النحوية تطبيقًا سليمًا في الوقت الذي يطبقون فيه القوانين الفيزيائية والرياضيات بكل سهولة ودون مشقة؟

أليست الصعوبات التي نشكو منها قديمة؟ وكان من أشد الأصوات ارتفاعًا صوت المرحوم **الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين** عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ورئيس جامعة عين شمس سابقًا إذ يقول:

«**وكنت أحسب أن ذلك الضعف مرجعه إلى ما في قواعد اللغة من تعقيد وبُعد عن أسلوب التفكير الحديث، وكثرة ما فيها من تأويل وحذف وتقدير وتعليل لما لا يحتاج إلى تعليل... على أن ما نشهده اليوم من ضعف بالغ في العلم باللغة العربية لا يمكن أن نُرجعه إلى هذه الصعوبات، فهي قديمة أما الجهل باللغة إلى الحد الذي نشكو منه اليوم فهو ظاهرة حديثة وسببها من غير شك الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية**»[١٠]، إذ إنه يرى أنَّ الطريقة الفضلى في تعليم قواعد اللغة العربية إنما هي الطريقة القديمة التي كانت سائدة في مطلع القرن العشرين وهي الطريقة القياسية. فما الطرائق الجديدة في تعليم قواعد اللغة العربية؟

٢- طرائق تدريس القواعد:

ثمة ثلاث طرائق لتدريس القواعد النحوية، الطريقة الأولى هي الطريقة القياسية، وكانت سائدة في مطلع القرن الماضي، والأساس الذي تقوم عليه ذكر القاعدة أولاً أو المبدأ العام ثم تُوضَّح القاعدة بالأمثلة ليجيء التطبيق على القاعدة أخيرًا، وأُلِّفت الكتب النحوية التعليمية وفق هذه الطريقة ككتاب «**قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية**» لحفني ناصف وآخرين وكتاب

«**النحو الوافي**» لعباس حسن[١١].

ويرى أنصار هذه الطريقة أنها سهلة، وسريعة في الأداء، وتؤدي إلى استقامة لسان المتعلم. أما معارضوها فيرون أن مفاجأة المتعلم بالقاعدة قد تكون سببًا في الصعوبة ومن ثمّ الصعوبة في التطبيق، وأنها لا تراعي المبدأ التربوي في الانتقال من السهل إلى الصعب، وأنها تُضعف في المتعلم القدرة على الاستنتاج والابتكار، لاعتمادها على التلقين في حفظ القواعد واستظهارها.

وبسبب هذه السلبيات عدل عن هذه الطريقة إلى الطريقة الاستقرائية التي وضع أسسها المربي الألماني يوحنا فردريك هربارت، والتي تعتمد على عدة خطوات هي: المقدمة والعرض والربط والقاعدة والتطبيق، كما تعتمد على أن يكتشف المتعلمون القاعدة بأنفسهم من خلال الأمثلة التي يضعها المدرِّس أمامهم، وبطريق الاستقراء يتوصلون إلى القاعدة ليجيء التطبيق عليها، ولقد أُلِّف كتاب «**النحو الواضح**» لعلي الجارم ومصطفى أمين على هذا الأساس[١٢].

ورأى أنصار هذه الطريقة أن طريقتهم هي خير معين لتحقيق أهداف القواعد النحوية، إذ إنها تُوصل إلى الحكم والقاعدة بالتدريج بطريق الاستقراء؛ وهذا ما يجعل القاعدة راسخة في الذهن، وغير مُعرَّضة للنسيان بسبب الجهد المبذول في الوصول إليها، وهذه الطريقة تحرك الدوافع وتستثيرها لدى المتعلمين، إلا أن خصومها يرون أنها تعمل على تشتيت ذهن المتعلم، لأن الأمثلة مستمدة من وديان متعددة ولا يربط بينها أي رابط، ثم إنها بطيئة وتستغرق وقتًا طويلاً حتى يصل المتعلم إلى القاعدة، والقواعد لا تُكتسب إلا بالتطبيق، إلا أن حصة

التطبيق قليلة.

واتجهت الأنظار إلى الطريقة المتكاملة التي يُمهد لدرس القواعد فيها من خلال نص متكامل شعري أو نثري يدور حول فكرة واحدة، ومن خلال الأساليب المتصلة لا الأساليب الملتقطة، ويُراد بالأساليب المتصلة قطعة من القراءة في موضوع واحد أو نص من النصوص يقرؤه المتعلمون ويفهمون معناه، ثم يُشار إلى الجمل وما فيها من خصائص ويعقُّب ذلك استنباط القاعدة منها، ثم يجيء التطبيق على القاعدة.

ويرى أنصار هذه الطريقة أنها هي الفضلى في تحقيق الأهداف لأنها تعتمد أول ما تعتمد على المران المستمد من الاستعمال الصحيح للغة في مجالاتها الحيوية كافة، وفي مواقفها الطبيعية. أما خصومها فيرون أن النصوص التي يُقدَّم بها للقاعدة في الكتب المدرسية إنما تدور حول المسائل القومية والوطنية وذكر الفضائل، وتاريخ عظماء العرب، وهذا يصرف ذهن المتعلم عن القاعدة إلى تفهم المعنى، ثم إن الوقوف على معاني النص والانتقال بعد ذلك إلى الأمثلة ومن ثم إلى القاعدة يستغرق وقتًا طويلاً ويجعل نصيب التطبيق على القاعدة قليلاً فلا تتكون المهارات لدى المتعلم(١٣).

وعلى الرغم من التعديلات التي طرأت على طرائق تدريس القواعد لا تزال المشكلة قائمة، ولا يزال المتعلمون يرتكبون الخطأ في تعبيراتهم الكتابية والشفاهية وفي قراءتهم، وهذا ما وجَّه الأنظار مجددًا إلى أن السبب يرجع إلى بناء المناهج النحوية وتأليف كتبها.

٣- بناء المناهج النحوية:

رأى المربّون أن بناء المناهج لا يكون بالاعتماد على مصدر واحد، إذ إن الاعتماد على المادة النحوية نفسها دون أن نأخذ المتعلم من حيث حاجاته

وميوله وقدراته، ودون أن نأخذ المجتمع الذي يتفاعل معه المتعلم بالحسبان، يعد عملاً مبتورًا، ومن هنا كان بناء المناهج الحديثة يجري بتحديد أساسيات المادة النحوية تحديدًا علميًّا، ثم يُختار من هذه الأساسيات أكثرها فائدة للمتعلم من حيث مساعدته على الإسهام في سدِّ حاجاته الشخصية والمجتمعية، ومواجهة مشكلات حياته الخاصة وإشباع حاجاته وتنمية ميوله، ثم تُهيأ الظروف والإمكانات المدرسية المناسبة لتحقيق الأهداف التي وُضعت هذه المناهج من أجلها.

ولقد جرى تحديد أساسيات المادة النحوية من وجهة نظر الخبراء والمتخصصين، وتم تحليل القوالب اللغوية للمتعلمين في تعبيراتهم الشفاهية والكتابية بغية الوقوف على الموضوعات النحوية التي يستخدمها المتعلمون، كما تم تحليل القوالب اللغوية في جميع ميادين المعرفة بغية الوقوف على الموضوعات النحوية الوظيفية التي يستخدمها الكتَّاب في المجلات والصحف والكتب في مختلف المجالات، وتم أيضًا تعرُّف الأخطاء التي يرتكبها المتعلمون في تعبيراتهم وتعرُّف الصعوبات اللغوية التي يواجهها العاملون في قطاعات المجتمع.

وهذه النظرة الشاملة لا تجد في تعدّد المصادر التي ينبغي أخذها بالحسبان جملة عند وضع المنهج بعثرةً للجهود، وإنما تجد فيه نسقًا متصلاً يُكمل بعضه بعضه الآخر، وبنيانًا متراصًّا يساند بعضه بعضه الآخر.

وهذه الأسس في بناء المناهج النحوية يتمّم كل منها الآخر، والاعتماد على واحد منها دون الأخذ في الحسبان الأساسين الآخرين عمل غير مكتمل، فالاعتماد على الأساسيات وحدها دون النظر إلى متطلبات الحياة ومطالب المتعلم يعني أن ثمة عودة إلى المناهج التقليدية التي تقتصر فيها العناية على المادة

على أنها وسيلة وغاية، وقد يكون بعض هذه الأساسيات غير لازم للمتعلم، ولا يحتاج إليه في حياته ويصبح بذلك مفروضًا عليه تعلمه، كما أن الاعتماد على المطالب اللغوية للمتعلم دون النظر إلى أساسيات المادة أو مطالب المجتمع يُعد عملاً مبتورًا، إذ قد تكون هناك ثغرات وقد تكون محدودة وضيقة، ولا تكفي وحدها في تزويد المتعلم بما يساعده في الحياة الاجتماعية.

كما أن الاعتماد على متطلبات المجتمع دون الأخذ بالحسبان مستوى المتعلم وأساسيات المادة يُعد عملاً تعسفيًّا، لأنه لا يقوم على واقع المتعلمين أنفسهم وقد يفرض عليهم موضوعات ربما لا يؤهلهم مستوى نضجهم لتقبُّلها، وهذا يؤدي إلى بعثرة الجهود.

ومن هنا اتجهت التربية الحديثة إلى الأخذ بالنظرة الشمولية المتكاملة لهذه الأسس في وحدة عضوية متسقة(١٤).

إلا أن مشكلة ضعف المتعلمين في اكتساب المهارات النحوية لا تزال قائمة على الرغم من الجهود التي بُذلت في تيسير المادة النحوية وفي تيسير طرائق تدريسها، وفي تيسير بناء مناهجها، ويبقى السؤال قائمًا: ما السبل التي ينبغي لنا أن نسلكها أو يجدر بنا أن نسلكها تحقيقًا للأهداف المرسومة لتعليم القواعد النحوية في عصمة اللسان والقلم من الغلط؟

هذا ما سنحاول تعرفه في القسم الثاني من هذا البحث.

ثانيًا – حلول مقترحة:

من الحلول المقترحة للارتقاء بواقع تعليم النحو ومساعدة المتعلمين على اكتساب مهاراته:

١– الإبقاء على المصطلحات النحوية التي خلَّفها لنا أجدادنا القدامى،

وما من لغة في العالم إلا لها قواعدها ومصطلحاتها، وإن كل تيسير لتعليم النحو لابد أن يأخذ بالحسبان الإبقاء على استخدام المصطلحات مادامت موحدة وموحدة في مناهجنا التربوية على نطاق الساحة العربية في منأى عن الاجتهادات التي تؤدي إلى البلبلة وعدم الاتفاق حولها.

٢– التدرج في عملية اكتساب المهارات النحوية، وأقترح أن يُركَّز في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، وفي مرحلة الرياض قبلها على استخدام القوالب اللغوية من غير الدخول في المصطلحات النحوية كالتدريب على التطابق في استعمال كل من اسم الإشارة والاسم الموصول والضمير وحالات الإفراد والتثنية والجمع وفي التذكير والتأنيث، والتدريب على إسناد الفعل إلى الضمائر، والتدريب على مواقف الاستفهام...إلخ، ومع النمو الفكري للناشئة في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي تُقدم المصطلحات النحوية والتطبيق عليها؛ وفي المرحلة الثانوية يكون ثمة تعزيز للمهارات المكتسبة في الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي.

٣– الإكثار من حفظ النصوص في المراحل الأولى شعرية كانت أو نثرية، حتى تكون هذه النصوص رصيدًا لغويًا للمتعلمين في المرحلة التالية، وعلى قدر حفظ النصوص يستقيم اللسان ويؤثِّر في صحة القلم بعد ذلك في التعبيرات الكتابية وفي ممارسة المناشط اللغوية، على أن تضبط الكتب كافة في المراحل الأولى بالشكل، وضبط ما يخشى منه اللبس في المراحل التالية.

٤– الابتعاد عن مواضع الشذوذ والاستثناء، والتركيز على الموضوعات النحوية الوظيفية التي تخدم المتعلم في حياته وتسدُّ حاجاته، وتسهِّل له عملية التفاعل الاجتماعي بحيث يقرأ قراءةً سليمة، ويكتب بأسلوب سليم، ويستمع

فيفهم ويتحدث على وجهٍ صحيح، فينقل رسالته بوضوح إلى الآخرين.

ومن الموضوعات النحوية الوظيفية التي تُستعمل في الحياة وتواتراتها عالية في الاستخدام: الإفراد والتثنية والجمع، الاسم الموصول، أسماء الإشارة، الضمائر، الفعل والفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر، اسم إن وخبرها، اسم كان وخبرها، اتصال إن وأخواتها بـ«ما»، كسر همزة إن وفتحها، المفعول به، المفعول المطلق، المفعول لأجله، المفعول فيه، الحال، التمييز، العدد، المضاف إليه، المجرور بالحرف، حذف نون المثنى وجمع المذكر السالم عند الإضافة، حذف ياء المنقوص، أدوات الاستفهام، أدوات الشرط الجازمة، أدوات الشرط غير الجازمة، أسلوب النفي، أسلوب الاختصاص، أسلوب النداء، أسلوب التعجب، المجرد والمزيد، المصدر المؤول، الأسماء الخمسة، التوابع، الممنوع من الصرف. والاقتصار في الموضوعات النحوية الفرعية على ما يُستخدم في الحياة واستبعاد ما لا يُستعمل، على أن يُترك للمتخصصين فيما بعد، فنقتصر على البدل المطابق ومن حروف الجزم على «**لم، لام الأمر، لا الناهية**»، وذكر «**لا**» النافية للجنس بين أخوات إن و«أما» بين أدوات الشرط غير الجازمة، وتوكيد الضمير بين فروع التوكيد لاستعمالها في الحياة...إلخ.

٥- التركيز في التدريبات العلاجية وفي التمرينات التي تشتمل عليها الكتب على مكامن الخطأ في أساليب المتعلمين، وخاصة تلك التي تتسرب إلى أساليبهم الفصيحة من العامية مثل إسناد الفعل المعتل إلى الضمائر، الأمر المعتل الوسط، إفراد الفعل أمام الفاعل المثنى والجمع، تأنيث الفعل وتذكيره، الأفعال الخمسة في الرفع والنصب والجزم، إسناد الفعل إلى نون النسوة والتركيز على الاسم الصريح إفرادًا وتثنية وجمعًا وفي حالات الرفع والنصب والجر وذلك في المباحث التي تشتمل على

الاسم الصريح مثل الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر، اسم إن وخبرها، اسم كان وخبرها، المجرور بالحرف، المضاف إليه، المفعول به، الحال، النعت، البدل، التوكيد، المعطوف، الأسماء الخمسة...إلخ(١٥).

ومن الواضح أن الاسم الصريح يكون مفردًا أو مثنى أو جمع مذكر سالمًا، أو جمع مؤنث سالمًا أو جمع تكسير أو اسمًا موصولاً أو اسم إشارة أو اسمًا من الأسماء الخمسة(١٥).

والمتعلمون تكثُر الأخطاء لديهم في الاسم الصريح كما في المفعول به والنعت وخبر المبتدأ أو خبر كان وخبر إن والحال والفاعل وذلك في حالة الإفراد وجمع التكسير بتأثير العامية في الفصيحة، فالعامية تميل إلى التسكين في الكلمات وعدم تنوينها، وقد انتقل ذلك إلى الفصيحة في استخدامات المتعلمين، وهذا التفسير ينطبق على التمييز والمفعول لأجله والمفعول المطلق أيضًا.

والخطأ في بحث الضمير يقع في التطابق مع المثنى أو جمع الإناث أو جمع الذكور ونسبة الخطأ في حال التثنية وجمع الإناث مرتفعة، ويُفسَّر السبب في ارتفاع نسبة التواتر في هاتين الحالتين بتسرب أحكام العامية إلى الفصيحة، ففي العامية انتفت حالة التثنية وجمع الإناث وحلَّت محلها حالة جمع الذكور، وفي بحث الأسماء الخمسة تفوق نسبة الخطأ في حال النصب غيرها من الحالات، ويُفسر السبب بتأثير العامية أيضًا، فالمتعلمون عندما يستخدمون الأسماء الخمسة فإنهم يستخدمونها في حالة الرفع في الأعم الأغلب على غرار ما هو متَّبع في العامية.

والخطأ في الفعل المضارع في الحالة التي يكون فيها مرفوعًا بثبوت النون يكون مرتفعًا، وفي الحالة التي يكون فيها مبنيًا لاتصاله بنون النسوة، ومردُّ ذلك إلى تأثير

العامية في الفصيحة، ففي حال إسناد الفعل المضارع إلى واو الجماعة أو ألف الاثنين أو ياء المؤنثة المخاطبة لا يضع المتعلمون النون بعد الواو أو الألف أو الياء حسبما هو مستخدم في العامية، وفي حال إسناد الفعل المضارع إلى نون النسوة يضعون مكانها واو الجماعة دون النون على غرار ما هو مستخدم في العامية، وكذلك الأمر في حالة الفعل الماضي لدى إسناده إلى نون النسوة.

أما في الحالة التي يكون فيها الماضي معتل الآخر ويُسند إلى الضمير فنادرًا ما تُرد الألف إلى أصلها، وإنما يُوضع الفعل على حاله المستخدمة في العامية أيضًا، فالفعل دعا لدى إسناده إلى ضمير المتكلم يقول دعيت بدلاً من دعوت.

والخطأ في فعل الأمر في الحالات التي يكون فيها معتل الآخر أو مبنيًا على حذف النون أو معتل الوسط، وتبرز في اعتلال الوسط أساليب العامية أيضًا، ففي العامية نقول قوم وقول بدلاً من قم وقل.

ومن تأثيرات العامية أيضًا استخدام الفعل في حالة الإفراد أمام الفاعل المثنى أو الجمع، إذ إن المتعلمين يستخدمون الفعل في حالة الجمع مع الفاعل الجمع أو المثنى ولا يستخدمون الفعل في حالة الإفراد أمام الفاعل المثنى أو الجمع، فيقولون قاموا الولدين وقاموا البنات وراحوا الأولاد.

٦- التركيز على اكتساب المهارات النحوية، والمهارات لا تكتسب إلا بالممارسة والتكرار وبصورة طبيعية، في مواقف حياتية متنوعة وذلك بدلاً من التكرار الآلي الببغائي، إذ لا يكفي أن يحفظ المتعلم القاعدة النحوية وأن يُعيدها تكرارًا آليًا، بل لابد أن يمارسها في مواقف الحياة بصورة طبيعية، وكان «**ابن خلدون**» في تراثنا العربي قد أشار إلى أهمية التكرار في تكوين الملكات وفق تعبيره، إذ يرى «أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصفات، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن

المعاني، وجودتها وقصورها بحسب إتمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات وإنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة الخاصة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التآليف التي يطبق الكلام على مقتضى الحال بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة، والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة، ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفةً راسخة»(١٦).

وهذا المنحى الذي يُشير إليه ابن خلدون في اكتساب المهارة النحوية كان قد طبقه عمليًّا «بلييايف» في جامعة موسكو إذ إنه فرَّق بين المعرفة والمهارة والعادة، ورأى أن الوصول إلى العادة يستلزم تكوين المهارة التي تُمارس باستمرار فتتحول إلى عادة وهذا هو منهج ابن خلدون في تكوين الملكة اللغوية.

بيد أن اكتساب المهارة يستلزم إضافة إلى التكرار المستمر، توافر القدوة الحسنة من المعلمين والتعزيز والتوجيه لأداء المتعلمين في الوقت نفسه، وتوافر البيئة اللغوية النقية والسليمة.

٧– استخدام التقنيات التربوية في توضيح المفاهيم وفي التدريبات من البطاقات المكبَّرة والملصقات الشجرية للاستعمال الصفي، والبطاقات المصغرة للتعلم الفردي، واستخدام المختبرات اللغوية والحواسيب لإجراء التدريبات العلاجية والتمرينات البنيوية.

٨– ضرورة استخدام جميع معلمي المواد اللغةَ العربيةَ الميسّرة في عمليات التواصل اللغوي، واستبعاد العامية من المناشط اللغوية كافة، وحث المتعلمين على ضرورة استخدام العربية الفصيحة في مناشطهم أسئلةً وإجاباتٍ وتعقيباتٍ

ومساءلتهم عن عدم الاستخدام.

٩- الحُؤول دون استخدام العامية في جميع البرامج الإذاعية والتلفزية الموجَّهة للأطفال وفي غيرها من البرامج أيضًا، تعزيزًا للمهارات المكتسبة في المدرسة، وتنقية البيئة اللغوية المحيطة بالمتعلمين من لافتات وإعلانات في الباحات والشوارع وعلى واجهات المحال التجارية من التلوث اللغوي، ذلك لأن الحرص على الصحة اللغوية والسلامة فيها يساعد على اكتساب المهارات اللغوية السليمة.

١٠- إخضاع المتسابقين في مسابقات انتقاء المدرِّسين والمرَّشحين للترقية من المعلِّمين القائمين على رأس عملهم، والمتقدمين إلى الوظائف بوجه عام، والإعلام بوجه خاص، والطلاب الملتحقين بالجامعات لاختبارات لغوية تقيس مدى تمكّنهم من أساسيات لغتهم، وهذا الإجراء يدفع إلى الاهتمام باللغة وامتلاك أساسياتها في عملية التواصل اللغوي، إذ لا يكفي فقط الإلمام باللغة الأجنبية والمعلوماتية، وإنما يجيء في رأس الأولويات امتلاك أساسيات اللغة القومية.

مراجع البحث

١- ابن مضاء القرطبي - الرد على النحاة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٧م.

٢- المرجع السابق.

٣- خلف بن حيان الأحمر البصري - مقدمة في النحو — طبعة إحياء التراث القديم - وزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٦١م ص ٣٣.

٤– أبو جعفر النحاس النحوي – التفاحة في النحو – تحقيق كوركيس عواد – المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٩٦٦م.

٥– إبراهيم مصطفى – إحياء النحو – لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٥١م.

٦– وزارة المعارف المصرية – تقرير لجنة تيسير قواعد اللغة العربية – ١٩٣٨م مكتبة وزارة التربية والتعليم، علوم عربية – نحو (٢١٦).

٧– الاتجاهات الحديثة في النحو العربي، مجموعة المحاضرات التي أُلقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية ١٩٥٧م – مطبعة دار المعارف – مصر – القاهرة – ١٩٥٨م.

٨– اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية – سجل ندوة الجزائر ١٩٧٦م – تيسير تعليم اللغة العربية القاهرة ١٩٧٧م.

٩– الدكتور شوقي ضيف – تجديد النحو – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٢م.

١٠– الدكتور محمد كامل حسين – المذكرة عن الطريقة الحديثة في تعليم النحو – وزارة التربية والتعليم بالقاهرة ١٩٦٦م.

١١– حفني ناصيف وآخرون – قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية – المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٢٥م.

١٢– علي الجارم ومصطفى أمين – النحو الواضح – دار المعارف في مصر – عدة طبعات.

١٣– الدكتور محمود أحمد السيد – في طرائق تدريس اللغة العربية – جامعة دمشق ١٩٩٤م — نقلاً عن «دراسة مقارنة بين طرائق تدريس قواعد اللغة العربية» رسالة ماجستير للمؤلف نفسه جامعة عين شمس ١٩٦٩م.

١٤– الدكتور محمود أحمد السيد – أسس اختيار موضوعات القواعد النحوية في منهج تعليم اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية – رسالة دكتوراه جامعة عين شمس – القاهرة ١٩٧٢م.

١٥– الدكتور محمود أحمد السيد – تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — تونس ١٩٨٧م.

١٦– ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان – الطبعة الرابعة.

دراسة وتحقيق حول فاء السببيّة
ووجوه استعمالها

د. سيّد علي فلاورجاني

- ١ -

مقدمة:

إنّ للأدوات سواء العاملة منها وغير العاملة، دورًا بارزًا في تبيين المعنى وفي إعراب الجمل، وربط كلٍّ بالأخرى لانعقاد كلام كامل مفيد لمعنى يصحّ السكوت عليه؛ فالحروف وإن حدّدت بأنّها تدلّ على معنى في غيرها (الرضي، شرح الكافية، ج١ ص٢٨) ويجب أن ينضّم إلى أحد قَسِيْمَيها أو كليهما فهي لا تقلّ أهميّة منهما؛ فإنّ الجمل في إفادتها المعانيَ المختلفة وفي ربط بعضها ببعض بحاجة ماسّة إلى الحروف، ولولاها لاختلَّ معناها؛ لذلك يجب التدقيق في معانيها ومواضع استعمالها، وفيما تزيد إلى الكلام من معنى وتكسوه من أسلوب. ومن أهمّ حروف المعاني حروف العطف، التي بها يستغني الكاتب أو المتكلّم عن تكرار العامل، إذا كان العطف من نوع عطف المفرد على المفرد، وبها ترتبط الجمل إذا كان العطف من نوع عطف الجملة على الجملة. ومن أهمّ حروف العطف تداولاً في الكتابة والخطابة هي الواو والفاء وثمّ وحتّى التي تشرّك بين التابع والمتبوع لفظًا ومعنى (الأشموني، ج٢، ص٤١٥).

ولما كانت الفاء من بينها تستخدم في الكلام لأغراض هامّة تحتاج إلى إمعان النظر فيها وكشف النقاب عنها، اعتزمتُ على عرض هذا البحث

عسى أن ينجلي به بعض الجوانب الغامضة من هذه الكلمة الأحاديّة(*) التي تعطي الكلام وجوهًا من المعنى؛ فنبدأ بالكلام على أقسام الفاء، ثمّ نتفحّص عن «فاء السببيّة» بين هذه الأقسام، والدور الذي توفيه في إفادة بعض الأساليب النحْويّة كما يلي:

وجوه الفاء:

ذكر النحويّون للفاء ثلاثة وجوه (الإربلّي، ص٦٥):

الأوّل: أن تكون عاطفة؛ وهي على قسمين: أ. العاطفة مفردًا على مفرد؛ وتفيد:

١– اشتراك المعطوف عليه والمعطوف في الإعراب والحكم؛ نحو: جاء زيد فعمرو؛ فإنّ الفاء تدلّ على أنّ «زيد» و«عمرو» مشتركان في حكم المجيء وفي إعراب الرفع على الفاعليّة.

٢– الترتيب؛ أي وقوع الحكم المنسوب إلى المعطوف بعد الحكم المنسوب إلى المعطوف عليه؛ وهو على قسمين:

أ. إذا دخلت الفاء على الأسماء الجامدة فالترتيب في ملابسة المعطوف لمدلول عامل المعطوف عليه ففي المثال المذكور آنفًا تدلّ الفاء على أنّ مجيء عمرو، وهو الحكم المشترك بين المتعاطفين، وقع بعد مجيء زيد.

ب. إذا دخلت على الصفات المتتالية والموصوف واحد فالترتيب في تحقّق مصادر تلك الصفات؛ نحو: جاء زيد الآكل فالنائم. فالفاء تدلّ على أنّ النوم تحقّق لزيد بعد الأكل. وإذا دخلت على الصفات المتتالية والموصوف

(*) [الفاء – ومثلها بقية حروف المعجم – تؤنَّث على نية (كلمة)، وتذكَّر على نية (حرف) ومعنى كلمة أحادية: أي مكوّنة من حرف واحد؛ لأن الكلمة: اسم وفعل وحرف/ المجلة].

مختلف فالترتيب في تعلّق مدلول العامل لموصوفاتها كما في الجوامد (رضي الدين شرح الكافية، ج٤ ص٢٠٧)؛ وفيها إمّا بيان لما بين الصفات من التفاوت؛ نحو: «خذ الأكمل فالأفضل» وإمّا بيان لما بين الموصوفات من التفاوت؛ نحو: «رحم الله المحلّقين فالمقصّرين [ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب الباب ١، حرف الفاء ص ٢١٦]».

٣- التعقيب، وهو في كلّ شيء بحسبه؛ فتارة يعني ذلك ملابسة المعطوف لحكم المعطوف عليه بدون مهلة وتراخ؛ نحو المثال المتقدّم (جاء زيد فعمرو) إذا وقع مجيء عمرو بعد مجيء زيد بلا تراخ ومهلة. وتارة يعني ملابسته بدون تراخ عمّا يتطلّبه وقوع حكم المعطوف عليه من المهلة؛ نحو: «دخلت البصرة فبغداد» إذا لم تُقِم في البصرة ولا بين البلدين (ابن هشام، المرجع نفسه، ص ٢١٦).

ب. العاطفة جملة على جملة وتفيد:

١- التشريك بين الجملة المعطوف عليها والجملة المعطوفة في الموقع الإعرابي دون الحكم والإسناد؛ لأنّ الجملة لا تقع محكومًا عليها ولا مسندًا إليها في رأي أكثر النحويّين (ابن هشام الأنصاري، المرجع نفسه، الباب الثاني، ص٥٥٩).

٢- الترتيب، وهو إمّا ترتيب معنوي كما في عطف المفرد على المفرد؛ نحو: «توضّأت فصلّيت»، وإمّا ترتيب ذكري؛ وهذا في عطف مفصّل على مجمل؛ نحو: قوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء؛ ٤، ١٥٣].

٣- التعقيب؛ وهو في كلّ شيء بحسبه؛ فتارة يعني ذلك وقوع مضمون الجملة المعطوفة بعد مضمون الجملة المعطوف عليها بدون مهلة وتراخ كما في

عطف المفرد على المفرد؛ نحو قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ...﴾ [الذاريات؛ ٥١، ٢٦– ٢٧]. فإنّ الفاء في قرّبه تفيد وقوع مضمون جملة «قرّبه» عقب وقوع مضمون جملة «جاء بعجل». وتارة يعني وقوع مضمون جملة المعطوف بدون تراخ عمّا يتطلّبه وقوع مضمون الجملة المعطوفة من المهلة؛ نحو: «تزوّج فلان فَوُلِد له» إذا لم يكن بينهما إلاّ مدّة الحمل. (ابن هشام الأنصاري، المرجع نفسه، الباب الأوّل، ص ٢١٤).

الثاني: (من أوجه الفاء) أن تكون رابطة للجواب؛ وهي التي تدخل على جواب يمتنع جعله شرطًا، وهو الجملة الاسمية والفعليّة التي فعلها جامد أو إنشاء أو ماض لفظًا ومعنى، أو ماض مقرون بقد، أو مضارع مقرون بحرف استقبال أو بحرف له الصدر (الأزهري، خالد، ج٢ ص٢٤٩)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ﴾ [الأنعام؛ ٦: ١٧]. وتدخل أيضًا على خبر المبتدأ الذي يكون موصولاً وخبره مسبّب عمّا في صلته من السبب، وعلى خبر ما يشابه الموصول بصوره المذكورة في المراجع النحويّة (الصبّان، ج٢، ص٣٤٨) و(ابن مالك، شرح التسهيل، ج١ ص٣١٢)؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا...﴾ [النساء؛ ٤: ١٦].

الثالث: (من أوجه الفاء) أن تكون زائدة؛ وهو مختلف فيه، فسيبويه لا يثبته، والأخفش يجيزه مطلقًا، وقيّد الفرّاء الجواز بكون الخبر أمرًا أو نهيًا؛ نحو:﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ [ص؛ ٣٨:٥٧]؛ فعلى رأيه يكون «فليذوقوه» خبر، والفاء زائدة على الخبر. والمانعون يعتبرون «حميم» خبرًا وجملة «فليذوقوه» معترضة بينهما (ابن هشام الأنصاري المرجع نفسه، ص٢٢٠).

وبعد هذا الموجز حول وجوه الفاء مستخرجة من طيّات كتب النحو حان

الوقت لأن نبحث عن فاء السببيّة بين هذه الوجوه وننظر، أهي وجه غير تلك الوجوه أم داخلة في أحدها؛ وإليك الآن تفصيل البحث:

لفاء السببيّة وجهان من الاستعمال: وجه عامّ ووجه خاصّ؛ ففي وجهها العامّ هي التي يستدلّ على أنّ ما بعدها مسبّب عمّا قبلها؛ وبهذا المعنى تشمل العاطفة جملة على جملة تكون الجملة المعطوفة مسبّبة عن الجملة المعطوف عليها، وتشمل أيضًا فاء الرابطة، وبوجه عامّ كلّ فاء ضمّنت معنى السببيّة. وفي وجهها الخاصّ هي التي تدخل على الفعل المضارع الواقع في جواب نفي أو طلب من الأمر والنهي والتمنّي والعرض والتحضيض (الأشموني، ج٢، ص٥٤٦)، و(الفاكهي، ج١ ص١٦٢– ١٦٧). فنبدأ أوّلاً بالبحث حول فاء السببيّة في استعمالها العامّ، ثمّ يأتي البحث عنها في استعمالها الخاصّ إن شاء الله تعالى:

أ. حكم فاء السببيّة في استعمالها العامّ: أشرنا آنفًا أنّ معنى السببيّة يوجد ضمن استعمالها في العطف وفي جواب الشرط؛ أمّا دلالتها على السببيّة في جواب الشرط فقد استقصى النحاة البحث عنه، وشرحوه وبيّنوه (السيوطي، البهجة المرضيّة، ص١٩٢) و(الأشموني، ج٣ ص٥٨٧)، و(ابن مالك، شرح التسهيل، ج١، ص٣١٢). وأمّا دلالتها على السببيّة ضمن استعمالها في العطف فهي أمر يبدو أنّه بحاجة إلى البحث والتفصيل.

والكاتب يحاول بعون الله تعالى أن يكشف النقاب عن بعض أساليب نحويّة تفيدها فاء السببيّة العاطفة جملة على جملة؛ وأمّا الفاء العاطفة مفردًا على مفرد فهي تفيد الترتيب والتعقيب، ولم يذكر النحاة أنّها تفيد السببيّة؛ بل على العكس قيّدوا العاطفة المفيدة للسببيّة بعطف الجملة على الجملة ممّا يدلّ على أنّها لا تفيد السببيّة إلاّ إذا عطفت جملة على جملة (ابن مالك، شرح التسهيل، ج٣،

ص٢١٠) و(الرضي، شرح الكافية، ج٤، ص٦٧). وهو كذلك؛ وممّا يقرّب قولهم إلى الصحّة أنّ العامل في المعطوف عليه هو العامل في المعطوف، وقد أغنى حرف العطف عن تكراره، ولا يجوز أن يكون العامل الواحد تارة سببًا؛ وهذا عند دخوله على المعطوف عليه، وتارة مسبَّبًا، وذلك عند دخوله على المعطوف؛ ولذلك لا يفهم السامع في عُرف التخاطب من قولك «جاء زيد فعمرو» إلاّ مجيء الثاني بعد الأوّل بلا تراخ وتأخير، ولا يُفهم منه سببيّة مجيء زيد لعمرو؛ أما إذا كرّر المتكلّم العامل وساق الكلام مساق عطف الجملة على الجملة، وقال: «جاء زيد فجاء عمرو» فإنّ السامع يفهم منه سببيّة مجيء الأوّل للثاني؛ وكذلك تحتمل الفاء معنى السببيّة إذا عطفت وصفًا على وصف يكون مسبّبًا عن الوصف الأوّل؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل؛ ٣٥: ٢٧]؛ فقد عطف «ناظرة» على «مرسلة» – وهما وصفان مشتقّان – بالفاء التي تفيد سببيّة وصف الإرسال المعطوف عليه لوصف النظر المعطوف.

فتبيّن بذلك أنّ الفاء العاطفة جملة على جملة أو وصفًا على وصف أحيانًا تفيد معنى السببيّة، وهذا كلّ ما ذكره النحاة حول فاء العاطفة جملة على جملة، مشيرين إلى معنى السببيّة فيها، دون أن يفصّلوا القول فيما يؤول إليه الجملتان اللتان يتوسّطهما الفاء العاطفة السببيّة؛ وهذا هو الأمر الذي نريد تفصيله وكشف اللثام عنه في السطور التالية:

الأساليب النحويّة التي تفيدها فاء العاطفة السببيّة حسب توسّطها بين أنواع الجمل:

١– إذا وقعت الفاء العاطفة السببية بين الجملتين الخبريّتين المبدوّتين بالمضارع وكان ما قبلها سببًا لما بعدها فهي ترادف وتفيد معنى «إنْ» الشرطيّة؛

والجملة المقدّمة عليها بمنزلة الشرط والجملة الواقعة بعدها بمنزلة الجزاء؛ نحو: «يقوم زيد فيغضب عمرو» فإنّ هذا الكلام مساو لقولك: «إن يقم زيد يغضب عمرو»؛ ومنه قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِؤُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ [الأعلى؛ ٨٧: ٦] فإنّ هذا الكلام مساو من جهة أصل المعنى لقولك: «إن نقرئك فلا تنسى» أو «إذا أقرأناك فلا تنسى»؛ فإنّ إقراء الله سبحانه سبب لعدم عروض النسيان على النبيّ ﷺ؛ وعلى هذا تصير الجملة المعطوف عليها بالفاء والمعطوفة بها بمنزلة كلام واحد يُغني وجود الرابط في إحداها عن وجود الرابط في الأخرى، إذا وقعتا موقع ما يحتاج إلى الرابط من صلة أو صفة أو خبر أو حال؛ نحو: «الذي إن يَطر يغضب زيد الذباب» فإنّ الجملة المعطوف عليها مشتملة على ضمير الوصول ومغنية عن لزوم الضمير في الجملة المعطوفة؛ لأنّ فاء السببيّة جعلت الجملتين بمنزلة كلام واحد، وبمثابة: «الذي إن يطر يغضب زيد الذباب»، ولو كان بدل الفاء الواو لكانت كلّ من الجملتين بحاجة إلى الضمير لترتبط بالموصول؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى ما ذكر ممّا يحتاج إلى العائد. (ابن مالك، التسهيل، ج٣، ص٢١٢) و(الرضي، شرح الكافية، ج٤، ص٤١٦).

٢– إذا وقعت الفاء العاطفة السببيّة بين الجملتين الخبريّتين الماضويّتين وكان ما قبلها أيضًا سببًا لما بعدها كما في الأسلوب الأوّل، فهي ترادف وتفيد معنى «لما» الشرطيّة الظرفيّة؛ نحو: «اجتهد سعيد في دروسه فنجح في الامتحان»؛ فإنّ هذا الكلام مساو لقولك: «لما اجتهد سعيد في دروسه نجح في الامتحان»، ومنه قوله تعالى: ﴿..وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ...﴾ [البقرة؛ ٢: ٢٢] فإنّ هذا الكلام من جهة أصل المعنى دون النظر إلى الوجوه البلاغيّة مساو لقولك «لما أنزل من السماء ماء أخرج به من الثمرات رزقًا لكم».

وهذا الأسلوب يوجد بكثرة في الكلام المعجز وفي الكلام الفصيح؛ منه أيضًا قوله تعالى في: (البقرة؛ ٢: ٣٧، وهود؛ ١١؛ ٦٧، والكهف؛ ١٥: ٥، والقصص؛ ٢٨: ١٥، وص؛ ٣٨: ٢٥ وغيرها).

٣- إذا وقعت الفاء العاطفة السببيّة بين الجملتين المختلفتين بالخبريّة والإنشائيّة، وكان ما قبلها جملة خبريّة وما بعدها جملة إنشائيّة، وكان ما قبلها سببًا لتحقّق مضمون ما بعدها؛ فهذه الفاء موضع خلاف بين النحويّين من جهة الاستعمال، وإن كانت غير مختلف فيها من جهة المعنى؛ فالذين يقولون بجواز عطف الإنشاء على الخبر لا يشترطون اتّحاد المتعاطفين من جهة الخبريّة والإنشائيّة، فقياس قولهم جواز اعتبار الفاء عاطفة؛ فلابأس بأن يُقال في مثل: [إنّ زيدًا فاضل فأكرمه] «إنّ فاء السببيّة في مثل هذا الأسلوب أيضًا عاطفة كالأسلوبين السابقين، فقد عطفت جملة «أكرمه» الإنشائيّة على الجملة الخبريّة «إنّ زيدًا فاضل» عَطْفَ الخبريّة على الإنشائية. وأمّا الذين لا يُجيزون عطف الإنشاء على الخبر فاعتبار الفاء عاطفة موضع إشكال عندهم؛ يقول ابن هشام في نهاية البحث عن الفاء الزائدة (مغني اللبيب، الباب ١، حرف الفاء، ص٢٢١): «الفاء في نحو: [خرجت فإذا الأسد، زائدة لازمة عند الفارسي وعاطفة عند مبرمان وأبي الفتح، وللسببيّة المحضة كفاء الجواب عند أبي إسحاق، ويجب عندي أن يحمل على ذلك [أي السببيّة المحضة] مثل ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر؛ ١٠٨: ١و ٢]، ونحو: [إيتني فإنّي أكرمك]؛ إذ لا يعطف الإنشاء على الخبر ولا العكس، ولا يحسن إسقاطها ليسهل دعوى زيادتها».فتلاحظون أنّ ابن هشام انتبه إلى المشكلة؛ حيث قال: إنّ اعتبار الفاء عاطفة في الآية يُوقعنا في مشكلة عطف الخبر على الإنشاء، واعتبارها زائدة

يستلزم دعوى حُسن إسقاطها، وهو غير حسن في مثل هذه المواضع، فيجب في زعمه أن تحمل الفاء على السببيّة المحضة. ولكن هل فيما اقترحه من حمل الفاء على السببيّة المحضة حلّ لهذه المشكلة؟. الحقيقة أنّ اقتراحه لا يحلّ المشكلة؛ لأنّا لا نشكّ في أنّ الفاء في مثل هذا الأسلوب للسببيّة، إنّما المشكلة في وجه استعمالها؛ ولا تخلو الفاء على ما ذكره هو نفسه من أحد الأوجه الثلاثة، وهي كونها للعطف ولربط الجواب بالشرط أو بشبه الشرط. (ابن هشام المرجع نفسه، ص ٢١٣– ٢١٩)؛ فقد ردّ أن تكون الفاء في مثل الآية المذكورة عاطفة كما ردّ أن تكون زائدة، فبقي أن تكون رابطة؛ فهل يجوز أن تكون رابطة في مثل هذا الأسلوب؟؛ نقول في الجواب نعم، وبكل تأكيد، ولا مانع من حمل الفاء على أنّها رابطة؛ على أن تُنَزَّل جملة السبب قبلها منزلة الشرط أو دالّة على الشرط المحذوف، والجملة الإنشائيّة بعدها جواب لذلك المنزّل منزلة الشرط أو الشرط المحذوف؛ فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ...﴾ [الكوثر؛ ١٠٨: ١و ٢]، من حيث الأسلوب في تأويل «إن كنّا قد أعطيناك الكوثر فصلّ لربّك؛ ويقوّي هذا التأويل وأنّ الفاء في مثل هذه المواضع رابطة ما قد أشار إليه الزمخشري (الكشّاف، ج٣، ص٢١٠) ذيل الآية ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت؛ ٢٩: ٥٦]؛ يقول: «فإن قلت: ما معنى الفاء في﴿ فاعبدون﴾ وتقديم المفعول؟ قلت: الفاء جواب شرط محذوف؛ لأنّ المعنى: إنّ أرضي واسعة، فإن لم تُخْلِصوا العبادة لي في أرض فأخلصوها في غيرها، ثمّ عوّض من حذفه تقديم المفعول مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص»؛ ولو كان ابن هشام قد لاحظ كلام الزمخشري هذا لصرّح بأنّ الفاء في الآية ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ...﴾ هي فاء الرابطة ولم يسمّها فاء السببيّة المحضة.

٤– إذا وقعت الفاء العاطفة السببيّة بين الجملتين المختلفتين بالخبريّة والإنشائيّة، وكان ما قبلها جملة إنشائيّة وما بعدها جملة خبريّة – عكس الأسلوب السابق ، وكان ما بعدها سببًا لتحقّق مضمون ما قبلها؛ وبعبارة أخرى تبادلت الجملتان في الأسلوب السابق مكانهما في هذا الأسلوب مثل قولك: «أكرم زيدًا فإنّه فاضل» فما معنى هذا الفاء وما هو حكمها؟.

أمّا معناها فهو بقرينة تبادل مكان السبب والمسبّب عكس معناها في الأسلوب السابق، أي إنّها تفيد سببيّة مدخولها لما قبلها ولذلك يقول الرضي (شرح الكافية، ج٤، ص٤١٢): «وكثيرًا ما تكون فاء السببيّة بمعنى لام السببيّة، وذلك إذا كان ما بعدها سببًا لما قبلها...».

أمّا حكمها فهو أمر يحتاج إلى شيء من البحث والتفصيل كما يلي:

إذا قلنا بجواز عطف الخبر على الإنشاء عكس الحالة السابقة فالفاء هذه تُعتبر عاطفة، عطفت جملة خبريّة على جملة إنشائيّة، وهي كما ذكرنا تفيد سببيّة ما بعدها لما قبلها؛ ولهذا تسمّى فاء التعليلية؛ فالسببيَّة والمسببيّة معنى يُستفاد من سياق الكلام ومن مضمون الجملتين المتعاطفتين، والفاء تُفيد ربط كلّ من الجملتين بالأخرى. وإذا لم نقل بجواز عطف الخبر على الإنشاء فلا تخلو من أن تكون رابطة أو زائدة أو استئنافيّة (إذا قلنا بجواز مجيء الفاء في موضع الاستئناف [ابن هشام، مغني اللبيب، الباب ١ حرف الفاء، ص٢٢٢]؛ أمّا كونها رابطة فأمر ممتنع البتة؛ لأنّ فاء الرابطة تربط ما هو جواب أو جزاء للشرط أو ما يشابه الشرط بالشرط، والأمر في هذا الأسلوب معكوس؛ لأنّ ما بعد الفاء مُنَزَّل منزلة الشرط. فبقي أن تكون إمّا استئنافيّة – لا استئنافًا نحويًّا بل استئنافًا بيانيًّا؛ لأنّ هذا الموضع من مواضع شبه كمال الاتّصال (التفتازاني، مختصر المعاني، ص١٠٢)؛ لأنّ ما بعد الفاء في الحقيقة جواب عن سؤال مقدّر؛

فجملة «فإنّه فاضل» في قولك «أكرم زيدًا فإنه فاضل» جواب عن سؤال هو «لماذا أكرم زيدًا» – وإمّا زائدة للتأكيد؛ لأنّ قولك «أكرم زيدًا فإنّه فاضل» يساوي من جهة إفادة معنى التعليل قولك «أكرم زيدًا إنّه فاضل»، و«أكرم زيدًا لأنّه فاضل» لأنّ سياق الكلام سياق التعليل؛ ولذلك يجيز النحاة (ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك، ج١، ص٢٧٥) قراءة «أنّ» «بالكسر والفتح في موضع التعليل؛ منه قوله تعالى: ﴿...وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ..﴾ [التوبة؛ ١٠٣:٩]. ويمكن أن يُقال: «إنّ ما بعد الفاء على تقدير كونها استئنافيّة أو زائدة بمنزلة شرط محذوف الجواب، وما قبلها قرينة على الجواب المحذوف على قول البصريّين؛ أو هو نفسه الجواب على قول الكوفيّين؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ﴾ [البقرة؛ ٢١٧:٢] أي إن استطاعوا فلا يزالون يقاتلونكم، (الأزهري خالد، ج٢، ص ٢٥٣، والعكبري ج١، ص ١٧٥، وابن الناظم، ص٧٠٤)، وهذا وجه أشار إليه الرضي (شرح الكافية، ج٤، ص ٤١٢) بقوله: «وهذه الفاء [في أكرم زيدًا فإنّه فاضل] تدخل على ما هو شرط في المعنى؛ كما أنّ الأولى [زيد فاضل فأكرمه] دخلت على ما هو جزاء في المعنى، وذلك أنّك تقول: «زيد فاضل فأكرمه» وتعكس وتقول: «أكرمه فإنّه فاضل».

ب. حكم فاء السببيّة في إطلاقها الخاصّ:

فاء السببيّة في إطلاقها الخاصّ هي الفاء الداخلة على المضارع المنصوب في جواب نفي أو طلب بأنواعه، من أمر ونهي واستفهام وعرض وتحضيض وتمنّ ورجاء (ابن مالك، شرح التسهيل، ج٣، ص٢٢٩). وهذه الفاء من جهة المعنى لا شكّ أنّها سببيّة، ومن جهة الاستعمال موضع خلاف بين النحويّين: فمنهم من اعتبرها الفاء العاطفة جملة على جملة؛ يقول الإربلّي (جواهر الأدب،

ص٦٥): «... وهي العاطفة جملة تقديرًا على جملة تحقيقًا، فتقدّر الكلام [قم فأكرمك] بقولك: [إن يكن منك قيام فإكرام منّي]»، فهو – وإن أصاب في هذا الرأي فتأويله لا يناسب المؤوّل؛ بل يصدق عليه فاء الرابطة، وكان ينبغي أن يؤوّل المثال المذكور بقولك: «ليكن منك قيام فليكن منّي إكرام» أو «يكون منك قيام فإكرام منّي لك»، كي يتحقّق عطف الجملة على الجملة، ويصير ما بعد الفاء جملة، ومن ثَم صالحًا لأن يكون معطوفًا على الجملة المتوهّمة ممّا قبلها حسب رأيه. ومنهم من اعتبرها الفاء العاطفة مفردًا على مفرد، وهذا هو ما يُستفاد من كلام سيبويه؛ يقول – ٦ – (ج١، ص ٤٨٩) عند البحث عن قول القائل: «لا تأتيني فتحدّثني»: لم ترد أن تدخل الأوّل فيما دخل فيه الأوّل، فتقول: «لا تأتيني ولا تحدّثني» لكنّك لما حوّلت المعنى عن ذلك تحوّل إلى الاسم، كأنّك قلت: «ليس منك إتيان فحديث»؛ ويأتي الأشموني (ج٣، ص٥٦٥) بمثل هذا التأويل للمثال ممّا يُفهم تأييده له، ويعدّد الرضي (المصدر نفسه، ص٦٨) هذا الوجه بقوله: «... لأنّ فاء السببيّة إن عطفت وهو قليل فهي إنّما تعطف الجملة على الجملة؛ نحو: «الذي يطير فيغضب زيد الذباب»؛ ولعلّ سبب ذلك – أي اختصاص فاء العاطفة إذا كانت سببيّة بعطف الجملة على الجملة – ما سبق في البحث عن الفاء العاطفة مفردًا على مفرد (ص٤ من هذا المقال) من أنّ في عطف المفرد على المفرد تكرار عامل المعطوف عليه على المعطوف، ثمّ حذفه وإقامة حرف العطف مقامه، والعامل الواحد لا يمكن أن يكون في آن واحد سببًا ومسبّبًا. ومنهم من اعتبرها فاء الرابطة، واعتبر ما قبل الفاء بمنزلة جملة شرطيّة، وما بعد الفاء وهو المضارع المنصوب مؤوّل بالمصدر مبتدأ محذوف الخبر؛ فقولك: «زرني فأكرمك» في تأويل «إن تزرني فإكرام لك

منّي» (الرضي، المصدر نفسه) ولعلّ هذا الوجه أقرب إلى الصحّة من القولين السابقين؛ لأنّ الفعل المضارع بدون الفاء بعد الأشياء السبعة (النفي والطلب بأقسامه) إذا كانت سببًا لتحقّق المضارع يجزم على قيام هذه الأشياء مقام الشرط، أو على تضمينها معنى الشرط أو على إضمار شرط مستنبط من الأشياء السبعة (الأشموني، المرجع نفسه، ص٥٦٨)؛ فقولك: «زرني فأكرمك» يساوي في أصل معناه قولك: «زرني أكرمْك» فالأسلوبان يشتركان في إفادة ترتّب الإكرام على الزيارة، ويختلفان في وجود معنى التعقّب الذي يُستفاد من الفاء في الأسلوب الأوّل دون الثاني؛ فهو أسلوب أوكد وأبلغ لتحقيق معنى الترتّب من الأسلوب الثاني.

خاتمة البحث:

حول فاء الفصيحة وصلتها بفاء السببيّة:

البحث عنها وإن كان يتطلّب مقالاً على حدة فإنّا نلمح إليه في هذا المقال بما له من صلة وثيقة بهذا البحث وندع تفصيله لفرصة أخرى:

ففاء الفصيحة في مصطلح البلاغيّين والنحاة هي الفاء التي تنبئ عن محذوف (العاملي الصمديّة ضمن مجموعة جامع المقدّمات، ج٢، ص٦٠٠)؛ وهذا المحذوف أحيانًا يكون شرطًا، وأحيانًا جملة معطوفًا عليها؛ وإنّما تُسمّى فصيحة لأنّها تُفصح أي تُعرب عن ذلك المحذوف شرطًا كان أو معطوفًا عليها، أو لأنّها لا ترد إلاّ من فصيح لعدم معرفة غيره بمواردها (الدسوقي، محمّد بن عرفة، ج١، ص١٤٠).

وإذا تأمّلنا الأمثلة التي أوردها علماء البلاغة والبيان لهذه الفاء وجدناها لا تختلف في أكثرها عن فاء السببيّة؛ فقد ذكروا من أمثلتها ممّا هو ينبئ عن جملة

معطوف عليها محذوفة قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً...﴾ [البقرة؛ ٢: ٦٠]؛ يقول الزمخشري (الكشّاف، ج١، ص٢٨٤): «الفاء متعلّقة بمحذوف أي فضرب فانفجرت، أو فإن ضربت فقد انفجرت، وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع إلاّ في كلام بليغ»، وكذا قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾ [البقرة؛ ٢: ٢١٣]؛ فقد حذفت الجملة المعطوف عليها قبل «فبعث» أي «فاختلفوا فبعث الله»؛ كما قال الزمخشري (المرجع نفسه، ص٣٥٥): وإنّما حذفت لدلالة قوله: «ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه» «وفي هذه الآية نرى الجملة المعطوف عليها المحذوفة هي سبب لما بعد الفاء، فقد دخلت هذه العبارة من الآية في شواهد الأسلوب الثاني من الأساليب التي ترادفها فاء السببيّة؛ وهو وقوع فاء السببيّة بين الجملتين الماضويّتين؛ ومثله أيضًا قوله تعالى: ﴿... فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة؛ ٢: ٥٤] يقول السكّاكي (مفتاح العلوم، ص١٣٤): «أي فامتثلتم فتاب عليكم»، فالفاء الثالثة هي فاء الفصيحة.

ومن أمثلتها ممّا هو ينبئ عن شرط محذوف قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَاء فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ...﴾ [الشورى؛ ٤٢: ٩]؛ فيقدّر البلاغيّون شرطًا محذوفًا هو: «إن أرادوا وليًّا فالله هو الوليّ، (السكّاكي المرجع نفسه، ص١٥٣، والزمخشري، المرجع نفسه، ج٣، ص ٤٦١، والتفتازاني، المطوّل ص١٩٣، ٢٣٠، والعليمي الحمصي، يس، حاشية التصريح، ج٢، ص١٥٣). والكاتب يرى أنّ هذه الآية من قبيل ما يكون ما بعد الفاء سببًا وما قبلها مسبّبًا. أي إن كان الله هو الولي فهل يتّخذون من دونه وليًّا؛ وعلى هذا تدخل الآية في الأسلوب

الرابع من الأساليب المذكورة للفاء العاطفة السببيّة.

ومن أمثلتها ممّا هو ينبئ عن شرط محذوف قوله تعالى: ﴿... فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّباً...﴾ [الأنفال؛ ٨: ٦٩]؛ يقول الزمخشري (المرجع نفسه، ج٢، ص١٦٩): «فإن قلت: «ما معنى الفاء» قلت: «التسبّب، والسبب محذوف؛ معناه: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا ممّا غنمتم»، وهذا التأويل يصدق عليه الأسلوب الثالث من الأساليب التي أخرجناها للفاء والمعنى على هذا التأويل: «إن ثبت أنّي قد أبحت لكم الغنائم فكلوا ممّا غنمتم».

ويظهر بالتتبّع فيما أطلق عليه البلاغيّون مصطلح «فاء الفصيحة» أنّها ليست إلاّ الفاء العاطفة السببيّة بأقسامها التي سبق ذكرها في هذا المقال؛ غاية الأمر أنّ فاء الفصيحة لا يُطلق إلاّ على فاء العاطفة السببيّة التي حذف فيها إمّا السبب وإمّا المسبّب.

محصّلة:

الفاء العاطفة التي تفيد معنى السببيّة ترادف في معناها وأسلوب استعمالها أربعة أساليب نحويّة، وبعبارة أخرى تستنبط من مواضع استعمالها قواعد نحويّة هي:

١- إذا اكتنفتها جملتان مضارعيّتان (أي مبدوّتان بالمضارع) تساوي في أصل معناها «إن» الشرطيّة.

٢- إذا اكتنفتها جملتان ماضويّتان فهي تساوي في أصل معناها «لما» الظرفيّة التي تفيد (وجود لوجود) أو (وجوب لوجوب) (ابن هشام، مغني اللبيب، الباب ١ حرف اللام، ص٣٦٩).

٣- إذا اكتنفتها جملتان مختلفتان بالخبريّة والإنشائيّة والخبريّة قبلها؛ فإذا لم

نقل بجواز عطف الخبر على الإنشاء فهي فاء الرابطة، والجملتان تساويان أسلوب الشرط والجزاء، وإذا قلنا بجواز عطف الإنشاء على الخبر فمن الممكن أن نعتبرها عاطفة.

٤– إذا اكتنفتها جملتان مختلفتان بالخبريّة والإنشائيّة والإنشائيّة هي المقدّمة عليها، والخبريّة هي المؤخّرة عنها، والسبب للجملة الإنشائيّة المتقدّمة فالجملتان تساويان أسلوب الشرط المحذوف الجواب بتقديم ما يدلّ عليه.

٥– الفرق بين استعمال «إن» و«لما» في إفادة معنى الشرط وبين استعمال «فاء العاطفة السببيّة» للمعنى نفسه، مِثلُ الفرق بين «إنّما» و«إلاّ» في إفادة معنى الحصر؛ فكما أنّ «إنّما» تتصدّر المحصور والمحصور فيه و«إلاّ» تتوسّطهما كذلك «إن» و«لما» تتصدّران جملتي الشرط والجزاء والفاء تتوسّطهما.

٦– في الفاء العاطفة السببيّة الداخلة على المضارع خلاف بين النحاة؛ فبعض يجعلها عاطفة وبعض يجعلها رابطة؛ والمرجّح أن تكون رابطة؛ بحجّة أنّ هذا الأسلوب هو مثل أسلوب المضارع المجزوم بعد النفي أو الطلب؛ فكما أنّ المضارع المجزوم المجرّد عن الفاء جواب لشرط مقدّر أو لما قام مقامه أو ما ضمّن معناه، كذلك المضارعُ في هذا الأسلوب المبحوث عنه هنا جوابٌ لشرطٍ كذلك، وكلا الأسلوبين يُفيد معنى ترتّب ما بعد الفاء على ما قبلها، وإنّما الفرق يأتي من جهة أنّ الفاء تزيد إلى ترتّب الجواب على الشرط معنى التعقيب الذي لا يُستفاد من المضارع المجرّد عن الفاء المجزوم بعد الطلب أو النفي.

٧– هذه الأساليب الستة (أحدها بدون الفاء وبالمضارع المجزوم بعد الطلب أو النفي، وباقيها بالفاء؛ إمّا مع المضارع المنصوب بعد الطلب أو النفي، وإمّا بين الجملتين بالتفصيل المتقدّم) مع أنّها مشتركة في أصل معنى

الترتّب والشرطيّة، فلكلّ منها مقام ليس للآخر، يجب أن يبحث عنها في فنون البلاغة وندع البحث عنه لفرصة أخرى ومقال آخر.

٨- وأخيرًا كلّما أمعنّا النظر وروّينا الفكر في اللغة العربيّة وقفنا منها على دقائق معنويّة ولطائف بيانيّة، ومن ثَم تزداد معرفتنا بسرّ نزول القرآن الكريم بتيك اللغة وذاك اللسان العربي المبين.

انتهى بعون الله تعالى.

المراجع والمصادر

١- القرآن الكريم.

٢- ابن جنّي، أبو الفتح (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م). سرّ صناعة الإعراب، ج١، تحقيق حسن هنداوي، دمشق: دار القلم.

٣- ابن الحاجب، عثمان (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، أمالي ابن الحاجب، تحقيق: فخر صالح سليمان قدارة، عمان: دار عمّار، بيروت: دار الجيل.

٤- ابن مالك، محمّد بن عبد الله (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م)، شرح التسهيل (تسهيل الفوائد)، ج٣، تحقيق: عبد القادر عطا وطارق فتحي السيّد، بيروت: دار الكتب العلميّة.

٥- ابن عصفور، علي بن مؤمن (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)، المقرّب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمّد معوّض، ط١، بيروت: منشورات محمّد علي بيضون.

٦- ابن الناظم، بدر الدين، (بدون سنة الطبع)، شرح ألفيّة ابن مالك، تحقيق: عبد الحميد السيّد محمّد عبد الحميد، بيروت: دار الجيل.

٧- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (١٤٠٩هـ(، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، تحقيق: حنّا الفاخوري، بيروت: دار الجيل.

٨- ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمّد علي حمد الله. ط٥، بيروت.

٩- الأخفش، سعيد بن مسعدة (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، معاني القرآن، دراسة وتحقيق: عبد الأمير محمّد أمين الورد، ج١، بيروت: عالم الكتب.

١٠- الإربلّي، علاء الدين بن علي، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م)، جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، صنعة إميل بديع يعقوب. بيروت: دار النفائس.

١١- الأزهري، خالد، (بدون سنة الطبع)، شرح التصريح على التوضيح، ج٢، بيروت: دار الفكر.

١٢- الأشموني، علي بن محمّد (١٣٧٥هـ- ١٩٥٥م)، منهج السالك إلى ألفيّة ابن مالك، ج١ و٣، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، ج١، بيروت: دار الكتاب العربي.

١٣- التفتازاني، مسعود بن عمر (١٣٧٤هـ)، شرح المختصر، باهتمام: رضا لطفي ومحمّد علي محمّدي، مطبعة التوحيد.
١٤- التفتازاني، مسعود بن عمر (١٣٧٤هـ)، المطوّل في شرح تلخيص المفتاح، تهران: المكتبة العلميّة الإسلاميّة.
١٥- الخوارزمي، قاسم بن الحسن (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)، التخمير (شرح المفصّل في صنعة الإعراب)، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
١٦- الدسوقي، مصطفى محمّد عرفة (بدون سنة طبع)، حاشية الدسوقي على مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري ج١. مصر: مطبعة عبد الحميد أحمد صفي. رضي الدين الأستراباذي، محمّد بن الحسن (١٤١٩هـ- ١٩٩١م)، شرح كافية ابن الحاجب، تقديم وتحقيق: إميل بديع يعقوب. ج٢، ط١، بيروت: دار الكتب العلميّة.
١٧- الزمخشري، محمود بن عمر (بدون سنة الطبع)، الكشّاف عن حقائق التنزيه، ج٣، تهران: انتشارات آفتاب.
١٨- السكّاكي، يوسف بن أبي بكر (١٣٥٦هـ- ١٩٣٧م)، مفتاح العلوم، ط١، مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

* * *

١- سيبويه، عمرو بن بشر (١٤٠٤هـ)، كتاب سيبويه، ج١، قم: نشر أدب الحوزة.
٢- الصبّان، محمّد بن علي (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، حاشيّة الصبّان على شرح الأشموني على ألفيّة ابن مالك، ج٣. بيروت: دار الفكر.

٣- العاملي، بهاء الدين (١٣٧٣هـ. ش). كتاب الصمديّة، (ضمن مجموعة جامع المقدّمات)، تحقيق وتعليق: المدرّس الأفغاني. قم: انتشارات هجرت.
٤- العكبري، عبد الله بن الحسين (١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م)، التبيان في إعراب القرآن، تحقيق: علي محمّد البجاوي. بيروت: دار الجيل.
٥- العليمي الحمصي، يس بن زين الدين (بدون سنة الطبع)، حاشية التصريح على التوضيح، ج٢، بيروت: دار الفكر.
٦- الفاكهي، أحمد بن الجمال (١٣٩٠هـ- ١٩٧١م)، مجيب النداء إلى شرح قطر الندى، ج١- ٢، ط٢، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
٧- القوجوي، محمّد بن مصطفى (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، شرح قواعد الإعراب لابن هشام، تحقيق: إسماعيل مروة. دمشق: دار الفكر. ط١.

مَقامات الحريري والدّراسات اللُّغَويّة

أ. **محمود الحسن**

في مطلع القرن الخامس الهجري عرف الأدبُ العربي فنًا جديدًا، ابتكره العلامة بديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨)، أُطلق عليه فن المقامات. وما كادت مقامات البديع تخرج إلى النور حتى لاقَت قبولاً منقطع النظير، بين أوساط العلماء والمؤدّبين. فأقبلوا على دراستها وتدريسها للناشئة، وانكبُّوا على شرحها وحفظها، إلى أن جاء الحريري بمعجزته التي بهرت جميع مَن تذوَّقوا الأدب، وأحبوا هذا الفن.

١– نشأة فنّ المَقامات وتَطَوّره

المقامات: جمع مَقامة. وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس. ثم أُطلق لفظ المقامة على الأحدوثة من الكلام، كأنها تُذكر في مجلس واحد، يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها.[1] والمقامات أقاصيص قصيرة، تحكي مغامرات أديب ظريف، يحتال بفصاحته الأدبية، وبراعته الأسلوبية على الناس، فيصطاد منهم الأعطيات، ويتلقَّف من جيوبهم المِعونات، ثم يتابع رحلته متنقلاً بين البلدان، يرمي شباك حيلته حيث حلَّ. وفي كل مرة يجمع صيده، ثم ينصرف إلى حيله أخرى. ولهذا البطل راوية يشهد مواقفه، ويرصد أخباره، ويروي ذلك للناس.

ويُجمع العلماء على أن أول من فتح باب عمل المقامات هو بديع الزمان

(1) صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي ١٤: ١٢٤.

الهمذاني، حيث عَمِل مقاماته المشهور[١]، فاختار لها بطلاً هو أبو الفتح الإسكندري، كما اختار لها راوية هو عيسى بن هشام. والشخصيَّتان من ابتداع خَياله. وكان الغرض من تأليفه للمقامات تعليميًا، إذ أراد من خلالها أن يقدّم للناشئة والمتعلّمين ألفاظ اللغة، وأساليب استعمالها، وطُرق تأليفها، في قالب الفكاهة و التسلية، الذي يجذب القلوب، ويمحو الملل عن النفوس.

وقد عُنى في مقاماته باختراع القصص، والجَري على الطبع، فجاءت متضمنة كل ما تشتهي الأنفس، وتلذّ الأعين من لفظ أنيق، قريب المأخذ بعيد المرام، وسَجع رشيق المِطلع والمقطع كسَجع الحمام، وجدٍّ يروق فيملك القلوب، وهزل يشوق فيسحر العقول[٢].

ويُروى أن الهمذاني استلهم فكرةَ إنشاء المقامات من ابن دُريد الأزدي (ت٣٢١هـ(الذي أغرب بأربعين حديثًا، ذَكَر أنه استنبطها من ينابيع صَدره، وانتخبها من معادن فكره. وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها للأفكار والضمائر، في معارض أعجمية، وألفاظ حوشية. وتوسع فيها، إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب متصرفة. ولما رأى البديع ذلك عارضَ أربعينَ ابن دُريد بأربعمئة مقامة في الكُدْية، تذوب ظَرفًا، وتقطر حسنًا[٣].

وقد انتشرت مقامات البديع في أصقاع العالم الإسلامي، في مدة يسيرة. ولَقيَت من العلماء قبولاً واستحسانًا عجيبَين، فراح البعض يحاول أن ينسج على منوالها، و يستحث الخُطا في اقتفاء أثرها، طمعًا في الانتساب إلى فضيلة عملها.

(1) صبح الأعشى ١٤: ١٢٥.
(2) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي ٤: ٢٩٤.
(3) زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني ١: ٣١٥.

ولكن المحاولات كانت متواضعة، إلى أن جاء الحريري (ت ٥١٦هـ(، فأنشأ مقاماته الخمسين المشهورة، فجاءت نهاية في الحُسن، وأتَت على الجزء الوافر من الحظّ، وأقبل عليها الخاصّ والعامّ، حتى أنسَت مقامات البديع، وصيَّرتها كالمرفوضة[١].

وقد أشار الحريري في مقدمة مقاماته إلى تأثره ببديع الزمان، كما نوّه بفضله في هذا الفن، حيث قال: «هذا مَعَ اعترافي بأنَّ البَديعَ – رَحِمَهُ اللهُ – سَبّاقُ غاياتٍ، وصاحبُ آياتٍ، وأنَّ المتصَدّيَ بَعدَهُ لإنشاء مَقامة، و لَو أُوتِيَ بَلاغةَ قُدامة، لا يَغتَرفُ إلاّ من فُضالته، ولا يَسري ذلكَ المسرَى إلاّ بدَلالته[٢]» ولا يَخفى ما في هذه العبارة من تواضع جميل، و تقدير لطيف للهمذاني، ولو أن الحريري، في المقامة السابعة والأربعين، عاد فادَّعى لنفسه التفوُّق على البديع، على لسان بطله السروجي فقال: [٣]

إن يَكُن الإسكَندَريُّ قَبلي فالطَّلُّ قَد يَبدُو أمامَ الوَبل
والفَضلُ للوابل لا للطَّلّ

ويكاد يُجمع العلماء على أن الحريري قد بلغ بهذا الفنّ ذروة شاهقة لا تُدرَك، ووصل إلى مرتبة عالية فاقَت قدرة الأوائل، كما قصَّرت عنها هِمَم الأواخر[٤]. فكأنه خُلق ليستأثر بهذا الفن، ويمتلك مفاتيحه دون غيره من الأدباء. ومن طريف ما رواه ياقوتٌ الحَمَوي، شاهدًا على علوّ منزلة الحريري، قوله:

(1) صبح الأعشى ١٤: ١٢٥.
(2) مقامات الحريري ص٧ و شرح مقامات الحريري للشريشي. ١: ٣٢.
(3) الحريري ص ٥٥٥ والشريشي ٥: ٢٨٤.
(4) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦: ١٩٥.

«ومن عَجيب ما رأيتُهُ وشاهَدتُهُ أنّي وَرَدتُ آمد، في سنة ثلاثٍ وتسعينَ وخَمسمئةٍ، وأنا في عُنفوان الشَّباب ورَيعه، فبلَغني أنَّ بها عَليَّ بنَ الحَسَن بن عَنتر، المعروف بالشَّميم الحلّيّ (ت٦٠١هـ(. وكان من العلم بمَكانٍ مَكين، واعتَلقَ من حباله بركنٍ رَكينٍ، إلاّ أنَّه كان لا يُقيم لأحَدٍ من أهل العلم المتقدّمينَ ولا المتأخّرينَ وَزنًا، ولا يَعتَقدُ لأحَدٍ فَضيلةً، ولا يُقرُّ لأحَدٍ بإحسانٍ في شَيء من العُلُوم ولا حُسنٍ. فحَضَرتُ عندَه، وسَمعتُ من لَفظه إزراءَهُ عَلى أُولي الفَضل، وتَنديدَهُ بالمعيب عَلَيهم بالقَول والفعل.

فلمّا أبرَمَني وأضجَرَ، وامتَدَّ في غَيّه وأصحَرَ، قُلتُ لَه: أما كانَ فيمَن تَقَدَّمَ علَى كَثرتهم، وشَغَف النّاس بهم، عندَكَ قَطُّ مُجيدٌ ؟ فقالَ: لا أعلَمُ إلاّ أن يَكُونَ ثَلاثةَ رجالٍ: المتَنَبّي في مَديحه خاصّةً، و لَو سَلَكتُ طَريقَهُ لَما بَرَّزَ علَيَّ، ولَسُقتُ فَضيلتَهُ نَحوي ونَسَبتُها إلَيَّ. والثّاني: ابنُ نُباتةَ في خُطَبه، وإن كانَت خُطَبي أحسَنَ منها وأسيَرَ، وأظهَرَ عندَ النّاس قاطبةً وأشهَرَ. والثّالث: ابنُ الحَريري في مَقاماته. قُلتُ: فما مَنَعَكَ أن تَسلُكَ طَريقَتَهُ، وتُنشئَ مَقاماتٍ تُحمدُ بها جَمرتَهُ، وتَملكُ بها دَولتَهُ؟ فقالَ: يا بُنَيَّ الرُّجُوعُ إلَى الحَقّ خَيرٌ منَ التَّمادي في الباطل. ولَقَد أنشأتُها ثَلاثَ مَرّاتٍ، ثُمّ أتأمَّلها فأستَرذِلها، فأعمدُ إلَى البركة فأغسلها. ثمَّ قالَ: ما أظُنُّ اللهَ خَلقَني إلاّ لإظهار فَضل الحَريري[1]. وقَد شَرح الشَّميم الحلّيّ المقامات بشرحٍ قُرئَ عَليه وأُخذَ عَنه.

وقد جاء بعد الحريري مَن تَصدَّى لعَمل المقامات،كالسَّرقسطي (ت٥٣٨هـ(والزّمخشري (ت٥٣٨هـ(والسّيوطي (ت٩١١هـ(. وجميع هؤلاء حاكُوا مقامات الحريري، دون مقامات الهمذاني، لأنها وَصلَت إلى الكَمال كما تقدَّم، ولكنْ لم

(1) معجم الأدباء ٦: ١٩٩– ٢٠٠.

يَبلغ أحدٌ مَبلغَه من الشُّهرة والإتقان.

ولم يقتصر انتشار المقامات على العالم الإسلامي، بل انتقلت عبر الأندلس إلى أوربة، حيث تأثر بها الأوربيون، وكان لها تأثير واضح في الأدب الإسباني، إذ نشأ على غرارها في منتصف القرن السادس عشر لون من الفنّ القصصي، ازدهر في القرن التالي، يصف حياة المشرَّدين والمتسوّلين، ويَقوم على الكُدْيَة أو الشحاذة، سُمِّيَت أقاصيصُه باسم «الأقاصيص البيكارسية»، وسُمّي بطلُها باسم «البيكارو». ودائمًا نشأتُهُ متواضعة، ويُعاني من آلام البطالة والمِسغبة، ويَتَّخذ التَّسوُّل حرفة له يكسب بها قوتَهُ، مستخدمًا في ذلك حيَلاً وألاعيبَ شَتّى، تُشبهُ حيَل أبي زَيد السَّروجيّ في مقامات الحَريري، والشَّيخ أبي حَبيب في مقامات السَّرقسطي، مع صَبغ كلامه مثلَهُما بصبغة وَعظيّة خُلُقيّة[1].

الحَريري ومُؤَلَّفاتُهُ

هو الرئيس أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري[2]. وُلد ونَشأ في قَرية قريبة من البصرة تُسَمَّى «المشان» سنة ٤٤٦ للهجرة. وسكن البصرة في مَحلّة بني حَرام.

كان غاية في الذكاء والفطنة. وقد اتصل بأكابر علماء عصره، وأخذ عنهم الفقه والحديث واللغة والأدب، فامتلك عنان الفصاحة، وبَلَغَ مرتبة رفيعة من مراتب العلم والبلاغة. ويُروى أنه كان من ذوي اليَسار في البصرة، حيث كان يمتلك في قريته « المِشان» ثَمانية عَشر ألفَ نخلة، فضلاً عن أنه كان من ذوي المرتبة والنفوذ، إذ كان (صاحب الخَبَر) في البصرة. وهو الذي يحمل إلى

(1) عصر الدول والإمارات «الأندلس» للدكتور شوقي ضيف ص٥٢٦.
(2) معجم الأدباء ٦: ١٩٥ وَفَيات الأعيان لابن خَلّكان ٤: ٦٤.

الخليفة أخبار الناس والجيش والإدارة. وقد أمضى حياته متنقلاً بين المِشان والبصرة وبغداد، مختلفًا إلى أندية العلم ومجالس الأدب، يحصد ثناء الألسنة، وإعجاب الأفئدة، بما يبتدعه من بدائع الشعر والأدب، وما يُمليه من دقائق العلم وعجائب الاستنباط.

وكان الحريري مُرهفَ الشُّعور صادقَ الحسّ والتَّخمين، حُكي أن شخصًا غريبًا زارَه ليأخذ عنه شيئًا. فلما رآه الشخص استَزرَى شكلَه، لأن مَظهره لم يكن يُطابق فَضله وسمعتَه، ففَهم الحريري ذلك منه، ولما التمسَ منه أن يُمليَ عليه قال له اكتبْ:

ما أنتَ أوَّلُ سارٍ غَرَّهُ قَمَرٌ، ورائدٍ أعجَبَتهُ خُضرةُ الدِّمَنِ
فاختَرْ لنَفسكَ غَيري، إنَّني رَجُلٌ مثلُ المعَيديّ، فاسمَعْ بي ولا تَرَني

فخَجل الرجلُ وانصرف[1].

وتُجمع المصادر التي تَرجَمَت للحريري أنه كان حسنَ السّيرة، ذائعَ الفضل، مستقيم الخُلُق، ملتزمًا مبادئَ الدّين الحَنيف، مُحترمًا حُقوق الله عزَّ وجَلَّ. ويُروى أنه بلغَهُ أن صاحبه أبا زيد المطَهَّر بن سَلام البَصري قد شَرب مُسكرًا، فكتَبَ إليه:

أبا زَيدٍ، اعلَمْ أنَّ مَن شَربَ الطِّلا تَدَنَّسَ، فافهَمْ سرَّ قَولي المهَذَّب
ومن قَبلُ سُمّيتَ المطَهَّرَ، والفَتَى يُصَدّقُ بالأفعال تَسميةَ الأب
فلا تَحسُها كَيما تَكُونَ مُطَهَّرًا، وإلاّ فغَيّرْ ذلكَ الاسمَ، واشرَب

(1) وفيات الأعيان ٤: ٦٦– ٦٧ وشَذرات الذَّهب لابن العماد ٦: ٨٥.

فلما بلَغَه الأبيات أقبلَ حافيًا إلى الحريري، وبيده مصحف. فأقسَمَ به ألاّ يعودَ إلى مُسكِر. فقال له الحريري: ولا تُحاضرْ مَن يَشرب[١].

وكتاب المقامات هو المرآة التي تتجلى فيها شخصية الحريري، وصفاته النفسية والعقلية والخُلُقية، فمَن يقرأ المقامات يشعر أن مؤلّفها غزيرُ العلم، متعمق في دقائق الأمور، وغوامض الأشياء، ويشعر أنه أمام إنسان واثق بنفسه وعلمه، قادر على التلاعب بالألباب ومداعبة العقول، متمكّن من الخَوض في المنطق والفلسفة، وجزئيات التفكير، غير مُنازَع في سَوق البراهين وإسراج الحُجج. وكل ذلك يصطبغ بروُح الدَّعابة الحريرية. وأعني الدَّعابة العقلية الهادئة، التي يبتسم لها العلماء والشيوخ، ويستعصي الإحساسُ بها على الجُهَلاء. إنها «مَلهاة» العُقلاء الَّتي يشتاقُها العقلُ، وتستريح إليها الخَواطرُ المنشغلة بمسائل العلم والتفكير العَميق، وليست الملهاة التي تُداعبُ الغرائز والحَواس[٢].

مقامات الحريري وقيمتها التاريخية

تُعدُّ المقامات أهمَّ كتاب ألَّفه الحريري. وإلى هذا الكتاب يُعزَى كلُّ ما جناه الحريري من شهرة وفضل في مجال التأليف. وهي خمسون مقامة بدأ بتأليفها سنة ٤٩٥ للهجرة، وأتمَّها حوالي سنة ٥٠٤ للهجرة. وأما عن سبب تأليفه للمقامات فقد قال: «فأشارَ مَن إشارتُهُ حُكمٌ، وطاعتُهُ غُنمٌ، إلَى أن أُنشئَ مَقاماتٍ أتلُو فيها تلوَ البَديع... فلَمّا لَم يُسعفْ بالإقالة، ولا أعفَى منَ المِقالة، لَبَّيتُ دَعوتَهُ

(1) معجم الأدباء ٦: ٢٠٣.

(2) ومن مؤلفات الحريري:كتاب دُرّة الغَوّاص في أوهام الخَواص، ومُلحة الإعراب، والرِّسالتان السِّينيّة والشِّينيّة، والفَرق بين الضّاد والظّاء، إضافة إلى أشعاره.

تَلبيةَ المطيع، و بَذَ لتُ في مُطاوَعته جُهدَ المستَطيع»[1].

فالحريري هنا يتحدَّث عن أن إنشاء المقامات كان بإشارة من أحد رجال الحُكم. وقد قيل: إنَّه أنُوشروان بن خالد وزير الخليفة المسترشد، وقيل: بل هو والي البَصرة، وقيل غير ذلك. ورجَّح الشَّريشي أن يكون صاحب الإشارة هو الخليفة المستظهر (٤٨٧ –٥١٢)، الذي كانت له رَغبة في الطَّلَب، وحَظّ في الأدب، وعناية بأهل العلم[2].

وقد وصل الحريري بمقاماته إلى ذروة هذا الفن. واختار لها بطلاً هو أبو زَيد السَّرُوجيّ، وراوية هو الحارث بن هَمّام البَصري. والشخصيّتان من ابتداع خَياله على الأرجَح، كما هو الشأن عند بَديع الزَّمان. وهناك مَن اقتنَعَ من العُلماء بأن السَّروجي شخصيّة واقعيّة، متمسكًا بما رواه ياقوت وغيرُه عن الحريري نفسه أنه قال: « أبُو زَيدٍ السَّروجيّ كان شَيخًا شَحّاذًا بَليغًا، ومُكديًا فَصيحًا، وَرَدَ عَلينا يَومًا في مَسجد بَني حَرام، فسَلَّم ثم سأل الناسَ. وكان بعضُ الوُلاة حاضرًا، فأعجَبَهم بفَصاحته، وحُسن صناعته ومَلاحته. وذَكَر أسرَ الرُّوم ابنتَهُ، كَما ذَكَرْنا في المقامة الحَراميّة، وهي الثّامنة والأربعون.

قال: فاجتَمَع عندي عَشيّة ذلك اليَوم جماعةٌ من مَعارف فُضَلاء البَصرة وعُلمائها، فحَكَيتُ لَهم ما شاهَدتُ من ذلكَ السّائل، وسَمعت من لَطافة عبارته في تَحصيل مُراده، وطَرافة إشارته في تَسهيل إيراده. فحَكى كلُّ واحد من جُلَسائي أنه شاهَدَ من هذا السّائل مثلَ ما شاهَدتُ، وأنّه سَمع منه في معنى آخر فَصلاً أحسنَ ممّا سَمعتُ. وكان يُغيّر في كلّ مَسجد زيَّه وشَكلَه، ويُظهرُ في

(1) الحريري ص ٥– ٦؛ الشريشي ١: ٢٥ و ٢٩.

(2) الشريشي ١: ٢٧.

فُنُون الحيلة فَضلَهُ. فتَعجَّبوا من جَرَيانه في مَيدانه، وتصرُّفه في تلوُّنه وإحسانه. فأنشأت المِقامة الحَراميّة. ثم بَنَيتُ عَليها سائرَ المِقامات. وكانت أوَّلَ شَيء صَنَعتُهُ))[1].

ومخطوطات المقامات كثيرة جدًّا، لا تكاد تخلُو من نُسَخها مكتبةٌ من مكتبات العالم، التي تضمُّ المِخطوطات وتُعنَى بها. وهي تعود إلى أزمنة مختلفة، أقدمها يرجع إلى سنة ٥١٣ للهجرة[2]. وقد طُبعت مرارًا في باريس ولندن وبُولاق والقاهرة ولَكنُو وتَبريز وطَهران وبيروت وغيرها.

وفيما يخصّ القيمة التاريخية للمقامات بيَّن لنا الحريري تلك القيمة بقوله: ((فأنشأتُ خَمسينَ مَقامةً، تَحتَوي عَلَى جدِّ القَول وهَزله، ورَقيق اللَّفظ وجَزله، وغُرَر البَيان ودُرَره، ومُلَح الأدَب ونَوادره، إلَى ما وَشَّحتُها به منَ الآيات، ومَحاسن الكنايات، ورَصَّعتُهُ فيها منَ الأمثال العَرَبيّة، واللَّطائف الأدَبيّة، والأحاجي النَّحْويّة، والفَتاوَى اللُّغَويّة، والرَّسائل المبتَكَرة، والخُطَب المحَبَّرة، والمواعظ المبكية، والأضاحيك الملهية، ممّا أملَيتُ جَميعَهُ عَلَى لسان أبي زَيدٍ السَّرُوجيّ، وأسنَدتُ روايتَهُ إلَى الحارث ابن هَمّامٍ البَصريّ[3].

فالمقامات إذًا تحفة فنيّة تستمدُّ قيمتها ممّا تضمَّنَته من مَباحث جديدة، وأساليبَ مُبتكَرة. فهي تنفرد بالأحاجي الفقهية والنحْوية التي تضمَّنَتها، والتي تُشكّل مادة مُسلّية، كانت تُدار على ذكرها المجالس، ويستحسنُها العلماء للاستراحة من عناء التفكير بمسائل العلم. ويقال إن الحريري تأثر في إيراد

(1) الشريشي ١: ٢٦ ومعجم الأدباء ٦: ١٩٦.

(2) بروكلمان ٥: ١٤٥.

(3) الحريري ص ٦– ٧ والشريشي ١: ٢٩.

الأحاجي برسائل أحمد بن فارس (ت٣٩٥)، الذي كان مُغرمًا بهذا اللون[١].

والأحاجي: الألغاز. ومن أمثلتها في المقامة الثانية والثلاثين قوله: «أيَجُوزُ الوُضُوءُ ممّا يَقذفُهُ الثُّعبانُ؟ قالَ: وهَل أنظَفُ منهُ للعُربان»[٢]؟ الثُّعبان: جمع ثَعْب. وهو مَسيل الوادي. وإنما يُحاجي بذلك لأن المشهور عن الثعبان أنه الحيّة. ومنها قوله: «أيَحلُّ بَيعُ الهَديّة ؟ قال: لا. ولا بَيعُ السَّبيّة»[٣]. الهَديّة: ما يُهدَى إلى الكَعبة. والسَّبيّة: الخَمر.

والمقامات تحوي بعض المسائل اللغوية الهامة، كما أنها تضمّ الكثير من الأمثال العربية، التي يعود إلى الحريري الفضل في إخراجها من زوايا النسيان، إلى ميادين الاستعمال. يضاف إلى ذلك أن المقامات أضافت ذخيرة جديدة، إلى التراث الأدبي، بما تضمَّنته من خُطَبٍ بليغةٍ، ابتكر الحريري معانيَها، وأشعار بديعة ابتدع نظمَها، وأحسنَ صياغتها، كما احتَوَت المقامات على تحليلات نفسيّة عميقة لشخصيّة البطَل، انفرَدَ الحريري بإيرادها.

والأهم من ذلك أن المقامات قد تدفَّقَت في تُربتها أفضلُ الأساليب الفَصيحة المتنوّعة، التي اصطفاها عالمٌ مُتقن هو صاحب «دُرّة الغَوّاص»، ومُتيقّظ يضع في حُسبانه أن يهاجَمَ بسهام النَّقد. ولذلك جاءت أساليبه قمّة في البيان والفصاحة والسّحر. فهو تارة يجمع بين الجدّ والهَزل، ومرة يُغرَم بالمحسِّنات البديعيّة، وحينًا يُرصّع كلامَه بألوان التَّشبيه والاستعارات، وتارة يَجري على الطَّبع فيُلامس شَغافَ القُلُوب، ويستمطر من العُيُون الدّموعَ، وتارة يَنثني

(1) وفيات الأعيان ١: ١١٨.

(2) الحريري ص ٣٣٧– ٣٣٨ والشريشي ٤: ٤٦.

(3) الحريري ص ٣٤٦ والشريشي ٤: ٥٣.

إلى مُداعبة الرُّوح واستحضار البَسمات، وأحيانًا يَلجأ إلى التَّضمين[١] فيَصل فيه إلى حُدود الإعجاز، بجَمال النَّقل، وحُسن الإشارة، ولُطف الملاءمة، وجَودة التمهيد.

وتَنبع أهمية المقامات، من جهة أُخرى، من احتوائها على كَمٍّ هائل من الألفاظ، إذ يتميَّز أسلوب الحريري بالابتعاد عن التّكرار قَدر المستطاع. وهذا يدعو إلى اتّساع المعجم اللفظي، كما سيتَّضح، ويُفيد في إبقاء الألفاظ ضمن حيّز الاستعمال، لتظلّ حيّة مأنوسة. ولهذه السّمة فائدة كبيرة فيما يُسمَّى بالتَّواصل اللغوي. وهو أن يستمرّ استعمال، المفردات القديمة في العصور اللاحقة، وهو ما يُمكّن أبناءَها من فهم التُّراث القَديم دون عناء. وهذه الخاصّة تنفرد بها اللغة العربية دون غيرها من لغات العالم، بفضل القرآن الكريم، والحديث الشريف، والتراث الشعريّ الرّفيع، والنصوص الأدبية التي تجذب الاهتمام، كالمقامات وغيرها من الرسائل والخطب والأمثال.

ولا يَقتصر الفرار من التكرار في المقامات على الألفاظ، بل يتعدّاها إلى التَّعابير أيضًا. فالحريري مثلاً في كل مرة يحتاج إلى أن يقول:«فلَمّا حانَ وَقتُ الصُّبح» نجده يُعبّر عن هذا المعنى بغَير عبارته الأولى، فتارة يقول: «فلَمّا لاحَ ابنُ ذُكاءَ، وألحَفَ الجَوَّ الضّياء»[٢]، وتارة يقول: «إلَى أن أظَلَّ التَّنويرُ، وجَشَرَ الصُّبحُ المنيرُ»، [٣] وتارة يقول: «حَتَّى إذا لألأ الأُفقَ ذَنَبُ السّرحان، وآنَ انبلاجُ الفَجر وحانَ»[٤]، وتارة يقول: «إلَى أن عَطَسَ أنفُ الصَّباح، ولاحَ

(1) يُنظَر في التَّضمين: مجلة التراث العربي العدد ٨٥ ص ٤٩.

(2) الحريري ص ٣٧ والشريشي ١: ١٧٢.

(3) الحريري ص ٤٧ والشريشي ١: ٢١٥.

(4) الحريري ص ٩٥ والشريشي ١: ٤٣٢.

داعي الفَلاح»[١]، وتارة يقول: «فلَمّا بَلَغَ اللَّيلُ غايتَهُ، ورَفَعَ الفَجرُ رايتَهُ»[٢]. وهذا –كما قال الصَّفديّ – كثير في مقاماته. وهو من القدرة على الكلام[٣].

ويمكن القول أخيرًا: إن قيمة المقامات هي قيمة لغوية أدبية تعليميّة. وليس لها أهمية كبيرة في غير ذلك، لأنها لا ترقى إلى تصوير جوانب الحياة، كما أنها لا تُعطي صورةً واضحة عن طبيعة عصر الحريري، الذي سادت فيه الفتَن والحروب، لضعف الخلافة العباسية، وتأرجح الحُكم، وانتشار الفساد والعَيّارينَ انتشارًا واسعًا.

شروح مقامات الحريري

لقد وافق كتابُ المقامات من السَّعد ما لَم يُوافقْ مثلَهُ كتابٌ ألَّفَهُ الحريري. «فقَدَ جمَعَ فيه مُؤلّفُه بَين حَقيقة الجَودة والبَلاغة، واتَّسَعَت لَه الألفاظُ، وانقادَت لَهُ نُوَرُ البَراعة، حتّى أخَذَ بأزمّتها، ومَلَكَ ربقتَها. فاختارَ ألفاظَها، وأحسَنَ نَسقَها، حتّى لَو ادَّعَى بها الإعجازَ لَما وَجَدَ مَن يَدفَع في صَدره، أو يرُدُّ قولَه، أو يأتي بما يُقارِبُها، فَضلاً عن أن يأتيَ بمثلها. ثم رُزِقَت مع ذلك من الشُّهرة وبُعد الصّيت، والاتّفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقَّت وأكثَر»[٤].

هذه هي الحُلّة التي خلعَها ياقوت الحَموي على المقامات، لتبقى شاهدًا يشهد بأهميتها، وعلوّ منزلة صاحبها، وحصنًا مَنيعًا تتحطَّم عليه سهام

(1) الحريري ص١٤٩ والشريشي ٢: ١٨٨.

(2) الحريري ص٤٧٦ والشريشي ٥: ٨٦.

(3) أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي ١: ٤١.

(4) معجم الأدباء ٦: ١٩٩.

الطّاعنين، وتتصاغَرُ أمامَه همَم العباقرة المبدعين. لقد تعهَّد الحريري مقاماته بالجُهد والاجتهاد، حتى أخرجَها في النهاية عَلَمًا شاهقًا بَينَ رَوابي الأدَب، يَستعصي على السّالك، وتَتوعَّر إليه المِسالكُ، ويجذب نظَرَ كلّ مَن يَتنسَّم عطرَ الكلمات، ويَستهويه الجَمال الكامنُ في دَقيق العبارات.

وخلاصة القول أن المقامات نالت شهرةً عظيمة، وإقبالاً مُنقطع النَّظير، منذ تكشَّفَت عنها براعمُ الوُجود، وحَظيَت بعناية العلماء منذ أن باحَ بخاتمتها قلمُ الحريري، وأخرجَها إلى الحَياة. وقد احتلَّت مكانًا لائقًا في حلقات العلم، ومجالس الأُنس، ونَوادي الأدب. ويدلّ على مدى شُهرتها، واتّساع تَداوُلها، ما يُروى من أن الحريري وَقَّع بيده على سبعمئة نسخةٍ منها قُرئَت عليه، وأُخذَت عنه[١].

ونظرًا لأهمية المقامات فقد قام عدد كبير من العلماء، بشَرْحها وتوضيح غوامضها، في أزمنة مختلفة من تاريخ الحضارة الإسلامية. وقد أورَدَ حاجي خليفة في كتابه «كشف الظنون» أسماءَ العلماء الذين شرحوا المقامات، كما ذكر بروكلمان في كتابة «تاريخ الأدب العربي» أسماء المخطوطات لتلك الشروح، وأماكن وجودها في مكتبات العالم. وقد وصل عدد الشروح التي ذكرها كل من حاجي خليفة وبروكلمان إلى سبعة وأربعين شرحًا، إضافةً إلى تعليقات ابن الخَشّاب وابن برّي[٢].

ويُشار إلى أن هذه الشروح ما تزال مخطوطة، ولم يُطبَع منها سوى «شرح غريب المقامات الحريرية» للعكبري (ت٦١٦) بتحقيق محمد رجب ديب و«شرح مقامات

(1) معجم الأدباء ٦: ١٩٩.

(2) كشف الظنون ص ١٧٨٧– ١٧٩١ وبروكلمان ٥: ١٤٧– ١٥٠.

الحريري الكبير» للشريشي (ت ٦١٩) بتحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

ويُعَدُّ الشرح الكبير للشريشي أهم الكتب التي شرَحَت المقامات على الإطلاق، إذ لم يترك صاحبُه في كتاب من شروحها فائدةً إلا استخرجها، ولا فريدةً إلا استدرَجَها، فصار شرحًا يُغني عن كلّ شَرح تقدَّمَه، ولا يُحتاج إلى سواه في لَفظ من ألفاظها[1]. يقول الشريشي: «لَمْ أدَعْ كتابًا أُلِّفَ في شَرح ألفاظها، وإيضاح أغراضها، إلاّ وَعَيتُه نَظَرًا، وتحقَّقتُه مُختبرًا، وتَرَدَّدتُ في تفهُّمه وردًا وصدَرًا، وعكَفتُ على استيفائه بَسيطًا كان أو مُختصَرًا، حتّى أتَيتُ على جَميع ما انتهَى إليه وسَعَى ممَّن فَسَّرها، واستَوعَبتُ عامةَ فَوائده الممكنة بأسرها. ولَم أترُك في كتابٍ منها فائدةً إلا استَخرَجتُها، ولا فَريدةً إلا استَدرَجتُها، ولا نُكتةً إلاّ علَّقتُها، ولا غَريبةً إلاّ استَلحَقتُها، ولا غادَرتُ في مَوضع منها مُستَحسَنًا يشذّ عَن جَمعي، ولا مُستَجادًا يَنبُو عَنه بَصَري أو سَمعي.

وأنا في خلال ذلك ألتَمسُ مَزيدًا، ولا أسأمُ بَحثًا وتَقييدًا، إلى أن عَثَرتُ على شَرح الفَنجَديهي للمقامات، فرأيتُ فيه الغايةَ المطلُوبة، والبُغيةَ المرغُوبة، والضّالّةَ التي كانت عنّي إلى هذا الأوان مَطويّةً مَحجُوبةً. فاستأنَفتُ النَّظَر ثانيًا، وشَمَّرتُ عَن ساعد الجدّ لا مُتَكاسلاً ولا وانيًا، فاستَوعَبتُه أيضًا أبلَغَ استيعابٍ، وقيَّدتُ من فَوائده ما لَم أجدْ قَبلَهُ في كتابٍ»[2].

يتَّضح مما سبق مدى الأهمية التي يَتمتَّع بها هذا الشرح، الذي ضَمَّنهُ صاحبُهُ فوائدَ الشُّرُوح التي سَبَقَتهُ، ثم أضافَ إلى ذلك ما جادَت به عبقريتُه اللاّمعة، وثقافتُه الواسعة، من تَعريف بالبلدان والأماكن، وشَرح للأمثال، ونَقدٍ للأساليب

(1) كشف الظنون ص ١٧٩٠.

(2) الشريشي ١: ٦– ٧.

والأشعار. وهذا الشرح سيكون العُمدة في دراسة الأسماء، في نصوص المقامات، لَدَى تَناوُلها بالدراسة في الفصول التالية من هذا الباب. وذلك لأن الشريشي، إضافةً إلى ما سبق، كان حَريصًا على الدّقة في التفسير اللغوي، لدرجة الاقتراب من تفسير المعاجم.

موضوع المقامات وأسلوبها

مرَّ سابقًا أن المقامات جنس أدبي، تَحكُمُه مجموعةٌ من الضَّوابط، تجعله يتميَّز عن غَيره من الأجناس الأخرى. وتلك الضَّوابط منها ما يتَّصل بالموضوع، ومنها ما يعود إلى خصائص الأسلوب. وموضوع المقامات الحريرية يتعلَّق بالمادة القصَصيّة، والنَّظرات الفكرية، والأحكام اللغوية. أما أسلوبها فيتوزَّع بين القضايا البلاغية، والمسائل الجَمالية، وطرق الأداء التَّعبيريّة.

أ ـ موضوع المقامات:

مقامات الحريري حكايات قصيرة، لا تخضع لمعايير القصة بمفهومها الحديث، وإنما هي أقرب إلى تلك الحكايات التي نجدها مبثوثة في كُتُب الأدب القديمة، ولا سيَّما كُتُب الجاحظ وكتاب الأغاني، حيث كانت تلك الحكايات تُعنى بأخبار الكَلمة، وجَمال القَول، وحُسن الجَواب، ولُطف التَّدبير، وقوّة الحُجّة، وبَراعة الجَدَل، والإرشاد والنُّصح والنَّقد والفكاهة. ولا تهتمّ عادةً بكثرة الحركة وتَنويعها، أو بإبراز الصّراع بين الشخصيات، وجَعله المحرّك الأساسي للأحداث، كما أنها لا تُرَكّز على إعطاء الشخصيات سمات فنّيّة مقصودة لذاتها، وليس لها نظام فَنّيّ تَسير الأحداثُ وفق ضَوابطه، كما هو الشأن في الحَبكة القصصية بالمفهوم الحديث.

ففي المقامة الأولى مثلاً نجد السّروجيَّ خطيبًا بارعًا، يخلب الألبابَ ببراعته،

ويسحر القلوبَ بزهده و وَرَعه، ثم ينصرف ليشرب الخمر فيَكتَشفه الحارث بن همام. والذي يقرأ المقامة يشعر أنها وُضعَت من أجل مضمون الخطبة، ودقّة الصّياغة. أما مشهد التَّعارف بين الحارث والسروجي، وما جرَى بينهما من حوار قصير، فالغرض منه إيجاد نظامٍ عام يربط هذه المقامة بأخواتها، دون قصد لفَنّيّة الحوار والحركة.

وفي المقامة الثانية يَظهر السروجيُّ شاعرًا كبيرًا، لا يكاد يُسمعُه الحاضرون بَيتًا استَجادُوه إلا يُعلن بُطلانَ رأيهم، ونُقصان معاييرهم، ثم يُنشد على منواله أو يُعارضُه، مُدَّعيًا لنفسه الفَضل والتفوُّقَ على قائلة. فالغرض من هذه المقامة إبداء الإشارات النقدية للشعر، وإظهار المقدرة على النظم، والتفوق في هذا المضمار، في حين يبدو دور الحارث بن همام هامشيًّا، لم يتجاوز به الحريري ذيول المجلس. والفائدة من ذكره هي نظم هذه المقامة في سلك المقامات الأخرى. وعلى الرغم من وجود الحوار فإنه حوار هادئ، وظيفتُهُ الإسهام في العرض وخدمة المعنى، دون الإسهام في نموّ الحَدَث وتطوُّره. وهكذا الشأن في سائر المقامات.

وأما الشخصيات فنجد الحريري قد اتَّخذ أبا زيد السروجي بطلاً لمقاماته. وهو شخصية غير حقيقية على الأرجح، كما سبق. وقد طوَّفَ به في الآفاق، وجعله يمتطي البحار، ويُرافق القَوافل والحَجيج. فكان ينصب حبائل الحيَل ليَصطاد الدراهم والدنانير، فيَظهر زاهدًا تَقيًّا مرةً، وشاعرًا مجيدًا حينًا، وعالما في النحو واللغة تارةً، وبارعًا في حَلّ الألغاز وابتكار الأحاجي، ومعرفة الرُّقَى المفيدة، والتَّمائم العاصمة من السوء، أحيانًا أخرى.

ويَظهر السروجيُّ في المقامات مستهترًا، لا ينتهي عن مُنكَر، ولا يَتوانَى في ارتكاب الكبائر والمحرَّمات، ويَلجُ كلَّ مدخل لتحصيل الأموال، غير عابئ –

على تقدّم سنّه وتوهُّج الشَّيب في لحيته ورأسه– بما يترتَّب على ذلك من آثام. وقد فَطن الحريري إلى أن استمرار بطله على هذه الصفات يجعله منبوذًا، يُثير في النفس شعورًا بعدم الارتياح، وهو ما دعاه إلى الرأفة به أخيرًا، فجعله يتمسَّك بحبال التَّوبة في المقامة الخمسين، فإذا به يقوم الليلَ ويصوم النَّهارَ، ويُبالغ في العبادة والزُّهد، ويُكثر من البُكاء والاستغفار، ويُودّع راويته المخلص على تلك الحال، مُنتظرًا مكتوب القضاء ومحتوم القدر.

واختار الحريري شخصية الحارث بن همام لرواية مقاماته، فكان هذا مُغرمًا بالرحلة والتنقل، مَشغوفًا بسماع الأدب وأخباره، دائبًا على حُبّ التعرُّف إلى رجاله والأخذ عنهم. فكان يلتقي السروجيَّ مُصادَفة فيتعرَّفه، ويكشف أمرَه، ويروي مغامراته. وكان رجلاً وَقُورًا لا يرضى سلوك شيخه السروجي، إلا أن حبَّه للأدب كان يدفعه إلى طلبه، والتزوُّد من بضاعته التي لا توجد عند غيره.

فالشخصية الرئيسة في المقامات هي شخصية السروجي، أما شخصية الحارث فكانت أقلّ أهمية، ويختلف دورها ومقدار ظهورها من مقامة إلى أخرى. أما باقي الشخصيات فقد كانت ثانوية، منها الولاة والقضاة والعلماء والمتسولون، وعامة الناس. وغالبًا ما كانت شخصية السروجي تَطغَى على جَوّ المقامة، فتبدو الشخصيات الأخرى كأشباح ساكنة، تظهر عليها علائم الانبهار والهزيمة، أمام عبقرية السروجي وعلمه الذي لا ينضب. وقلتُ «غالبًا» لأن الحريري أعطى أحيانًا تلك الشخصيات أدوارًا مهمة، كما هو الشأن حين كان يختصم السروجي وزوجته أمام أحد القضاة، أو يُخاصم ابنَه عند أحد الولاة، فكانت الزوجة تُظهر فَصاحةً في القول، وأدبًا رفيعًا لا يقلّ عن أدب أبي زيد وعلمه، وكذلك ابنه، كما في المقامة الرابعة والثامنة والتاسعة، والخامسة

والأربعين...

وكانت أحداث المقامات، مأخوذة من الحياة اليومية، والتقاليد التي تتكرر في حياة الناس، كالمثول أمام القضاة، والتخاصم إلى الولاة، والاستماع إلى العظات، وانتشار المجادلات في حلقات العلم، وسلوك المناظرات في مجالس الأُنس، والإيمان بدور الرُّقى والتعويذات. وتلك الأحداث لم تكن من ابتكار الحريري، وإنما كانت من ابتكار غيره أحيانًا، أو من الأحاديث التي كانت متداولة في عصره. وتُظهر الموازنة بين مقامات البديع ومقامات الحريري تشابهًا كبيرًا في الموضوعات، وهذا يعني أن الحريري استلهم العديد من الأحداث من مقامات البديع، الذي ابتكرها من بَنات فكره، وجرى في عرضها على سلاسة طبعه، أما الحريري فكان اهتمامه بالأسلوب أكثر من اهتمامه بالموضوع، فجاءت طريقة العرض عنده عبارة عن صناعة لغوية، دقيقة الحَبك والتَّرصيع، وقد استعصَت على جُلّ العلماء الذين حاولوا محاكاته، والسير على هداه.

وأهم المسائل الفكرية، التي تضمَّنَتها المقامات، تتلخَّص في الزهد والوعظ والأدعية، كما في المقامة الأولى، والحادية عشرة، والحادية والعشرين، والحادية والثلاثين، والحادية والأربعين، والتوبة كما في الخمسين، والصداقة وضوابط الصُّحبة كما في المقامة الرابعة، وقضية سرقة الشعر كما في الثالثة والعشرين، وإيراد الألغاز الفقهية والنحوية، كما في المقامة الرابعة والعشرين، والثانية والثلاثين، والتعرض لمساوئ الولاة كما في العاشرة، إضافةً إلى أن الحريري تحدَّث في أغلب المقامات عن حياة طبقة من الناس، يتخذون الكدية حرفة لهم، فوصف أسلوبهم في الحياة، وتحدث عن مبادئهم الساسانية، وطريقة تزويجهم، وغير ذلك.

وتتلخَّص المسائل اللغوية في عرض الألفاظ، وطريقة استعمالها، وإمكانات التعبير بها، ونقد الشعر، وتنويع الوصف، وعرض الألغاز، وبعض المسائل النحوية، والفرق بين الضاد والظاء، والحديث عن أوصاف الخمر، وكُنَى الوحوش والبهائم، إضافةً إلى عرض الألفاظ التي تخص المتسوّلين، وتنفرد بتداولها طبقتهم.

ب – أسلوب المقامات:

المقصود بالأسلوب طرائق الأداء التعبيرية عن الأفكار. والحديث عن الأسلوب يفرض الخوض في علم البلاغة، بفروعه الثلاثة: البيان والمعاني والبديع، إضافةً إلى دراسة موسيقا الألفاظ والحروف والحركات، والطبع والصنعة، ثم التركيز على مواطن الجمال بنظرة كلية شاملة في التعابير المستعملة.

ولا يسمح المقام باستقصاء الظواهر البلاغية والمحسنات الأسلوبية في المقامات، لأن ذلك يحتاج إلى دراسة مُطوَّلة لا يتسع لها هذا البحث، إذ لا يوجد لون من ألوان البيان والمعاني والبديع إلا استَعمَلَه الحريري، في مقاماته، استعمال العالم الخبير بفنون الكَلم، الطَّموح دائمًا إلى التفوُّق، المتيقّظ الحَذر من سهام النقد، الذي لم يسمح لقلمه أن يخطَّ كلمةً، إذا كان يعتقد أن غيره أقدر على صَوغها، وامتلاك أزمّة جَمالها. وكان اهتمامه بالأسلوب عظيمًا، لدرجة أنه قد صرفه عن الاهتمام بالموضوع، كما تقدم. ولذلك جاءت مقاماته لوحة فنية، تَظهَر فيها براعة الصنعة، التي شفع لها وخفَّف من غُلَوائها خفّة الروح، وسلاسة الطبع، والخبرة بالمعاني والأساليب. وكل ذلك أسهم في كمال صورتها حتى غدت آية من آيات الإعجاز.

وللحديث عن الأسلوب في المقامات أقتصر على دراسة مقطع منها دراسة مختصرة، تكفي لتوضيح صورة عامة لهذه المسألة، تاركًا التفصيل لأمكنته من

البحوث المطوَّلة المختصة بدراسة البلاغة العربية.

قال الحريري، في المقامة الخمسين، التي تَظهَر فيها توبة أبي زيد: «**قالَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ: فلَم يَزَلْ يُرَدّدُها بصَوتٍ رَقيق، ويَصلُها بزَفيرٍ وشَهيق، حَتَّى بَكَيتُ لبُكاء عَينَيه، كَما كُنتُ أبكي عَلَيه. ثُمَّ بَرَزَ إلَى مَسجده، بوُضُوء تَهَجُّده. فانطَلَقتُ رِدفَه، وصَلَّيتُ مَعَ مَن صَلَّى خَلفَه.**

ولَمّا انفَضَّ مَن حَضَر، وتَفَرّقُوا شَغَرَ بَغَر، أخَذَ يُهَينمُ بدَرسه، ويَسبكُ يَومَهُ في قالَب أمسه. وفي ضمن ذلكَ يُرنُّ إرنانَ الرّقُوب، ويَبكي ولا بُكاءَ يَعقُوب، حَتَّى استَبَنتُ أنَّهُ التَحَقَ بالأفراد، وأُشرِبَ قَلبُهُ هَوَى الانفراد.

فأخطَرتُ بقَلبي عَزمَهُ الارتحال، وتَخلِيَتَهُ والتَّخلّيَ بتلكَ الحال. فكأنَّهُ تَفَرَّسَ ما نَوَيت، أو كُوشفَ بما أخفَيت. فزَفَرَ زَفيرَ الأوّاه، ثُمَّ قَرأ: ﴿فإذا عَزَمتَ فتوَكَّلْ عَلَى الله﴾. فأسجَلتُ عندَ ذلكَ بصدق المُحَدّثين، وأيقَنتُ أنَّ في الأُمّة مُحَدَّثين.

ثُمَّ دَنَوتُ إلَيه كَما يَدنُو المُصافِح، وقُلتُ: أوصني أيُّها العَبدُ الصّالح. فقالَ: اجعَل المَوتَ نُصبَ عَينك، وهذا فراقُ بَيني وبَينك. فوَدَّعتُهُ وعَبَراتي يَتَحَدَّرنَ منَ المآقي، وزَفَراتي يَتَصَعَّدنَ منَ التَّراقي. وكانَت هذه خاتمةَ التَّلاقي»[1].

(1) الحريري ص٦٠١– ٦٠٢ ، والشريشي ٥: ٣٧٣. ويُرَدِّدها:الـ"ها" عائدة على القصيدة التي كان أبو زيد يقرؤها مراراً في ذلك المجلس، والتي تَضَمَّنَت اعترافَه بذنوبه، وإسرافَه على نفسه، وطلَبَه المغفرة من ربه سبحانه. وهذا المقطع يأتي بعد تلك القصيدة مباشرة. وقوله: كما كُنتُ أبكِي عليه، أي فيما مَضَى حِين كُنتُ أتألَّم لرُؤيتِه مُستهتِراً، وقد باع آخرتَه بدُنياهُ. وبِوُضُوء تَهَجُّده، التَّهَجُّد: قِيام الليل، يعني أنه وَصَلَ التَّهجُّدَ

التَّحليل الأسلوبي: إن السمة الأساسية للأسلوب في هذا المقطع، وفي غيره من مقاطع المقامات، هي السَّجع. وهو اتفاق رؤوس الجُمَل بالأحرف. والمقامات مَبنيّة من حيث الشكل على السَّجع، الذي يُعَدُّ أحدَ المعايير المطلوبة في إنشاء المقامة. وله أشكال عديدة، وَرَدَ بعضُها في هذا المقطع، كالسَّجع الذي يحصل بين أجزاء الجملة الواحدة، نحو قوله: «ثُمَّ بَرَزَ إلَى مَسجده، بوُضُوء تَهَجُّده»، ومنها ما يحصل بين جملتين كقوله: «حَتَّى استَبَنتُ أنَّهُ التَحَقَ بالأفراد، وأُشربَ قَلبُهُ هَوَى الانفراد»، ومنها ما يكون بين أكثر من جملتين كقوله: «فوَدَّعتُهُ وعَبَراتي يَتَحَدَّرنَ منَ المآقي، وزَفَراتي يَتَصَعَّدنَ منَ التَّراقي، وكانَت هذه خاتمةَ التَّلاقي». وفي هذه العبارة يُوجَد ما يُسمَّى بالسَّجع الداخليّ بين الكلمتين «عَبَراتي وزَفَراتي». ويُشار إلى أن كلمات السَّجع موضوعة على أن تكون ساكنة الأعجاز، مَوقُوفًا عليها، لأن الغَرَض أن يُجانَسَ

بِصَلاة الفَجر. وانطَلَقتُ رِدفَه، أي: خَلفَهُ. وانفَضَّ مَن حضَرَ، يعني تَفرَّقَ المصَلُّون بعد الصَّلاة. وشَغَرَ بَغَرَ: في كل اتجاه. ويُهَينِمُ: يُردِّدُ كلاماً خَفيًّا لا يُفهَمُ. ويَسبِك يَومَه في قالَب أمسه، أي: يَفعل في اليَوم ما فَعل بالأمسِ من المداومة على التَّسبيح والاستِغفار.

والرَّقُوب: المرأة التي لا يعيش لها ولد. ويُرِنُّ: يُصَوِّت. والأفراد: الأبدال. وهم سَبعة من العُبّاد لا تَخلُو الدُّنيا منهم، فإن ماتَ واحدٌ خلَّفَ اللهُ تعالى في موضعه آخر. والآثار التي تتحدَّث عن وجود الأبدال ضَعِيفة. وهَوَى الانفِراد: حبّ الوَحدة. وتَفرَّسَ: عَلِم بنَصِيرتِه وجودة نظَرِه. وكُوشِفَ: أُطلِع وأُخبِر عن طريق الإلهام الملَكُوتِي. والأوّاه: الحَزِين الَّذِي يَصِيح آه آه. وأسجَلتُ: صَدَّقتُ وتَيَقَّنتُ. والمحَدَّثُون: الذين حدَّثُوه بتَوبة السروجي. والمحَدَّثُون: الذين يُكشَفُ لَهم ما وراء الحُجُب، ويُحَدَّثُون به. والمآقِي: مُفرَدُها مُؤق. وهو حَرف العَين الَّذي يَلِي الأنف. والتَّراقِي: جمع تَرقُوة. وهي عظم مُعوجٌّ أعلى الصدر. والتَّراقي صيغة جمع عُبِّر بها عن المثنى، لأنهما عظمان اثنان.

بين القَرائن ويُزاوَج بينها، وما يتم ذلك إلا بالوَقف، وإلا ذَهَبَت أيادي سَبأ[1].

ولا يَخفى أن السجع يسبب عادةً هُبوطًا في مستوى الأسلوب والمعنى، إذا لم يكن الكاتب مُتمتّعًا بخبرة كافية، ورُوح شفّافة، وطَبع لَطيف، يُخفّف من خطَر التَّزَحلُق في مَهاوي الصّنعة وغُلَوائها. وذلك لأن الكاتب يشغل فكره، في هذه الحالة، بالملاءمة بَين الألفاظ على حساب المعايير الأُخرى لسَلامة التعابير ومحاسنها. أما حين يكون الكاتب متمكنًا فالسَّجع يصبح عنصرًا جماليًا في النص. وهذا ما نجده في أسلوب المقامات، حيث إن الغالب فيها أن يكون السجع بين جملتين فقط. وهذا أمر سَهل يُخفّف من كُلفة البحث والمشقّة في التفكير بالألفاظ. ومن جهة أخرى لم يذهب الحريري بالسَّجع إلى لُزُوم ما لا يَلزَم كما فعل السرقسطي، بل اكتفى بتحقيقه بين الحَرفَين الأخيرَين غالبًا، وما وُجدَ من ذلك فقد جاء عَفو الخاطر، دون أن تَظهر الكُلفة باستحضاره.

ويتَّصف الأسلوب في المقامات بقصَر الجُمَل بوجهٍ عام، كقوله: «اجعَل الموتَ نُصبَ عَينك، وهذا فراقُ بَيني وبَينك». وهذه السّمة تمنح الأسلوبَ رشاقةً مُحبَّبةً، وتكسر سكونَ الهُدوء المملّ، وتُنقّي التَّعابير من شَوائب الحَشو والاستطراد.

ومن سمات الأسلوب إقامة التَّوازن بين الجُمَل، من حيث الطُّول والقصَر، حيث يغلب أن تأتي الجملة مساويةً لقَرينتها،كقوله هنا: «فأخطَرتُ بقَلبي عَزمَهُ الارتحال، وتَخليتَهُ والتَّخَلّيَ بتلكَ الحال». وقد تأتي الجملة الثانية أطول من قَرينتها الأُولى كقوله: «أخَذَ يُهَينمُ بدَرسه، ويَسبكُ يَومَهُ في قالَب أمسِه». وقد تجيء الجملة الأولى أطول من الثانية نحو قوله: «فلَم يَزَلْ يُرَدّدُها بصَوتٍ رَقيق، ويَصلُها بزَفيرٍ وشَهيق».

(1) شرح مقامات الزمخشري ص١٣.

ومن أهم سمات الأسلوب في المقامات التَّضمين والاقتباس، وخاصة من القرآن الكريم. والذي يقرأ المقامات يشعر أن الحريري قد استفاد من أسلوب القرآن الكريم استفادةً لم تَتأتَّ لغَيره من الأدباء. ويَرجع السبب في ذلك إلى أنه كان يُضمّن مقاماته الآيات القرآنية، في مواطن خاصة. وذلك حين كان يُريد لقارئه أن يصل إلى اللفظ قبل سماع اللفظ. ومثل هذه المواطن تشغل القارئ بمُتعة الوُصول عن الإحساس بالفَرق بَين الأسلوبَين.

ومن أمثلة التضمين القرآني في هذا المقطع قوله: فزَفَرَ زَفيرَ الأوّاه، ثُمَّ قَرأ: ﴿فإذا عَزَمتَ فتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾. فالقارئ ما يكاد يسمع قوله تعالى: ﴿فإذا عَزَمتَ﴾ حتى يُكمل الآية من حفظه. ويُعزّز ذلك كون القرآن الكريم محفوظًا، بخلاف غَيره من الأمثال والنصوص الشعرية. فالحريري قَصَد من التضمين منح القارئ مشاركةً في الوُصول إلى المعنى، تجعله يُحسّ بأن المقامات قريبة من قلبه، إضافةً إلى توظيف الدلالات القرآنية، وإيحاءاتها الإيمانية، في خدمة الأسلوب، إذ إن السياق القرآني يقع في القلب موقعًا يمنح النص قدرةً على التأثير في وجدان القارئ، ومشاعره الإيمانية.

فالآية السابقة مثلاً تَستَوقف القارئ لتُذَكّره بنعمة الإسلام، وقُرب المسلم من ربه عزّ وجَلّ. وقد تجعله يتذكَّر شيئًا من المصائب التي تمر بساحته، فيَطرُق الحزنُ قلبَه لحظةً، ثم يَتلاشَى أمام قُوّة الإيمان، والثّقة بالله سبحانه، تلك القوة الإيمانية التي تستمدُّ تجدُّدَها من معاني التَّوكُّل على الله سبحانه. ويختلف التفاعل مع النَّص القرآني من شخص إلى آخر بحسب الهمّة والفقه والمرتبة الإيمانيّة. والمهمُّ أن جميع هذه التأملات، التي يتلوَّن بها قلبُ الإنسان عادةً، استطاع الحريري أن يُوَظّفها في تحسين أسلوبه من خلال التضمين.

وحين يُضمّن الحريري مقاماته شيئًا من القرآن الكريم نجده يذكر ذلك أحيانًا كما فعل في الآية السابقة، وقد يُدرج الآية ضمن أسلوبه، دون إشارةٍ إلى أنها من القرآن الكريم، كما في قوله: «اجعَل الموتَ نُصبَ عَينك، وهذا فراقُ بَيني وبَينك». وهنا أيضًا يستطيع القارئ أن يصل إلى نهاية الآية قبل سماعها، لطول الأُلفة بين المسلم والذّكر الحكيم. ولا يَقتصر التَّضمين عند الحريري على القرآن الكريم، بل يشمل الشعر وأساليب العرب والأمثال. وكل ذلك مبثوث في نصوص المقامات بكثرة. والملاحَظة العامّة التي تَستحق الوقوف عندها، في شأن هذه المسألة، هي أنه لا يُضمّن إلا ما هو مشهور بين الناس. ولعلّ ذلك يعود إلى رغبته في جعل القارئ يصل إلى الألفاظ مُستعينًا بحفظه، كما تقدم، إضافةً إلى أنه يُصادف لَدَى القارئ أحاسيس مُثارةً سَلفًا، واستعدادًا مُسبقًا للتَّفاعُل مع النَّص.

ويكثر في أسلوب المقامات الجناس بأنواعه، والطّباق بأشكاله. والأوَّل أشهَر وأكثَر، لأن معايير المقامة تُوصل إليه، كالارتحال والحال، والتَّراقي والتَّلاقي، في هذا المقطع. والخلاصة أن المقامات تبدو كبُردة حَريريّة مُرصَّعة بألوان البديع. وهذا هو السبب الذي جَعَلَني أبدأ بدراسة المحسنات البديعية، قبل غيرها من المحسنات الأخرى، في هذا التحليل الأسلوبي.

ويَتنقَّل الحريري بأسلوبه بين الخبر والإنشاء. ويختلف حُضُورُهُما بحسب طبيعة المقامة، إذ كان يُكثر من الخبر في المواطن التي يُقدّم فيها للقارئ خلاصةَ تجاربه، وما انتَهَت إليه معارفُهُ وقناعتُهُ، في حين كان يلجأ إلى الإنشاء عند إيراد الحُجَج والألغاز ولاسيما الاستفهام والأمر. ويتجلَّى الإنشاء في هذا المقطع في قوله:« قُلتُ: أوصني أيُّها العَبدُ الصّالحُ. فقالَ: اجعَل الموتَ نُصبَ عَينكَ»، أما باقي

المقطع فإنما ينتمي إلى الخبر.

والذي يُلاحَظ في المقامات هو كثرة الأسماء، حيث إن الأسماء فيها أكثر من الأفعال. وهذا أحد الأسباب التي رجَّحت لاختيار البحث. والأفعال تدلّ على التَّجدُّد والحركة، على حين تدلّ الأسماء على الثَّبات الاستمرار. وهذا يعني رجحان الثبات على الحركة بوجه عام، لولا دَور الجُمَل القصيرة والأسلوب الرَّشيق وموسيقا البديع في إقامة التوازن وتعديل ذلك.

ومن محاسن الأسلوب في المقامات الابتعادُ عن الإلحاح على جوانب الفكرة. وما ألطف قوله في وصف حالة أبي زيد بعد التوبة: «فلَم يَزَلْ يُرَدّدُها بصَوتٍ رَقيق، ويَصلُها بزَفيرٍ وشَهيق، حَتَّى بَكَيتُ لبُكاء عَينَيه، كَما كُنتُ أبكي عَلَيه». فهذه العبارة الموجزة تُصوّر لنا الحالة التي آلَ إليها أبو زيد، بعد أن استقلّ مركب التَّوبة، طمعًا في الوُصُول إلى شواطئ المغفرة.

ونحن نستطيع أن نتصور تلك الحالة، بكل ما يُريده لها الحريري من مبالغة، مع أنه أجمَلَ وأوجَزَ. وذلك لأنه يستفيد، من خلال هذا الأسلوب، من خيال القارئ، الذي ينشط في تصوُّر أبي زيد، وقد خالَطَت لحيتَه دموعُ النَّدَم، وارتعَشَت يداه بوقفة التَّضرُّع والخُشُوع، وحارَ به الفكر وسط صَمتٍ رَهيب، وبُهتَ بصرُه بشعاع الرَّجاء البارق من بَعيد. والقارئ في كل مرة يقرأ فيها هذه العبارة يرتسم في خياله تصوُّر جديد لهَيئة السَّرُوجي، فيشعر كأنه يقرأ هذه العبارة أول مرة. وهذه السّمة مُهمّة جدًا في صَون المقامات من سهام الخَلَق، التي تَندفع من أقواس التَّكرار والاستعمال.

ويُشار إلى أن بديع الزمان كان يُحبُّ التفصيلَ، لدرجة أنه كان يَلجُ المداخل، ويكشف كُلَّ الأستار، التي تُحيط بالفكرة. وذلك لأن الغاية الجمالية عنده كانت

تتساوى مع الغاية التعليمية. فهو يقول على لسان أبي الفتح الإسكندري: «سَلُوا عَنّي البلادَ وحُصُونَها، والجبالَ وحُزُونَها، والأوديةَ وبُطُونَها، والبحارَ وعُيُونَها، والخَيلَ ومُتُونَها، مَن الَّذي مَلَكَ أسوارَها، ونَهَجَ سَمتَها، ووَلَجَ حَرّتَها ؟ سَلُوا المُلُوكَ وخَزائنَها، والأغلاقَ ومَعادنَها، والأُمُورَ وبَواطنَها، والعُلُومَ ومَواطنَها، والخُطُوبَ ومَغالقَها، والحُرُوبَ ومَضايقَها، مَن الَّذي أخَذَ مُختَزَنَها، ولَم يُؤَدّ ثَمَنَها؟ ومَن الَّذي مَلَكَ مَفاتحَها، وعَرَفَ مَصالحَها»[1] ؟ فهذا المقطع يَدلُّ على ما فيه من إلحاح وتفصيل، ووَلَع باستقصاء الجزئيات. على حين لا نجد هذا التَّفصيلَ في أسلوب الحريري.

ومن سمات الأسلوب، كما تقدَّم سابقًا، اتّساع المعجم اللفظي، فيُلاحظ مَن يقرأ المقامات أن الحريري كان يستعمل في كل مقامة ألفاظًا جديدة، غير الَّتي استعمَلَها في أخواتها. لهذا تضمَّنَت شُروح المقامات ما يَتَضمَّنُه معجمٌ متوسط الحجم من الألفاظ. ومن العادة أن يكون لكل أديب معجمٌ محدود، يدور في فَلَكه ولا يتجاوزه، أمّا الحريري فكان معجمه اللغة بتمامها، إذ يَظهَر في مقاماته كأنما جُمِعَت له اللغة، ليَنتَقي منها ما يُريد. ويمكن القول: إن المقامات لو تجاوزت حَجمها لاستوعَبَت معظمَ الألفاظ العربية.

ويَفيض أسلوبُ الحريري بالمحسنات، التي تعود إلى أصول علم البيان، من استعارات وتشبيهات وكنايات. ويَدلُّ الاستقراء على أن ما استُعمل من التعابير، على الحقيقة، لا يتجاوز العُشرَ، في حين كانت معظم التعابير مبنية على المجاز. والحديث عن المحسنات البيانية في المقامات يحتاج إلى بحث مُطَوَّل، كما تقدَّم، لذلك أكتفي برَصدها في المقطع المختار، علمًا أنها قليلة هنا، بالقياس إلى المواضع

(1) شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٢٧.

الأخرى، لأن الحريري في هذا المقطع أراد أن يجري على الطَّبع، لأنه قَصَد الغوصَ هنا في خَبايا النفس، وأحاسيس الرُّوح ، وأسرار القلب، وأعماق الوُجدان، وما يَعتَلجُ في الصدور من حُرقة وأشجان. ولا يخفى أن الطبع في هذه الحال أقدَرُ من الصّنعة وكُلفتها على الوَفاء بالمطلوب.

ومن الصُّوَر البيانية في هذا المقطع التشبيه البليغ، في قوله: ((يُرنُّ إرنانَ الرَّقُوب، ويَبكي ولا بُكاءَ يَعقُوبَ)). فقد شبَّهَ صوتَ أبي زَيد، مُستغيثًا برحمة الله وغُفرانه، بصوت المرأة التي تُفجَعُ بمَوت أولادها، وحَذَف الأداةَ ووَجهَ الشَّبَه، على سبيل التشبيه البَليغ. ومن هذا قوله: ((فزَفَرَ زَفيرَ الأوّاه)). وفي قوله: ((ثُمَّ دَنَوتُ إلَيه كَما يَدنُو المِصافحُ)) تشبيه مُرسَل من حيث ذكر الأداة، ومُجمَل من حيث حَذْف وَجه الشَّبَه.

وقوله: ((وزَفَراتي يَتَصَعَّدنَ منَ التَّراقي)) فيه مَجاز عَقلي علاقته المجاوَرة، لأن الأنفاس تخرج من الحَلْق، وإنَّما التَّراقي عَظمان قريبان منه. وفي قوله: ((حَتَّى بَكَيتُ لبُكاء عَينَيه)) مجاز عقلي أيضًا، لأن الذي يَبكي هو الإنسان، وإنَّما العُيُون تَدمَع. وساغ ذلك التعبير لأن آثار البكاء تَظهَر على العُيُون. ونَجده في قوله: ((وأُشربَ قَلبُهُ هَوَى الانفراد)) قد شبَّهَ القَلب بالأرض العَطشَى، والهَوَى بالماء، ثم حذَفَ المشبَّه به وهو الأرض والماء، وأبقى ما يَدلُّ عليهما وهو الإشراب، على سبيل الاستعارة المكنيّة. وقوله: ((ويَصلُها بزَفيرٍ وشَهيقٍ)) كناية عن شدّة النَّدَم والحُزن. وقوله: ((ثُمَّ بَرَزَ إلَى مَسجِدِه، بوُضُوء تَهَجُّدِه)) كناية عن الاستمرار في العبادة ومواصلتها. وقوله:((ويَسبكُ يَومَهُ في قالَب أمسه)) كناية عن تكرار العادة.

إن الصُّوَر البيانية السابقة لا تتجاوَزُ قطرةً من وابل، تَجَمَّع في أودية المقامات،

ليَروي أزاهيرَها، ويَمُدَّ اخضرارَها بالطَّلاوة والرّواء. وفيما يخصّ الموسيقا فقد أتقنَ الحريري نَسجَها من خلال التشابه الشَّكلي بين أوزان كلماتها، إضافةً إلى التطابق بين الكثير من الحروف، التي وَظَّفها من حيث المخارج بحسب المقام. ولا داعي للتفصيل في هذه المسألة فهي معروفة لدى الدارسين، ومشهورة في المقامات. وإنما الذي يَلفتُ الانتباه أن الحريري استفاد، من أوزان الشّعر، في تحقيق موسيقا إضافيّة.

فقوله: «بصَوتٍ رَقيق» من مَنهُوك المتقارَب. وقوله: «بزَفيرٍ وشَهيق» من مَنهُوك الرَّمَل. وقوله: «ولَمّا انفَضَّ مَن حَضَرَ» من مَنهُوك الوافر. وقوله: «بوُضُوء تَهَجُّده» من مَنهُوك المتدارَك. ولو حَذَفَ الواوَ، ولامَ البُعد من قوله: «وفي ضمن ذلكَ يُرنُّ إرنانَ الرَّقُوب» لأصبح قوله شَطرًا من الكامل. ولو استَبدَلَ اسم الإشارة «هذه» باسم الإشارة «تلك» في قوله: «وكانَت هذه خاتمةَ التَّلاقي» لأصبح شطرًا من الوافر. وهذا كثير في المقامات، ويكثر دائمًا في الكتابات النثرية، التي تخطُّها أقلام الشعراء.

هذه بعض سمات الأسلوب عند الحريري. وقد آثرتُ أن أقتصر في عرضها على مقطع واحد، رغبةً في الاختصار، واقتناعًا بأن الإشارات تغني عن التفصيل في هذا المقام الذي لا يسمح بالإطالة.

المصادر والمراجع

١- أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي. تحقيق: الدكتور علي أبي زيد ورفاقه، ط١، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨.

٢- تاريخ الأدب العربي لبروكلمان. ترجمة: الدكتور رمضان عبد التواب، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٥.
٣- زهر الآداب وثمر الألباب للحصري القيرواني. تحقيق: الدكتور صلاح الدين الهواري، ط١، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا ٢٠٠١.
٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد. تحقيق: محمود الأرناؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٦.
٥- شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني لمحمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩.
٦- شرح مقامات الحريري للحريري. دار الفكر، دمشق، دون تاريخ.
٧- شرح مقامات الحريري للشريشي. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت وصيدا ١٩٩٨.
٨- شرح مقامات الزمخشري للزمخشري. تحقيق: يوسف البقاعي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨١.
٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي. شرح وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧.
١٠- عصر الدول والإمارات «الأندلس» للدكتور شوقي ضيف. جامعة حلب ١٩٩٤.
١١- كشف الظنون لحاجي خليفة. دار الفكر، بيروت ١٩٩٠.
١٢- مجلة التراث العربي، العدد ٨٥، لعام ٢٠٠٢.
١٣- المزهر للسيوطي. تحقيق: محمد جاد المولى ورفاقه، المكتبة العصرية، صيدا وبيروت ١٩٨٧.

١٤- معجم الأدباء لياقوت الحموي. تحقيق: الدكتور عمر إبراهيم الطباع، ط١، مؤسسة المعارف، بيروت ١٩٩٩.
١٥- وفَيات الأعيان لابن خلكان. تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.
١٦- يتيمة الدهر للثعالبي. تحقيق: الدكتور مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.

واو الثمانية

أ. يوخنَّا مرزا الخامس

تعريفٌ بواو الثَّمانية:

يُعرِّف النُّحاة الَّذين يقولون بمصطلح واو الثَّمانية: إنَّها الواو الَّتي «تقع في الكلمة الثَّامنة مِن الصِّفات المسرودة لِتدلَّ على أنَّ المعبَّر عنه بها ثامنٌ، أو عدده ثمانية»[1]؛ أيْ إنَّها الواو الَّتي تقع قبل الصِّفة الثَّامنة، مع خلوِّ الصِّفات السابقة لها مِن الواو؛ لذلك سمَّوها بـ(واو الثَّمانية).

وقالوا إنَّ سببَ مجيء الواو في الصِّفة الثَّامنة دون غيرها، هو أَنَّ العدد عند العرب ينتهي إلى السَّبعة وهو عدد كامل لديهم، فإذا زادوا عليه زادوا واوًا على الصِّفة الثَّامنة[2]. لذلك قالوا: « السبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الآن عندنا »[3]. وقيل: جاءتْ مع الصِّفة الثَّامنة؛ «لأَنَّ السَّبعة أَصل المبالغة في العدد، كما كانتِ السبعون كذلك في قوله – تعالى– ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ[4]﴾»[5]. وقيل هي لغة قريش، قال أَبو حيَّان الأَندلسيُّ

---

(1) جواهر الأدب في معرفة كلام العرب ص(٩٦).

(2) ينظر: فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ص(٥٣٠)، دُرَّة الغوَّاص ص(٢٤)، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠، مغني اللَّبيب ٤٧٤/١، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، صرف العناية في كشف الكفاية ص(١٥١).

(3) الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠. وينظر: وضح البرهان في مشكلات القرآن ٤٠٥/١، الجنى الدَّاني ص(١٩٥).

(4) التَّوبة: (٨٠).

(5) البيان في غريب إعراب القرآن ٨٥/٢.

(ت٧٤٥هـ): «... وإنَّ قريشًا إذا تحدَّثتْ تقول ستَّة سبعة وثمانية تسعة فتُدخِل الواو في الثَّمانية»[1].

نستشفُّ مِنْ هذا أَنَّ الواو ذُكرتْ في الصِّفة الثَّامنة مِنَ الصِّفات المعدوداتِ؛ إمَّا لأَنَّها نهاية العدد كالعشرة عندنا الآن، وإمَّا جِيءَ بها لأَنَّ العدد سبعة في غاية مِنَ المبالغة، وإمَّا هي لغة قريش وبها نزل القرآن الكريم لذلك ذُكِرَتْ فيه.

ومهما يكنْ مِنْ شيءٍ فإنَّ علماءَنا مِنَ السَّلف حصروا الآيات الَّتي وردتْ فيها واو الثَّمانية، وهي:

١- ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. [التَّوبة ١١٢].

٢- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُم﴾. [الكهف ٢٢].

٣- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا... وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾. [الزُّمر ٧١، ٧٣].

٤- ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ [التَّحريم ٥].

٥- ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾. [الحاقَّة ٧].

فالواو في قوله تعالى ﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، و﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، و﴿وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾، و﴿ثيِّباتٍ وأَبكارًا﴾، و﴿وثمانيةَ أَيَّام﴾، هي (واو الثَّمانية﴾ في

(1) تفسير البحر المحيط ١١٤/٦، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/٨، ٣١٨/١٠، ٢٢٨/١٥، الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون ٤٤٦/٤.

اصطلاح عددٍ مِنَ الكُتَّاب والنُّحاة والمفسِّرين.

أقسام واو الثَّمانية:

والنَّاظر في هذهِ الآيات يجد أَنَّ (واو الثَّمانية) تنقسم قسمينِ اثنينِ:

الأوَّل: واو الثَّمانية المعنويَّة: – وهي الواو الَّتي تأْتي في نصٍّ لا تكون الصِّفات الثَّمانية ملفوظةً فيه، وإِنَّما تُعرف مِنْ معنى النَّصِّ، ونعلم مِنْ خَلَلِه أَنَّ هناك صفاتٍ معدوداتٍ لكنَّها غيرُ مذكوراتٍ. وخير دليلٍ على ذلك آية الزُّمر المذكورة آنِفًا، إذ جاءتِ الواو عند ذكر أَهل الجَنَّة، ولم تأْتِ عند ذكر أَهل النَّار؛ «إذ قيل (فُتِحتْ) في آية النَّار لأَنَّ أَبوابها سبعة، (وفُتِحتْ) في آية الجنَّة لأن أَبوابها ثمانية»[1].

وقد فُسِّرتْ هذهِ الواو تفسيرًا آخرَ، فقيل: « لما قال اللهُ عزَّ وجلَّ في أَهل النَّار ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دلَّ بهذا على أَنَّها كانتْ مُغلقةً، ولما قال في أَهل الجَنَّةِ ﴿ حَتَّى إِذَا جَاؤوهَا وفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دلَّ بهذا على أَنَّها كانتْ مُفَتَّحة قبل أَنْ يجيئوها.[2]

وما ينطبق على هذهِ الآية ينطبق على آيات: ﴿وثامِنُهم كَلبُهم﴾، ﴿وثمانية أَيَّام﴾، في كون الواو فيه جاءتْ لثمانية أَشياء لم يُعدِّدها النَّص القرآني؛ وإِنَّما عرفناها

(1) إرشاد السَّاري لشرح صحيح البخاري ٣٩٧/٧. وينظر: معاني الحروف ص (٦٤)، فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ص(٥٣١)، دُرَّة الغوَّاص ص(٢٤)، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/١٥– ٢٢٩، بدائع الفوائد ١٧٥/٢، الدُّرُّ المصون ٢٦/٦، جواهر الأَدب ص(٩٦).

(2) إعراب القرآن ٨٣١/٢. وينظر: مُشكل إعراب القرآن ٢٦١/٢، المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٥٤٣/٤، تفسير النَّسفي ٦٨/٤.

مِنْ خلل المعنى.

الآخر: واو الثَّمانية اللَّفظيَّة: – وهي الواو الَّتي تأْتي مع صفاتٍ معدودات ملفوظاتٍ في النَّص القرآني، فترِدُ الواو مع الصِّفة الثَّامنة دون الصِّفات السبع السَّابقة. مثالها قوله تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾. وقوله تعالى: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾. فنرى أَنَّ الصِّفات في الآيتين معدواتٌ، لذا فهي واو جاءتْ مع صفةٍ ثامنةٍ قبلها صفات ملفوظات في النَّص القرآني.

وقد تنبّه ابن قيِّم الجوزيَّة (ت٧٥١هـ(إلى هذا الفرق بين الواوينِ دون أَنْ يُسمِّيَهُما، فقال: « ... ومِنْ دعوى كونها واو الثَّمانية لأَنَّ أَبواب الجَنَّة ثمانية [في آية الزُّمر المذكورة آنفًا] فإِنَّ هذا لو صحَّ فإِنَّما يكون إِذا كانتِ الثَّمانية منسوبة في اللَّفظ واحدًا بعد واحدٍ فينتهون إِلى السَّبعة ثُمَّ يستأْنفون العدد مِنَ الثَّمانية بالواو وهنا لا ذكر للفظ الثَّمانية ولا عدِّها فتأَمَّلْهُ»[1].

نشأَةُ مصطلحِ واو الثَّمانية، وأدلَّتُهُ:

بعد التَّنقير في كتب المتقدمينَ النَّحويَّة لم أَعثر على مصطلح واو الثَّمانية فيها؛ بل إِنَّهم كانوا يسمُّونها تسمياتٍ أُخرى سنأْتي عليها في آخرِ مطالب هذا البحث. والحقُّ أَنَّ هذا المصطلح عثرنا عليه في مؤلفات علماء القرن الرَّابع الهجري. قال المرادي (ت٧٤٩هـ(: «واو الثَّمانية: ذهب قومٍ إِلى إِثبات هذه الواو منهم: ابن خالويه والحريريُّ وجماعةٌ مِنْ ضَعَفةِ النَّحويين»[2]. وزادوا عليهم الثَّعلبي

(1) بدائع الفوائد ١٧٥/٢.

(2) الجنى الدَّاني ص(١٩٤– ١٩٥). وينظر: مُغني اللَّبيب ٤٧٤/١، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، صرف العناية في كشف الكفاية ص(١٥١).

مِنَ المفسَّرين[١]، والثَّعالبي مِنَ الأُدباء[٢]. وأَرى أَنَّ ابنَ خالويه هو أَوَّلُ مَنْ استعمل هذا المصطلح؛ إذا ما اعتبرنا وفاة مُستخدميه هي الفيصل في تقديم عالِمٍ على صاحبِه. وهذهِ نصوصٌ تؤَكِّد استعمالَ أَصحابها لمصطلح واو الثَّمانية صراحةً:

١- **الحسين بن أَحمد، أَبو عبد الله بن خالويه** (ت٣٧٠هـ): – قال الزَّركشي (ت٧٩٤هـ): « ... وفي هذا ما حُكي أَنَّه اجتمع أَبو عليٍّ الفارسيُّ مع أَبي عبد الله الحسين بن خالويه في مجلس سيف الدَّولة، فسُئِل ابن خالويه عن قوله تعالى : (حتَّى إِذا جاءوها فُتِحَتْ أَبوابها) في النَّار بغير واوٍ وفي الجَنَّة بالواو، فقال ابن خالويه : هذهِ واو الثَّمانية ...»[٣].

٢- **أحمد بن محمَّد بن إبراهيم الثَّعلبي، أَبو إسحاق** (ت٤٢٧هـ): صاحب تفسير (الكشف والبيان في تفسير القرآن)، المعروف بتفسير الثَّعلبي[٤]. وقد ذكرتْ كتب النَّحو والتَّفسير أَنَّه مِنْ أَوائل المفسِّرين الَّذين استعملوا هذا المصطلح في كتابه المذكور آنفًا وأيَّده. فقيل : « واو الثَّمانية، ذكرها جماعة مِنَ الأُدباء ... ومِنَ المفسِّرين كالثَّعلبي»[٥].

٣- **عبد الملك بن محمَّد، أَبو منصور الثَّعالبي** (ت٤٢٩هـ)، قال: «ومنها واو الثَّمانية كقولك: واحد اثنان ثلاثة أَربعة خمسة ستَّة سبعة وثمانية ... وواو

(1) ينظر: مُغني اللَّبيب ٤٧٤/١، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، صرف العناية في كشف الكفاية ص(١٥١).

(2) ينظر: فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ص(٥٣١).

(3) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨.

(4) ينظر: الأَعلام ٢١٢/١.

(5) مُغني اللَّبيب ٤٧٤/١. وينظر: المحرِّر الوجيز ٥٠٨/٣، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠

الثَّمانية مُستعمَلةٌ في كلام العرب»[١].

٤- **القاسم بن عليٍّ، أَبو محمَّد الحريري** (ت٥١٦هـ)، قال: « ومِنْ خصائص لغة العرب إلحاق الواو في الثَّامن مِنَ العدد ... وتُسمَّى هذهِ الواو: واو الثَّمانية»[٢].

وقد تنبَّه عدد مِنَ العلماء إلى هذهِ الواو على الرُّغم مِنْ أَنَّهم لم يقولوا بهذا المصطلح، بل كان كلامهم تنظيرًا للآخرين الَّذين وضعوا المصطلح. فأَوَّلُهم الَّذي له قصب السَّبق لولادة مصطلح جديد هو أبو بكر سالم عيَّاش (ت١٩٣هـ)، إذ قال القرطبي (ت٦٧١هـ) في كلامه على قوله تعالى: ﴿حتَّى إذا جاءوها وفُتِحَتْ أَبوابُها﴾: – «وقيل: إنَّها واو الثَّمانية وذلك عادة قريش أَنَّهم يعدُّون مِنَ الواحد فيقولون خمسة ستَّة سبعة وثمانية، فإذا بلغوا السَّبعة قالوا: وثمانية. قاله أَبو بكر بن عيَّاش»[٣]. وقد تلا تلوهُ في ذلك محمَّد بن أَحمد ابن الحسين الشَّاشي القفَّال (ت٥٠٧هـ)، إذ قال: «إنَّ قوماً قالوا: إنَّ العدد ينتهي عند العرب إلى السَّبعة، فإذا احْتِيجَ إلى الزِّيادة عليها استُؤنفَ خبر آخر بإدخال الواو ...»[٤]. وأَبو عبد اللَّه محمَّد بن عبد الله المالقي (ت٥١٩هـ) فقال: « العرب مِنْ شأْنهم أَنْ يقولوا إذا عَدُّوا: واحد اثنان ثلاثة أَربعة خمسة ستَّة سبعة وثمانية تسعة عشرة. وهكذا لغتهم. ومتى جاء في كلامهم أَمر ثمانية أَدخلوا الواو.»[٥].

مِنْ هذهِ النُّصوص نتوصَّل إلى أَنَّ هؤلاء العلماء – الَّذين قالوا بهذا

(1) فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة ص(٥٣٠– ٥٣١).

(2) دُرَّة الغواص ص(٢٤).

(3) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٨/١٥، و٣١٨/١٠. وينظر: المحرِّر الوجيز ٥٠٨/٣.

(4) الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠.

(5) الجامع لأحكام القرآن ٢٣٥/٨. وينظر: المحرِّر الوجيز ٨٩/٣ – ٩٠.

المصطلح، أَو الَّذين تنبَّهوا لهذهِ الواو – وجدوا أنَّ لهذهِ الواو خصيصة تختلف عن واو العطف وواو الاستئناف وغيرهما مِنَ الواوات.

وقد وجدوا – أيضًا – بعد أَنْ قُعِّدَ النَّحو، وأَخذ المنطق والفلسفة يدبَّان فيه مِنْ كُلِّ جانبٍ أَنَّ لهذهِ الواو دلالاتٍ تختلف عن بقيَّة الواوات، ولا يمكن أَنْ تدخل تحت تلك المسمَّيات الإعرابيَّة للواو . لهذا فهي – عندهم – ليستْ واو العطف أو واو الاستئناف أَو الواو الزائدة . وأَخذوا في تعليل ورودها في الصَّفة الثَّامنة تعليلات مختلفة وبأَدلَّة شتّى، منها:

١– إنَّ ذِكْرَ عددٍ مِنَ الصِّفات بغير واو مرّة وبواوٍ مرَّة أُخرى يأتي مِنْ خللِ أَنَّ «لكلِّ مقام معنىً يُناسبه، فإذا كان المقامُ مقامَ تعداد صِفات مِنْ غير نظرٍ إلى جمعٍ أَو انفرادٍ حسُن إسقاط حرف العطف، وإنْ أُريدَ الجمع بين الصِّفتين أَو التَّنبيه على تغايرهما عُطف بالحرف، وكذلك إذا أُريدَ التَّنويع لعدم اجتماعهما أُتي بالحرف أَيضًا»[1].

أَي إنَّ الجمع بين الصِّفات هو الَّذي جَلَبَ الواو مع الصِّفة الثَّامنة، وهو الَّذي أَسقطها لعدم وجود جامعٍ بين الصِّفات تلك؛ لهذا ذُكِرتْ تارة وتُرِكَتْ تارة أُخرى.

٢– إنَّ هذه الواو جاءتْ لتصديق القائل، ولتأْكيد أَنَّ ما بعد هذهِ الواو هو الحقُّ؛ وذلك «لأَنَّها عاطفة على كلامٍ مضمر، تقديره: نعم، وثامنهم كلبهم، وذلك أَنَّ قائلاً لو قال: إنَّ زيدًا شاعرٌ، فقلتَ له: وفقيه،كنتَ قد صدقتَهُ، كأَنَّكَ قلتَ: نعم هو كذلك، وفقيهٌ أيضًا ... »[2].

٣– وقيل: إنَّها جاءتْ مع الصِّفة الثَّامنة لتدلَّ على أَنَّ الشيءَ قد تمَّ وأَنَّ

(1) الأَشباه والنظائر في النَّحو ٩٨/٤. وينظر: المحرِّر الوجيز ٨٩/٣.

(2) الرَّوض الأُنف ١٧٠/٣. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٠.

القصَّة قد تمَّتْ، قال الزَّجَّاجُ (ت٣١١هـ(: « وقد يجوز أَنْ يكون الواو يدخل ليَدُلَّ على انقطاع القصَّة وأَنَّ الشيء قد تمَّ.»[١]. وتدلَّ أَيضًا على أَنَّ ما بعد هذه الواو أَمر قطعيٌّ وحقيقيٌّ، لذا قال ابن عبَّاس (ت٦٨هـ(– رضي الله عنهما – « حين نعقب الواو [في قوله: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾] انقطعتِ العِدَّة»[٢].

٤– وقال الزَّمخشري (ت٥٣٨هـ(: إِنَّ هذهِ الواو جاءتْ لتؤكِّد لصوق الصِّفة بالموصوف، وإِنَّ اتصافه بها هو أَمر ثابت مستقرٌّ[٣].

٥– إِنَّ الواو جاءتْ بين الصِّفتينِ السَّابعة والثَّامنة؛ لأَنَّهما صفتانِ متنافيتانِ، ولم تأتِ بين الصِّفات الأُخرى؛ لاجتماع هذهِ الصِّفات وعدم تنافيها، فكان لابدَّ مِنَ الواو في الصِّفات المتنافية، وتركها في الصِّفات المجتمعة في المعنى[٤].

٦– وذهب ابن الحاجب (ت٦٤٦هـ(إِلى أَنَّ هذهِ الواو جاءتْ إِقرارًا مِنَ الله تعالى على أَنَّ عددهم سبعة وأَنَّ كلبهم هو ثامنهم في قوله تعالى: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، ثُمَّ يُفهم أَنَّ القائلينَ بأَنَّ عددهم سبعة أَصابوا فيما ذهبوا إِليه[٥]. ثُمَّ إِنَّهم قالوه عن ثباتِ علمٍ وطمأنينةِ نفسٍ[٦].

المُعتَرِضونَ على مصطلح واو الثَّمانية:

(1) معاني القرآن وإعرابه ٢٧٧/٣. وينظر: إعراب القرآن ٢٧١/٢، مشكل إعراب القرآن ٣٩/٢، تفسير النَّسفي ١٤٨/٢.

(2) جواهر الأدب ص(٩٦).

(3) ينظر: الكشَّاف ٤٧٩/٢. وقد نسب صاحب كتاب جواهر الأدب، الإمام الإربلي – في الصَّفحة ٩٦ – هذا الرأْي إلى الإمام أَبي صاعد الغزنوي (ت٥٨٢هـ(في كتابه المسمَّى بالتَّفسير في التَّفسير.

(4)ينظر: الكشاف ١٢٨/٤، تفسير النَّسفي ١٤٨/٢، ٧١/٤، عمدة القاري ٤٢٧/١٣، الأَشباه والنَّظائر في النَّحو ٩٩/٤.

(5) ينظر: أمالي ابن الحاجب ٢٤٩/١.

(6) ينظر: الكشاف ٤٧٩/٢، تفسير النَّسفي ٩/٣.

أَنكرَ عددٌ مِنَ العلماءِ صحَّة مصطلح (واو الثَّمانية) وردُّوه. وتجاهل عدد آخر هذا المصطلح. فممَّنْ أَنكرَهُ وردَّهُ، وذهب إلى غلطه:

١– الحسن بن علي، أَبو عليٍّ الفارسيِّ (ت٣٧٧هـ(: أَوضح الفارسيُّ رأيه في المناظرة التي ذكرناها بينه وبين ابن خالويِه في تخريج الواو التي وردتْ مع آية أَهل الجنَّة ولم ترِدْ مع آية أَهل النَّار في قوله تعالى ﴿وفُتِحَتْ أَبوابُها﴾، « ... فقال ابن خالويِه: هذهِ الواو تُسمَّى واو الثَّمانية؛ ... قال فنظر سيف الدَّولة إِلى أَبي عليٍّ الفارسيِّ، وقال: أَحَقٌّ هذا ؟ فقال أَبو عليٍّ لا أَقول كما قال، إِنَّما تُرِكتِ الواو في النَّار لأَنَّها مغلقةٌ، وكان مجيئهم شرطًا في فتحها ... وأَمَّا قوله (وَفُتِحتْ) في الجَنَّة فهذهِ واو الحال»[1].

٢– عليُّ بن عيسى، أَبو الحسن الرَّبعي (ت٤٢٠هـ(: قال الرمّانيّ (ت٣٨٤هـ(: « وذهب بعض المفسِّرين إِلى أَنَّ الواو ها هنا [أَي في الآية المذكورة في الفِقْرة السَّابقة] تدلُّ على أَنَّ للجَنَّةِ ثمانية أَبواب. قال: لأَنَّ العرب تستعمل الواو فيما بعد السَّبعة، واحتجَّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ويقولون سبعة...﴾. وكان علي بن عيسى يُصحِّح هذا القول ...»[2].

٣– عبد الرَّحيم بن عبد الكريم بن هوازن القُشَيريِّ، أَبو نصر (ت٥١٤هـ(: ردَّ أَبو نصر القُشيري هذا المصطلح بأَدلَّة مِنَ القرآن الكريم، ولم يُوافق قول مَنْ قال: إِنَّ السَّبعة هو نهاية العدد عند العرب بعامّة، وعند القُرَشيينَ بخاصة، فقال: «ومثل هذا الكلام تحكُّم، ومن أينَ السَّبعة نهاية العدد عندهم! ثُمَّ هو منقوضٌ بقوله

(1) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣. وينظر: المحرِّر الوجيز ٨٩/٣، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨.

(2) معاني الحروف ص(٦٤).

تعالى ﴿هُوَ اللهُ الَّذي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾[١]. ولم يذكر الاسم الثَّامن بالواو»[٢]. أَيْ إِنَّ (المتكبِّرُ) صفة ثامنة لله تعالى ولكنْ لم تُذكرْ معها الواو.

٤– عبد الحقِّ بن عطيَّة الأَندلسيِّ، أَبو محمَّد (ت٥٦٤هـ(: يفترض ابن عطيَّة أَنَّ واو الثَّمانية هي واو زائدة يمكن الاستغناء عنها، على حين النُّصوص القرآنيَّة الخمسة المذكورة آنفًا لا تبدو فيها الواو زائدةً [٣]؛ لذلك قال « ... بل هي [الواو] لازمة لا يستغني الكلام عنها»[٤]. فعلى رأْيِهِ هذا تكون الواو هذهِ عاطفة وليستْ واو الثَّمانية.

٥– عبد الرَّحمن بن محمَّد، أَبو البركاتِ الأَنباريِّ (ت٥٧٧هـ(قال ابن عطيَّة: « وقال قوم: أَشار إِليهم ابن الأَنباريِّ وضعَّف قولهم: هذهِ واو الثَّمانية مستوعبًا في سورة الكهف»[٥].

٦– أَحمد بن محمَّد بن المنير السِّكندريِّ المالكيِّ (ت٦٨٣هـ(: وهو أَشدُّ المعارضينَ لهذا المصطلح، وقد ردَّ على القائلين به في أَغلب الآيات الَّتي وردتْ فيها واو الثَّمانية. فقال في قوله تعالى ﴿وَفُتِحَتْ أَبوابها﴾: « قالوا: [هي واو الثَّمانية] لأَنَّ أَبواب الجَنَّة ثمانية وأَبواب النَّار سبعة، وهَبْ أَنَّ في اللُّغة واوًا تصحب الثَّمانية فتختصُّ بها، فأَينَ ذِكْرُ العدد في أَبواب الجَنَّة حتَّى ينتهي إِلى الثَّامن فتصحبه

(1) الحشر/ ٢٣.

(2) الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٠.

(3) المحرِّر الوجيز ٥٠٨/٣.

(4) المحرِّر الوجيز ٥٠٨/٣.

(5) المحرِّر الوجيز ٥٤٣/٤. ولم أَعثرْ على رأي ابن الأَنباريِّ هذا فيما تيسَّرَ لي مِنْ كتبه.

الواو؟»[١]. يريد أَنْ يقولَ: إنَّ هذا المصطلح مردود؛ لعدم ذِكْرِ الصِّفات أَو المعدودات الثَّمانية في النَّص القرآني .

وقال في الواو الواردة في قولِه تعالى: ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: « وهذا أَيضًا مردود بأَنَّ الواو إِنَّما اقترنتْ بهذه الصِّفة لتربط بينها وبين الأُولى الَّتي هي ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ لما بينهما مِنَ التَّناسب والرَّبط»[٢]. فيرى أَنَّ التَّناسب الحاصل، والرَّابط بين ﴿الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ و﴿ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ هو الَّذي جاء بالواو، ولا علاقة للصِّفات المذكورة قبلهما بمجيءِ الواو.

وردَّها – أَيضًا – في قوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾، فقال « وربَّما عدَّ بعضهم مِنْ ذلك الواو في قوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ لأَنَّه وجدها مع الثَّامن، وهذا غلط فاحش فإِنَّ هذهِ الواو واو التَّقسيم، ولو ذهبتَ تحذفها فتقول ثيِّباتٍ أَبكارًا، لم يستدَّ الكلام»[٣]. أَيْ إنَّ واو الثَّمانية واو زائدة –كما أَجملنا ذلك، وسنُفصِّله عند عرض أَشكال إِعراب هذهِ الواو – فلو كانتْ كذلك فكيف يمكن أَنْ تُحْذفَ ؟ وبذلك لا يمكن الجمع بين الثَّيب والباكر دون واو؛ لأَنَّهما صفتانِ متنافيتانِ – كما بيَّنَّا –.

وبعد أَنْ قدَّم هذهِ الأَدلَّة توصَّل إِلى أَنَّ الواو في جميع هذهِ المواضع واردة لغير ما زعمه القائلون في كون هذهِ الواو واو الثَّمانية[٤].

٧– محمّد بن يوسف، أَبو حيَّان الأَندلسيِّ: لم يرضَ أَبو حيَّان الأَندلسيّ بهذا المصطلح، فبعد أَنْ قدَّم دعوى القائلينَ به ، وعلَّل مجيء هذهِ الواو في عدد

(1) الإنصاف فيما تضمنَّه الكشَّاف مِنَ الاعتزال، (بهامش تفسير الكشَّاف) ٤٧٩/٢.

(2) الإنصاف فيما تضمَّنه مِنَ الاعتزال ٤٧٩/٢.

(3) الإنصاف فيما تضمَّنه الكشَّاف مِنَ الاعتزال ٤٧٩/٢.

(4) الإنصاف فيما تضمَّنه الكشَّاف مِنَ الاعتزال ٤٧٩/٢.

مِنْ آياتِ القرآن الكريم، قال: «ودعوى الزِّيادة أَو واو الثَّمانية ضعيف»[١]. لأَنَّه يرى أَنَّ الصِّفات إِذا كانتْ للمدح أَو للذمِّ أَو للتَّرحُّم جاز فيها الإتباع للمنعوت بالواو، أَو القطع بدون ذكر الواو في بعضها أَو كلِّها[٢].

٨– محمَّد بن أَبي بكر، ابن قيِّم الجوزيَّة: لم يرضَ ابن القيِّم – أيضًا – بهذا المصطلح، وهي عنده واو العطف[٣]، فقال في قوله تعالى : ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾: «فقيل: هذهِ واو الثَّمانية لمجيئها بعد الوصف السَّابع وليس كذلك، ودخول الواو هنا مُتعيِّن؛ لأَنَّ الأَوصاف الَّتي قبلها، المراد اجتماعها في النِّساء، وأَمَّا وصفا البكارة والثُّيوبة فلا يمكن اجتماعهما فتعيَّن العطف»[٤].

٩– عبد الله بن يوسف، ابن هشام الأَنصاري (ت٧٦١هـ(: عدَّ ابن هشام واو الثَّمانية زائدة، إِذ قال في عدد من الآيات الّتي وردتْ فيها واو الثَّمانية: «وقول جماعة: إِنَّها واو الثَّمانية وإِنَّ منها ﴿وثامنهم كلبُهم﴾ لا يرضاه نحويٌّ، والقول به في آية الزُّمر أَبعد منه في ﴿والنَّاهون عن المنكر﴾، والقول به في ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ ظاهر الفساد»[٥]. وقد أَورد رأْيه هذا في سياق كلامه عن واو الثَّمانية. ولم يقف ابن هشام عند هذا الحدِّ، بل ذهب إِلى أَنَّ الواو في آية التَّحريم جاءتْ مع الصِّفة التَّاسعة، وليستْ مع الثَّامنة مخترقًا إِجماع النُّحاة والمفسِّرينَ والأُدباء على أَنَّها جاءتْ مع الصِّفة الثَّامنة؛ إِذ قال: « ... ثُمَّ إِنَّ ﴿أَبْكَاراً﴾ صفة تاسعة لا ثامنة، إِذ أَوَّل الصِّفات (خيرًا مِنْكُنَّ) لا (مُسلِماتٍ).»[٦].

(1) تفسير البحر المحيط ١٠٤/٥.

(2) ينظر: تفسير البحر المحيط ١٠٤/٥.

(3) ينظر: بدائع الفوائد ٥٤/٣.

(4) بدائع الفوائد ٥٤/٣.

(5) الإعراب عن قواعد الإعراب ص(١٣٩ – ١٤١).

(6) مُغني اللَّبيب ٤٧٧/١.

١٠- الشَّيخ خالد بن عبد الله الأَزهريِّ (ت٩٠٥هـ): أَيَّد الشَّيخ خالد في شرحه لكتاب ابن هشام الأنصاريِّ (الإعراب عن قواعد الإعراب) آراءَه؛ ففسَّر قوله «لا يرضاه نحويٌّ» قائلاً: «لأَنَّه لا يتعلَّق به حكم إعرابيٌّ ولا سرٌّ معنويٌّ»[1]. أَيْ إنَّ إعرابنا لهذه الواو (واو الثَّمانية) لا يحمل أَيَّة قيمةٍ إعرابيَّة ظاهرة، أو تخريجٍ معنويٍّ يمكن أَنْ نقدِّره، فلذلك تُرِكَ المصطلح مِنْ قبل أَغلب النَّحويين.

وفَسَّر – أيضًا – قول ابن هشام « ظاهر الفساد» ، فقال: « لأَنَّ واو الثَّمانية صالحة للسقوط عند القائل بها، وهي في هذهِ الآية [﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾] لا يصحُّ إسقاطها إذ لا تجتمع الثُّيوبة والبكارة»[2].

١١- جلال الدِّين السُّيوطيِّ (ت٩١١هـ): لم يوافقْ السُّيوطيُّ على أَنَّ هذهِ الواو هي واو الثَّمانية، فبعد أَنْ عرض الآيات الَّتي وردتْ فيها (واو الثَّمانية). قال: «والصَّواب عدم ثبوتها وأَنَّها في الجميع للعطف»[3].

مِنْ هذا العرض السَّريع لآراء عددٍ مِنَ العلماء[4]، نرى أَنَّ مِنْهم مَنْ تجاهل هذا المصطلح؛ لقلَّة تداوله كالفارسيِّ والرَّبعي وأبي بركات الأَنباري. ومِنْهم مَنْ قال: إنَّ هذه الواو لم تقع مع الصِّفة الثَّامنة في عددٍ مِنَ الآيات كأَبي نصر القُشيريِّ وابن هشام؛ ولكنَّنا نقول إنَّ هذه الواو لا تأْتي مع الصِّفة الثَّامنة دائمًا إلاَّ إذا كان هناك شرط التَّنافي بين الصِّفة السَّابعة والصِّفة الثَّامنة،كما قال

---

(1) مُوصِل الطُّلاَّب إلى قواعد الإعراب ص(١١٧).

(2) مُوصِل الطُّلاَّب إلى قواعد الإعراب ص(١١٧).

(3) الإتقان في علوم القرآن ٢/٢٥٧.

(4) ليس الَّذين ذكرتهم هم المعارضون الوحيدون لهذا المصطلح، بل ثمَّةَ علماء آخرونَ أَنكروا المصطلح؛ ولكنَّنا سَرَدنا آراء أَهمِهم.

الزَّمخشريُّ وابن قيِّم الجوزيَّة وغيرهما. فإنْ لم يكن التَّنافي بينهما جاز ذِكْرُ الواو وجاز عدم ذكرها، كما في قوله تعالى المذكور آنفًا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾(١). وبقية الآراء الَّتي تذهب إلى أَنَّها واو الحال، أَو واو العطف، أَو واو زائدة، أَو واو التَّقسيم سنُناقشها في الفقرة القابلة مِنْ البحث هذا.

إعرابُها:

ذَكَرْنا أَنَّ ابن خالويه، والحريريَّ، والثَّعلبيَّ، والثَّعالبيَّ، يعربونها (واو الثَّمانية)، لكنَّ أَغلب النَّحويينَ سمَّوها بغير هذا المصطلح، هي :

١- **حرف عطفٍ**: ذهب ابنُ عطيَّة، والقرطبيُّ، وأَبو حيَّان، والسُّيوطيُّ(٢)، وغيرهم إلى أَنَّها واو عطفٍ؛ لدليلٍ أَنَّها أَفادتْ في الصِّفة السَّابعة والثَّامنة معنى الإشراك والجمع. وأَنَّها عطفت معنى الصِّفة الثَّامنة على معاني الصِّفات التي قبلها. ويبدو أَنَّ القائلين بهذا الرَّي يأْخذونَ النُّصوص على ظاهرها دون الاكتراث بالمعاني الَّتي تعتور الأَلفاظ في الجُمل.

٢- **حرف زائد**: ذهب أَغلب النَّحويينَ، والمفسِّرينَ إلى أَنَّ هذهِ الواو هي واو زائدة(٣)، دخولها مثل خروجها في قولهِ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ

(1) الحشر /٢٣.

(2) ينظر على التَّتالي: المحرِّر الوجيز ٥٠٨/٣، الجامع لأحكام القرآن ٣١٨/١٠، تفسير البحر المحيط ١١٤/٦، الإتقان في علوم القرآن ٢٥٧/٢، الأَشباه والنَّظائر في النَّحو ٩٨/٤، ٩٩.

(3) ينظر: معاني القرآن للفرَّاء (ت٢٠٧هـ(٢١١/٢، معاني القرآن للأَخفش ٦٧٣/٢، المقتضب ٨٠/٢، تفسير الطَّبري (ت٣١٠هـ(٤٣/٢٤- ٤٤، معاني القرآن وإعرابه ٢٧٧/٣، شرح القصائد السَّبع الطُّوال الجاهليَّات ص(٥٥)، إعراب القرآن ٢٧١/٢، =

أَبْوَابُهَا﴾.

والحقُّ أَنَّ البصريين والكوفيين اختلفوا في الواو الواردة في قوله تعالى المذكور في هذهِ الفِقْرة فذهب البصريُّونَ إِلى أَنَّها واو عاطفة لا يمكن أَنْ تكون زائدة، بأيّة حالٍ من الأحوال، وذهب الكوفيون إلى أن واو العطف تكون زائدة، وإِلى هذا الرَّأْي ذهب الأخفش (ت٢١٥هـ(، والمبرِّد (ت٢٨٥هـ(، وابن بَرْهان (ت٤٥٦هـ(مِنَ البصريين. واحتجَّ الكوفيِّون على زيادة الواو بقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ المذكورة، وردَّ البصريونَ عليهم بأَنَّ هذه الواو حرف عطفٍ، ووافقهم أَبو البركات الأَنباريّ[1]، في ذلك.

والنَّاظر في هذا الخلاف يجد أَنَّ البصريينَ والكوفيينَ اتَّفقوا على أَنَّ هذه الواو هي واو العطف، وخلافهم كان حول: هل تكون الواو العاطفة زائدة، أَم هي واو عاطفة فقط . والفائدة مِن هذا الخلاف أَنَّ كِلا الفريقينِ آمنَ أَنَّ هذِه الواو هي واو عاطفة؛ وهذا يعْضُدُ ما ذهبنا إليه مِنْ أَنَّ قدماء النَّحو لم يعرفوا مصطلح (واو الثَّمانية).

وقد ضعَّف بعض النَّحويينَ المتأَخِّرين كون هذِه الواو زائدة، قال أَبو حيَّان:

= ٨٣٠، معاني الحروف ص(٦٣)، مُشكل إعراب القرآن ٣٩/٢، ٢٦١، شرح عيون الإعراب ص(٢٤٩)، الاقتضاب في شرح أَدب الكتَّاب ٢١٧/٣– ٢١٨، البيان في غريب إعراب القرآن ٢٧٤/٢، ٤٥٦، الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨، شرح عمدة الحافظ وعُدَّة اللافظ ص(٥٣٨)، تفسير النَّسفي ٧١/٤، خزانة الأَدب ٤٣/١١ وما بعدها، وغيرها مِنَ المصادر.

(1) ينظر في المسألة: الاقتضاب في شرح أَدب الكُتَّاب ٢١٧/٣– ٢١٨، المحرِّر الوجيز ٥٤٣/٤، الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة (٦٤)، ٤٥٦/٢– ٤٦٢، الدُّرُّ المصون ٢٥/٦، ائتلاف النُّصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة ص(١٤٨).

« ودعوى الزِّيادة [في هذِه الواو] أَو واو الثَّمانية ضعيف»[١].

٣– **واو الحال**: – وذهب فريقٌ[٢]، آخر إِلى أَنَّ هذِه الواو هي واو الحال، قال أَبو عليٍّ الفارسيِّ: «... وأَمَّا قولُهُ (وفُتِحَتْ) في الجَنَّة فهذِه واو الحال كأَنَّه قال: جاؤوها وهي مفتوحة الأَبواب»[٣]. وقال الزَّركشيُّ: إِنَّ رأْي الفارسيِّ هذا هو الصَّواب[٤]. وفصَّل الزَّمخشريُّ ذلك فقال: « قلتُ: هي الواو الَّتي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنَّكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجلٌ ومعه آخر، ومررتُ بزيدٍ وفي يدِه سيفٌ»[٥].

٤– **واو الاستئناف**: – وقيل: إِنَّها جاءت للاستئناف؛ لتدُلَّ على انقطاع ما قبل الواو عمَّا بعدها[٦].

٥، ٦– **واو الابتداء: وهي واو إِذْ** : – قال مكِّي بن أَبي طالب (ت٤٣٧هـ(عند سردِهِ لأَشكال إِعراب هذِه الواو: « ويُقال [فيها] واو الابتداء، ويُقال واو (إِذْ) أَيْ هي بمعنى إِذْ ...»[٧]. وردَّ ابن هشام هذا الرَّأْي؛ كون واو الحال، و واو الابتداء، و واو (إِذْ) شيئًا واحدًا، فقال: « والثَّلاثة بمعنىً واحدٍ»[٨].

(1) تفسير البحر المحيط ١٠٤/٥. وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٣٤/٨.

(2) ينظر: مُشكل إعراب القرآن ٣٩/٢، وضْحُ البرهان في مشكلات القرآن ٢٦١/٢، الدُّرُّ المصون ٢٦/٦.

(3) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣، وينظر: الجنى الدَّاني ص(١٩٦)، مُغني اللَّبيب ٤٧٦/١

(4) البرهان في علوم القرآن ١٨٩/٣.

(5) الكشَّاف ٤٧٩/٢.

(6) أَمالي ابن الحاجب ٢٤٩/١، الدُّرُّ المصون ٤٤٥/٤.

(7) مُشكِل إعراب القُرآن ٣٩/٢.

(8) مُغني اللَّبيب ٤٧١/١.

٧- **واو التَّقسيم**: – وهذا المصطلح مِنْ ابتداعات الإمام ناصر الدِّين أَحمد بن محمَّد السِّكندريِّ إِذْ قال عند حديثِه على قولِهِ تعالى ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ : « وربَّما عدَّ بعضهم مِنْ ذلك الواو في قولِهِ ﴿ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً﴾ لأَنَّهُ وجدها مع الثَّامن، وهذا غلط فاحشٌ فإِنَّ هذِه الواو واو التَّقسيم، ولو ذهبتَ تحذفها فتقول: ثَيِّبَاتٍ أَبْكَاراً لم يستدَّ الكلام ...»[1].

الخاتمة:

وبعد أَنْ عرفنا واو الثَّمانية، وعلَّة ورودها ووجه إِعرابها عند علماء التَّفسير، والحديث، والنَّحو، والأَدب، نقول إِنَّ هذهِ التَّسمية لم تلقَ رضا العديد مِنَ العلماء، وسمَّاها كثيرٌ مِنْهم بغير واو الثَّمانية. والباحثُ يرى أَنَّ هذِه الواو هي واو وردت في القرآن الكريم وحدَه؛ لذا فهي (واو قرآنيَّة) انفرد القرآن الكريم بذكرها حصرًا، دون غيرِهِ مِنَ مصادرِ النَّحو واللُّغة، وهذِه أَدلَّةٌ على قيلنا:

١) إِنَّ المتقدِّمين مِنَ النَّحويينَ والمفسِّرينَ لم يعرفوا مصطلح (واو الثَّمانية). على الرُّغم مِنْ أَنَّ لهذِه الواو وضعًا خاصًّا يجعلها تختلف عن غيرها مِنَ الواوات، وكما بيَّنَّا ذلك مُفصَّلاً في عِلَلِ ورود هذِه الواو.

٢) اختلاف النَّحويينَ فيما بينهم في تسمية الواو هذِه، فهي عند عددٍ منهم واو العطف، وعند أَكثرهم زائدة، وفريق ثالث يذهب إِلى أَنَّها واو الحال أَو للابتداء، وسمَّاها فريق رابع واو التَّقسيم –كما بيَّنَّا –، ثُمَّ اختلف البصريُّون والكوفيُّون فيها. وهذا التَّشتيت يعني أَنَّ النَّحويينَ لم يتَّفقوا على تسميةٍ واحدةٍ

(1) الإِنصاف فيما تضمَّنه الكشَّاف مِنَ الاعتزال ٤٧٩/٢. وينظر في: مُغني اللَّبيب ٤٧٦/١، وإِرشاد السَّاري ٣٩٧/٧، ما يُشعِر كون الواو في قولِهِ تعالى ﴿ثيِّباتٍ وأَبكارًا﴾ واو التَّقسيم.

لهذه الواو. ولأنَّها ذُكِرتْ في القرآن حصرًا فمِنَ الأَهمِّية بمكان أَنْ يكون اسمها (**الواو القرآنيَّة**)، لكي نسمِّي الأَشياءَ بمسمَّياتها. ومِنْ هذا كثيرٌ في النَّحو العربي؛ فمثلاً: سُمِّيتْ إحدى اللامات بـ(المَزْحْلَقَة) لأَنَّها زُحلقتْ مِنَ المبتدأ إلى الخبر عند دخول (إنَّ) عليهما.

٣) لم أَعثرْ أَنا، أَو غيري مِنَ الباحثينَ على شواهدَ سبقتْ نزول القرآن الكريم، وردتْ فيها (واو الثَّمانية). لهذا لا نرى شواهد شعريَّةً، أَو نصوصًا نثريَّة توثِّق لواو الثَّمانية غير الشَّواهد القرآنيَّة الخمسة المذكورة في أَوَّل هذا البحث. ومهما يكن مِنْ شيءٍ فإنَّها لغة قريش –كما أَسلفنا – والقرآن الكريم نزل بلغةِ هذِه القبيلة[1].

٤) رَفَضَ كثيرٌ مِنَ النَّحويينَ مصطلح (واو الثَّمانية)، ووسَمُوهُ بالضَّعيف، ومِنْهم مَنْ قال: إنَّ هذِه الواو لم تأْتِ مع الصِّفة الثَّامنة بل مع الصِّفة التَّاسعة، لهذا نرى أَنَّ النَّحويينَ لم يستقرُّوا على هذِه الواو، وكان الخلاف بينهم عليها شديدَ المِحال.

وللتَّخلُّص مِنْ كلِّ هذا، وللأَدلَّة الَّتي قدَّمناها نرى أَنَّ مصطلح (**الواو القرآنيَّة**) هو مصطلح يخدم مادَّة النَّحو بقدرٍ كبيرٍ، وينأَى به عن الخلافات والمصطلحات المتعدِّدة، ونستطيع جمعها كلَّها تحتَ هذا المصطلح، مع الاحتفاظ للقدماء بفكرهم وطريقة بحثهم الرَّائعة.

والحمدُ للهِ أَوَّلاً وآخِرًا

(1) [يقول الثعالبي في فقه اللغة: ٥٣١ «وواو الثمانية مستعملة في كلام العرب»/ المجلة].

المصادر

١– القرآن الكريم.
٢– ائتلاف النُّصرة في اختلاف نُحاة الكوفة والبصرة –لعبد اللَّطيف بن أَبي بكر الزَّبيدي (ت٨٠٢هـ(– تح: د – طارق الجَنابي – بيروت ١٩٨٧م.
٣– الإتقان في علوم القرآن – لجلال الدِّين السُّيوطي (ت٩١١هـ(– تح: محمَّد أَبي الفضل إبراهيم – مكتبة دار التُّراث – القاهرة .
٤– إرشاد السَّاري، شرح صحيح البخاري – لشهاب الدِّين القسطَّلاني (ت٩٢٣هـ(– ط/٧– المطبعة الميريَّة ببولاق – مصر ١٣٢٣هـ.
٥– الأشباه والنَّظائر في النَّحو – لجلال الدِّين السُّيوطي (ت٩١١هـ(– تح: طه عبد الرَّؤوف سعد – مكتبة الكُليَّات الأَزهريَّة – مصر ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.
٦– الإعراب عن قواعد الإعراب – لابن هشام الأَنصاري (ت٧٦١هـ(– تح: رشيد عبد الرَّحمن العبيدي – ط/١ – دار الفكر/بيروت ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.
٧– إعراب القرآن – لأبي جعفر النَّحاس (ت٣٣٨هـ(– تح: د. زهير غازي زاهد – مطبعة العاني – بغداد ١٩٧٩م.
٨– الأَعلام – لخير الدِّين الزِّرِكْلي – ط/٤ – دار العلم للملايين/بيروت ١٩٧٩م.
٩– الاقتضاب في شرح أَدب الكُتَّاب – لابن السيِّد البطليوسي (ت٥٢١هـ(– تح: مصطفى السَّقَّا، ود. حامد عبد المجيد – دار الشؤون الثَّقافيَّة العامَّة/بغداد ١٩٩٠م.
١٠– أَمالي ابن الحاجب – لابن الحاجب (ت٦٤٦هـ(– تح: د. فخر صالح سُليمان – دار الجيل/بيروت – دار عمَّار/عمَّان ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
١١– الإنصاف فيما تضمنَّه الكشَّاف مِنَ الاعتزال، (بحاشية تفسير الكشَّاف)– لناصر الدين أَحمد بن محمَّد السَّكندري (ت٦٨٣هـ(– دار المعرفة للطِّباعة والنَّشر/بيروت – لبنان.

١٢– الإنصاف في مسائل الخلاف بين النَّحويين البصريين والكوفيين– لأَبي البركات الأَنباري (ت٥٧٧هـ(– تح: محمَّد مُحيي الدِّين عبد الحميد – دار الفكر.
١٣– بدائع الفوائد لابن قيِّم الحوزيَّة (ت٧٥١هـ(دار الكتاب العربي /بيروت لبنان.
١٤– البرهان في علوم القرآن – لبدر الدِّين بن عبد الله الزَّركشي (ت٧٩٤هـ(– تح: محمَّد أَبي الفضل إبراهيم – دار الجيل/بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١٥– البيان في غريب إعراب القرآن – لأَبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ(– تح: بركات يوسف – شركة دار الأرقم بن أَبي الأَرقم للطباعة والنَّشر والتَّوزيع / بيروت – لبنان .
١٦– تفسير البحر المحيط – لأَبي حيَّان الأَندلسي (ت٧٤٥هـ(– ط/٢ – دار الفكر للطباعة والنَّشر والتَّوزيع – ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.
١٧– تفسير النَّسفي – لأبي البركات عبد الله بن أَحمد النَّسفي (ت٧٥١هـ(– دار إحياء الكتب العربيَّة بمصر.
١٨– جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطَّبري) – لأَبي جعفر محمَّد بن جرير الطَّبري (ت٣١٠هـ(– ضَبْطٌ وتعليق: محمود شاكر ط/ ١ – دار إحياء التُراث العربي/ بيروت – لبنان ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
١٩– الجامع لأَحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأَبي عبد الله محمَّد بن أَحمد القرطبي (ت٦٧١هـ(– تح: عماد زكي، وخيري سعيد المكتبة التَّوفيقيَّة بمصر.
٢٠– الجنى الدَّاني في حروف المعاني – لابن أُمِّ قاسم المرادي (ت٧٤٩هـ(– تح: طه محسن– مؤسسة دار الكتب للطباعة والنَّشر/ جامعة الموصل ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.
٢١– جواهر الأدب في معرفة كلام العرب – لعلاء الدِّين بن علي الإربلي – قدَّم له: محمَّد مهدي الموسوي – ط/ ٢ – المطبعة الحيدريَّة/ النَّجف ١٣٨٩هـ– ١٩٧٠م.
٢٢– خزانة الأَدب ولُبِّ لُباب لسان العرب – لعبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ(تح: عبد السَّلام هارون – ط/٣ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٢٣- دُرَّة الغواص في أَوهام الخواص – لأبي القاسم محمَّد الحريري (ت٥١٦هـ(– تح: هنري ثوربج – لايبزك ١٨٦١م.
٢٤- الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون – لشهاب الدِّين أَحمد بن يوسف المعروف بـ(السَّمين الحلبي) (ت٧٥٦هـ(– تح: الشَّيخ علي محمَّد معوَّض، وآخرين – ط/١ – دار الكتب العلميَّة/ بيروت – لبنان ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٢٥- الرَّوض الأُنف – لعبد الرَّحمن السُّهيلي (ت٥٨١هـ(– تح: عبد الرَّحمن الوكيل – ط/١ – دار الكتب الحديثة/ القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.
٢٦- شرح عمدة الحافظ وعُدَّة اللافظ – لجمال الدِّين محمَّد بن مالك (ت٦٧٢هـ(– تح: عدنان الدُّوري – مطبعة العاني – بغداد ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.
٢٧- شرح عيون الإعراب – لعلي بن فضَّال المجاشعي (ت٤٧٩هـ(– تح: د. حنَّا حدَّاد – ط/١ مكتبة المنار/ الأُردن ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
٢٨- صرف العناية في كشف الكفاية – لعبد الله بن محمَّد البِيتُوشي (ت١٢١١هـ(– دار إحياء الكتب العربيَّة بمصر/١٣٤١هـ.
٢٩- عمدة القاري، شرح صحيح البخاري – لبدر الدِّين أَبي محمَّد محمود العيني (ت٨٥٥هـ(– إشراف ومراجعة صدقي العطَّار – دار الفكر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع/ بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
٣٠- فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة – لأَبي منصور الثَّعالبي (ت٤٢٩هـ(– مطبعة الاستقامة/ القاهرة.
٣١- الكشَّاف – لأَبي القاسم جار الله محمود الزَّمخشري (ت٥٣٨هـ(– دار المعرفة للطباعة والنَّشر / بيروت — لبنان.
٣٢- المحرِّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز – لأَبي محمَّد عبد الحقِّ بن عطيَّة الأَندلسي (ت٥٤٦هـ(– تح: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد – دار الكتب العلميَّة/ بيروت – لبنان ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٣٣- مُشكِل إعراب القرآن – لمكي بن أَبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ – تح: ياسين محمَّد السَّوَّاس – مطبوعات مجمع اللغة العربية/ دمشق ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
٣٤- معاني الحروف – لأَبي الحسن عليّ الرُّمَّاني (ت٣٨٤هـ – تح: د. عبد الفتَّاح شلبي – ط/٢ – مكتبة الطَّالب الجامعي/ مكَّة المكرَّمة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
٣٥- معاني القرآن – لأَبي الحسن الأخفش (ت٢١٥هـ – تح: د. عبد الأمير محمَّد أَمين الورد – عالم الكتب / بيروت.
٣٦- معاني القرآن – لأَبي زَكريَّا الفرَّاء (ت٢٠٧هـ – تح: أَحمد يوسف نجاتي، ومحمَّد علي النَّجَّار، ود. عبد الفتَّاح شلبي- ط/٢- الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب ١٩٨٠م.
٣٧- معاني القرآن وإعرابه – لأَبي إسحاق الزَّجَّاج (ت٣١١هـ – تح: د. عبد الجَّليل شلبي – ط/ ١ – عالم الكتب / بيروت ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
٣٨- مُغني اللَّبيب عن كتب الأَعاريب- لابن هشام الأَنصاري (ت٧٦١هـ- تح: د. مازن المبارك، ومحمَّد علي حمد الله – ط/١- مُؤسَّسة الصَّادق/طهران ١٣٧٨هـ.
٣٩- المقتضب – لأَبي العبَّاس المبرِّد (ت٢٨٥هـ – تح: محمَّد عبد الخالق عُضيمة – عالم الكتب / بيروت.
٤٠- مُوصِل الطُّلاب إِلى قواعد الإِعراب (بهامش إِعراب الأَلفيَّة) – للشيخ خالد الأَزهري (ت٩٠٥هـ – المكتبة الشَّعبيَّة/ بيروت – لبنان.
٤١- وَضْحُ البرهان في مُشكلات القرآن – لمحمَّد بن أَبي الحسن الغزنوي (ت٥٥٥هـ – تح: صفوان عدنان – ط/ ١ – دار القلم/ دمشق – دار الشَّاميَّة / بيروت ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

شعر إدريس بن اليمان اليابسي الأندلسي

د. أحمد عبد القادر صلاحية

القسم الأول

إدريس بن اليمان اليابسي:

شاعر من فحول الشعراء الأندلسيين عاش في مرحلة حرجة من مراحل الوجود العربي في الأندلس، إذ شهد عهد الفتنة أواخر عصر الدولة الأمويّة في الأندلس وعصر دول ملوك الطوائف، ويعدّ بذلك حلقة وصل مهمة بين شعراء هذين العصرين. وكان النقّاد الأندلسيون يعدّونه خلفًا لمتنبّي الأندلس في عصر الدولة الأمويّة ابن درّاج القسطلّي، قال الحميدي: «لم يكن بعد ابن درّاج من يجري عندهم مجراه».

ولا غرو كذلك أن يكتوي بنار تلك الفتنة وأن يطَّرح كلّ مطرح ويتلون شعره في عصر الطوائف المتعددة، ولا عجب أن تضيع أغلب أشعاره – المجموعة قديمًا – مع ما ضاع من شعر أندلسي.

ولم يحظ هذا الشاعر الكبير – حديثًا – بأيّة دراسة منفصلة صغيرة كانت أم كبيرة، وليس له حيِّز كاف ولا حضور واضح في أغلب دراسات الأدب الأندلسي العامّة، لذلك فإنّي أحاول بتعريفي هذا الشاعر المشهور في عصره، والمغمور في عصرنا، وبجمع ما تبقّى من أشعاره، أن أضعه موضعه اللائق به في مصافّ كبار الشعراء الأندلسيين، وأن أوضِّح جانبًا جديدًا من صورة الأدب الأندلسي، وأزيد في خطوطها وألوانها وتفصيلها، كي ترجع – كما كانت – جميلة ساحرة أخّاذة.

حياته:

اسمه ونسَبه:

هو إدريس بن اليمان[١] أو اليماني[٢] العبدري[٣] اليابسي[٤] الشبيني[٥] الأندلسي، ويذكر كل من الذهبي (ت ٧٤٨هـ(والصفدي (ت ٧٦٤هـ(أن

(١) البديع في فصل الربيع (تح. د. كردي): ٦٩ – ١٠٩– ١١٣– ١١٧– ١٤١، الإكمال ٤٧٥/١، جذوة المقتبس: ١٦٠–٧٦، اقتباس الأنوار: ٨٢، اختصاره: ١٩٠، بغية الملتمس: ٢٣٦، الأنساب ٦٧٤/٥، معجم البلدان: ٤٨٦/٥، اللباب ٤٠٤/٣، المطرب: ١٣٠، التكملة: ١٩٥/١، المغرب ٤٠٠/١، عنوان المرقصات والمطربات: ٥٩، رايات المبرزين: ٢٢٩، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، مسالك الأبصار ٤١/١٧، المشتبه: ٦٦٤/٢، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١، مختارات ابن عزيم: ٥٩، توضيح المشتبه ١٩٩/٩، تبصير المنتبه: ١٥٠٣/٤، وثمة وهم في كتاب حلبة الكميت إذ ذكر مرة أولى باسم ابن أويس: ٨٨، وثانية باسم ابن إدريس اليماني: ٢٤٢.

(٢) البديع في وصف الربيع (تح. د. عسيلان): ٩٧– ١٠١– ١١١– ١١٥– ١٤٠، الذخيرة ٣٣٦/١/٣، اقتباس الأنوار: ٨٢، اختصاره: ١٩٢، فهرسة ابن خير: ٤٠٦، بدائع البدائه: ٨٤، الحلة السيراء ١٨٤/٢، نفح الطيب ٧٥/٤، ٦٠١/٥.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣، التكملة: ١٩٥/١، المغرب ٤٠٠/١، مسالك الأبصار ٤١/١٧، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات ١٦١/١، نفح الطيب ٧٥/٤.

(٤) الإكمال ٤٧٥/١، الذخيرة ٣٣٦/١/٣، اقتباس الأنوار ٨٢ –٩٤، اختصاره: ١٩٠– ١٩٨، الأنساب ٦٧٤/٥، اللباب ٤٠٤/٣، إرشاد الأريب ٤٨٦/٥– مسالك الأبصار: ٤١/١٧.

(٥) اقتباس الأنوار: ٨٢–٩٤، اختصاره: ١٩٠–١٩٨، التكملة: ١٩٥/١، الوافي بالوفيات: ٣٢٧/٨، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، وفيه تحريف (المعروف بالشيني).

جدّه هو سام[١]، وينفرد ابن الأبّار(ت ٦٥٨هـ(في تكملته لكتاب الصلة بالقول بأن اسم جده هو سالم[٢]، ويخالف الكتبي (ت ٧٦٤هـ(جميع المترجمين فيجعل أباه عبد اللّه وجدَّه اليمان أي «إدريس بن عبد اللّه بن اليمان»[٣].

أما نسبته **العبدريّ** فهي نسبة إلى عبد الدار بن قصي الذين كانت لهم حجابة الكعبة المشرّفة[٤].

وأما نسبته **اليابسي**– وهي الأشهر–، ونسبته **الشبيني** فيوضِّح الحميدي (ت ٤٨٨هـ(ذلك ويقول: «ذكره أبو عامر ابن شهيد فنسبه إلى بلده فقال اليابسي، وينسبه آخرون فيقولون: الشبيني بياء المعجمة لأن الغالب على بلده شجرة الشبين وهي شجرة الصنوبر»[٥].

ويقول أبو محمد الرشاطي (ت ٥٤٢هـ(: «الشبيني: هو أبو علي إدريس ابن اليمان الأندلسي اليابسي الشبيني منسوب إلى شجرة الشبين وهو الصنوبر كثير ببابسة ينسب إليها»[٦].

ويذكر ابن الأبّار أنه «يعرف بالشبيني وهو بالعجمية[٧]، شجر الصنوبر»[٨].

وكنيته هي **أبو علي** بإجماع كل من ترجم له إلا أنه لابدّ من الإشارة إلى أن ابن بسّام (ت ٥٤٢هـ(صاحب أطول ترجمة لابن اليمان وأهمها وأوسعها والذي

(١) الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) التكملة ١٩٥/١.

(٣) فوات الوفيات: ١٦١/١.

(٤) توضيح المشتبه: ١١٠/٦.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠، وانظر الإكمال: ٤٧٦/١.

(٦) اقتباس الأنوار: ٨٢، واختصاره: ١٩٠.

(٧) والشبين – بالإسبانية –: Sabina، وبالفرنسية: Sapin.

(٨) التكملة: ١٩٥/١.

ذكره في أغلب أجزاء سفره الكبير «**الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة**» قد ذكره في سرد أسماء الأدباء والشعراء الذين سيترجم لهم في أول الكتاب بكنية أبي عبد اللّه[١]، ثم ذكره حيثما ذكره بكنيته أبي علي[٢].

ويستقصي ابن بسام أصله فيقول: «وأخبرت أن أصله من قسطلة الغرب من عمل شنت مرية ابن هارون»[٣]، وبناء على ذلك وضعه ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ) في كتابه المغرب في حلى المغرب في قسم «كتاب المملكة الشلبية وهو كتاب: الكواكب المطلّة في حلى مدينة قسطلّة، تعرف بقسطلّة الغرب»[٤].

بلده ومولده:

رأينا من قبل أن ابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) ذكره في بعض كتبه التي لم تصل إلينا «فنسبه إلى بلده فقال: اليابسي»[٥]، وثمّة إشارة يسيرة في تعليق ابن بسام على قول حاجب الموفق مجاهد: «إن رائحة الشبين على شعرك، تعريضًا له **ببابسة – جزيرة في البحر كان منها** أكثر ثمرها الشبين»[٦]. ويذكر كل من ابن دحية(ت ٦٣٣هـ) وابن الأبّار أنه «من أهل جزيرة يابسة»[٧]. وهذه الشواهد تؤكّد أن موطنه الأصيل هو جزيرة يابسة، وتشير إلى أن مولده كان فيها.

وقد ذكر ذلك د. عصام سيسالم في دراسته المميَّزة عن جزائر الأندلس المنسية, قال: «اشتهر في جزر[٨] البليار في عهد المملكة المجاهدية العامرية عدد من الشعراء

(١) الذخيرة: ٢٨/١/١ ولم يتنبه لذلك محقِّقه الفاضل الدكتور إحسان عباس رحمه اللّه تعالى.

(٢) الذخيرة: ١٠٦/١/٢، ٣٣٦/١/٣.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

(٤) المغرب: ٤٠٠/١.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٦) الذخيرة: ٣٤٠/١/٣.

(٧) المطرب: ١٣٠، التكملة ١٩٥/١.

(٨) الصواب: جزائر، لأن جمع جزيرة جزائر.

والأدباء من أصلاء أهلها والوافدين إليها وكان من أشهرهم: أبو علي إدريس بن اليمان العبدري الشبيني اليابسي من جزيرة يابسة ثالثة جزر البلیار»[١].

ويرى ابن سعيد بأن اليابسي هي نسبة إلى جزيرة يابسة لأنه «أطال الإقامة في جزيرة يابسة حتى عرف منها»[٢].

بيد أن أحداث حياته وتوزع ممدوحيه في أنحاء متفرقة من الأندلس يدل على عكس ذلك كما سوف نرى، ويُرجّح أنه ولد في جزيرته الصغيرة يابسة وفيها ترعرع ثم خرج هذا الولد الصغير منها إلى شبه جزيرة الأندلس للبحث عن الجواء العلمية للوصول إلى حياة كريمة.

ملامح حياته:

انتقل إدريس بن اليمان إلى أقرب مدينة أندلسية من جزيرته يابسة وهي مدينة دانية الواقعة على الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس ونشأ في تلك المدينة ودرس وتعلَّم ونبغ فيها ولمع نجمه وارتفع ذكره وسار شعره في الآفاق قال ابن بسّام: «وبدانية قرأ وبها نشأ، ومنها انبعث انبعاث السيل وأدرك إدراك الليل، حتى تضاءلت الهضاب عن قدره، وماجت الأرض ببحره وصار شعره سمر النادي وتعلّة الحادي وتمثّل الحاضر والبادي»[٣].

(١) جزر الأندلس المنسيّة: ٥٣١. وانظر تعريف يابسة في : معجم البلدان ٤٨٦/٥، والروض المعطار:٦١٦.

(٢) المغرب: ٤٠٠/١.

(٣) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

أما على من درس وقرأ، فلا نكاد نعرف من أساتذته إلاّ صاعدًا[١]، اللغوي (ت ٤١٧هـ(فقد ذكر غير واحد من المترجمين له أن ابن اليمان «روى عن أبي العلاء صاعد اللغوي»[٢].

ويوضِّح ابن خير الإشبيلي (ت ٥٧٥ هـ(بعض هذه الرواية عن صاعد فيقول: «قال أبو بكر المصحفي: وفي شعر ابن حجاج[٣]، المذكور مجون كثيرة، وكان يسمعه معنا عليه [أي على صاعد] شيخ من بني مفرج أقارب القاضي ابن مفرج وإدريس بن اليماني الشاعر»[٤]، ونظن أن مثل هذا الديوان لا يروى للشداة الصغار، ثم إن إدريس قد سمعه على صاعد في سرقسطة بين سنتي (٤١٢-٤١٤) مع شيخ من بني مفرج، وليس من المعهود أن يسمع الصغير مع الكبير لذلك فإن المرجح أن سماعه على صاعد كان في سنّ متقدمة، ولعل ذلك في أثناء قدومه على سرقسطة لمديح صاحبها ولا يكون هذا في زمن التحصيل والطلب.

ومع ذلك فقد كان يوصف إدريس بأنه «شاعر جليل عالم»[٥]، والصفة الأخيرة تشي بأنه نهل من العلم وعلّ حتى امتلأ وطابه علمًا وفهمًا.

(١) انظر ترجمته الموسَّعة في كتاب: صاعد البغدادي حياته وآثاره – د. عبد الوهّاب التازي سعود وقد جعله مقدمة لتحقيق كتاب الفصوص لصاعد – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٩٩٣.

(٢) التكملة: ١٩٥/١، تاريخ الإسلام: ٢٦٣، الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١.

(٣) شاعر عباسي مشهور (ت ٣٩١ هـ(، يتيمة الدهر ٢١١/٢، تاريخ بغداد ١٤/٨، سير أعلام النبلاء ٥٩/١٧، وفيات الأعيان ١٥٥/١، البداية والنهاية ٣٢٩/١١، الكامل في التاريخ ٥٨/٩، الأعلام ٢٣١/٢، تاريخ الأدب العربي (د. فروخ): ٥٧٤/٢.

(٤) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠, و انظر المطرب : ١٣٠

وبعد أن نضجت مواهب إدريس بن اليمان الشعرية، وصقلت علومه واشتهر ذكره، وذاع شعره؛ انتقل إلى مرحلة انتجاع ملوك الطوائف في الأندلس للتكسب بشعره، وأخذ يتنقل بين الملوك لأن عقد الخلافة قد انفرط وتوزَّعت حبّاته في مختلف أرجاء الأندلس – كما هو معروف – ويُخبر الحميدي بأن إدريس بن اليمان كان «ينتجع الملوك فينفق عليهم»[١].

ويقول ابن الأبَّار: «وتجوّل في بلاد الأندلس»[٢].

ويذكر ابن سعيد عن ابن اليمان أنه «له أمداح كثيرة في ملوك الطوائف»[٣].

ويُشير ابن اليمان في بعض أمداحه إلى كثرة تطوافه على ملوك الطوائف, كما في مديحه لمجاهد العامري.

ويفصّل ابن بسام القول في هذا الشطر المهم من حياته، وهو تجواله بين ملوك الطوائف وفهمه لأهوائهم، وتحقيقه لرغباتهم في الشعر، من غير إرخاص لشعره، إذ كان يشترط أن يأخذ من ممدوحه مئة دينار قبل إنشاده القصيدة!!، كما يُورد ابن بسام عددًا مهمًا من قصائده المدحية: «وطفق يتردد على ملوك الطوائف بالأندلس تردُّد الكاس على الشَّرْب ويجري في أهوائهم جري الماء في الغصن الرطب، وكان كلما قال قصيدة لم يضرب عليها حجابًا ولا ضمّنها كتابًا حتى يأخذ بها مئة دينار». و ينقل قول إدريس لمن يسأله قصيدة مدحية: «إشارتي مفهومة، وبنات صدري كريمة، فمن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مَهرها»[٤].

ويلمّح ابن اليمان في بعض قصائده المدحية إلى طلب العطاء بطريقة ذكية وينتقل انتقالاً بارعًا من الغزل إلى المديح فيقول:

(١) جذوة المقتبس: ١٦٠.
(٢) التكملة ١/١٩٥.
(٣) المغرب ١/٤٠٠.
(٤) الذخيرة: ٣/١/٣٣٦-٣٣٧.

فريد جمال تم لي توأم الهوى ... به ولكل العاشقين فراداه

تكامل فيه السول حتى كأنه ... ندى ابن أبي موسى إذا الشعر ناجاه

لقد كان معنى الجود عُمِّي فانبرى ... له ابن أبي موسى ففك معمّاه

هصرت به الدنيا فمالت رطيبة ... عليّ ميودًا تحت أوراق نعماه

فمن يك عني سائلاً فأنا الذي ... تمنى فأفضى للذي قد تمنّاه

وما ضحك النوّار من شق جيبه ... ولكن أياديه التي أضحكت فاه

وما فتحت أيدي الحيا زهرةَ الربا ... كما فتحت روض القريض عطاياه[1]

وقد تُفهم إشارته تلك وتفلح، وقد لا تُفهم ولا تفلح عند بعض الممدوحين كما في الخبر الذي أشار إليه ابن شهيد نفسه، وعلّق عليه ابن ظافر (ت ٦١٣هـ)، فقد وفد ابن اليمان على الوزير أبي جعفر أحمد بن عبّاس (ت ٤٢٩هـ) بالمرية فمدحه فلم يُلْقِ إليه بالاً، ولم يعطه شيئًا فهجاه وأفحش: «قال علي بن ظافر: وأحسب أن الذي هجاه به إدريس وأفحش فيه قوله – وقد كان وفد عليه بالمريّة وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به فأنفذ إليه عند خروجه منها، يقول:

إيهٍ أبا جعفر المرجّى ... ما بال طيري خلاف طيرك

أهديت رقراقة المعاني ... لم أهد أمثالها لغيرك

فلم تَمِرْها ولم تَمِرْني ... ولم تمرها بفضل ميرك

فصار شعري لديك بكرًا ... . ك[2]

(١) الذخيرة: ٣/١/٣٥٣.

(٢) بدائع البدائه: ٨٤.

ويبدو أن الإخفاق كان كثيرًا في ذلك الزمن الصعب، وأن كثيرًا من الوعود لا ينجزها قاطعوها ولا يفون بها، فنرى ابن اليمان يراجع بعض أصحاب هذه الوعود الذين أبطؤوا بالوفاء بها، فقد ذكر الحميدي عن محمد بن غالب «قال: أنشدني أبو علي إدريس بن اليمان لنفسه إلى صديق له وعده بوعد فأبطأ به:

عدات الحر خيل في رهان تكحّل بالمنى حدق الأماني
وكانت منك لي عدة أطلّت كما غنّت صبوح في عنان
وقد حرنت فعاودها بسوط من الإنجاز عن ذاك الحِران
ولا يكُ جيد جودك جذعَ نخل وطرفُك ينثني كالخيزران[1]

ممدوحوه:

١– أبو الجيوش مجاهد بن يوسف بن علي العامري[2] (حكم ٤٠٠–٤٣٦هـ(ويكنّى أيضًا بأبي الحسن ويلقّب بالموفّق.

وهو من ملوك الطوائف حكم دانية وجزائر الأندلس الشرقية.

وثمة إشارة يسيرة ذكرها ابن سعيد في ترجمة مجاهد تؤكِّد وفود ابن اليمان عليه إذ يقول: «وقد وفد عليه أفراد الشعراء كإدريس بن اليمان»[3].

وثمة خبر واحد يتحدث عن تعريج ابن اليماني عليه أورده ابن بسام في ذخيرته ونصّه: «ودخل إدريس بن اليماني على الموفّق أبي الجيش فأنشده:

ولربّ ليل قد طرقت وهمتي أسري بها إذ ليس يسري كوكبُ

(١) جذوة المقتبس: ٧٦.

(٢) انظر جذوة المقتبس: ٣٥٢، الذخيرة ٢٢/١/٣، المعجب: ٧٤، المغرب ٤٠١/٢، البيان المغرب ١٥٥/٣، أعمال الأعلام: ٢١٧، دول الطوائف: ١٨٨، جزر الأندلس المنسية: ١٣٦، الأعلام ٢٧٨/٥.

(٣) المغرب: ٤٠١/٢.

في معشر شم الأنوف كأنهم سيدان رمل أو أسود دُرّب
لبسوا دياجير الدجى إذ أسأدوا وتقنعوا بسنا الضحى إذ أوّبوا
وسروا فمغرب كلّ أرض مشرق لهم ومشرق كل أرض مغرب

.....

وكأن قرن الشمس وجه مجاهد لمّا أنار سناه كادت تغربُ

وهو في كل ذلك يعبث بيديه في قليل شعر عارضته، استثقالاً للعارفة، وبخلاً بالجائزة، وجهلاً بالفائدة، فلما أملقه الأمر، وأعوزه الصبر، غمز حاجبه بشطر حاجبه، فاختطف القرطاس من يده وقال وقد سدَّ خياشيمه: إن رائحة الشبين على شعرك، تعريضًا له بيابسة – جزيرة في البحر كان منها أكثر ثمرها الشبين – فخجل لمقامه وتعثَّر في ذيل كلامه، فلما وثبت إليه نفسه، وراجعه حسّه، قال: أيها الأمير: إن كنت أسأت في مدحك، فأحسن في منحك، أو قصّرت في وصفك، فأطلْ في عرفك.

وهذا الأمر لم يكن مصادفة أو خاصًّا بابن اليمان وحده، ولكنه كان دأبًا في مجاهد وسلوكًا معيبًا فيه، فقد نقل ابن بسّام عن ابن حيّان قوله عن مجاهد: «على أنه كان – فيما بلغني – مع أدبه من أزهد الناس في الشعر وأحرمهم لأهله وأنكرهم على منشده، لا يزال يتعقَّبه كلمة كلمة كاشفًا لما زاغ فيه من لفظة وسرقة، فلا تسلم على نقده قافية، ثم لا يفوز المتخلّص من مضماره على الجهد لديه بطائل، ولا يحظى منه بنائل، فأقصر الشعراء لذلك مدحه، وخلا الشعر من ذكره»[1].

(١) الذخيرة: ٣/١/٢٣، ونقل النص صاحب البيان المغرب: ٣/١٥٦.

٢– أبو زيد عبد العزيز بن محمد بن أيّوب البكري[١] (حكم ٤٠٣–٤٤٣هـ) يلقَّب بعزّ الدولة.

أحد ملوك الطوائف وصاحب مدينة ولبة (أو أونبه)، وجزيرة شلطيش. أثنى عليه ابن الأبّار وأورد شطرًا من قصيدة لابن اليمان في مدحه، قال: «وكان جوادًا ممدّحًا، وفيه يقول أبو علي إدريس بن اليماني من قصيدة فريدة – وكان إدريس هذا مقدّمًا من فحول شعراء الأندلس...

أعيدي سقى مثواك ألعس أشنب إذا مرضت أرضُ الأحبّة جادَها
يضوع بواديك الأغن أغانيا متى ما يعدها لم تملّ معادها
إذا ما أجادت كفّه حول روضة حسبنا جدا عبد العزيز أجادها

ثم تصرّف في المديح تصرّفه في النسيب وأحسن وأبدع»[٢].

٣– ابن واجب[٣] **وزير المنذر بن يحيى التجيبي (حكم ٤٠٨–٤١٤هـ)**

لا نعرف عنه شيئًا أكثر من أنه أحد جلّة كتّاب المنذر ووزرائه الذي حكم في سرقسطة. وأن ابن اليمان مدحه بقصيدة كافيّة؛ فقد أورد ابن بسام قصيدة له وذكر أنها في ابن واجب ومطلعها:

وادي الأراك أطلت شكوى الشاكي بشميم كل بشامة وأراكِ[٤]

ولكنه انتقى منها أربعة أبيات أخرى في وصف حمامة فقط، ولم يتعرض

(١) الذخيرة ٢/١/٢٣٣، الحلة السيراء ١٨٤/٢ (وثمة خلاف)، المغرب ٣٤٧/١، البيان المغرب ٢٤٠/٣، أعمال الأعلام: ٢١٠، دول الطوائف: ٤٣، الأعلام: ٢٥/٤، معجم ما استعجم: المقدمة (ص)، سمط اللآلئ شرح أمالي القالي: المقدمة (ز – ح).

(٢) الحلّة السيراء: ١٨٥/٢.

(٣) الذخيرة: ١/١/١٨٣، البيان المغرب ١٧٧/٣، الإحاطة ٢٨٦/٣، دول الطوائف: ٢٦٨.

(٤) الذخيرة: ٣/١/٣٤٤–٣٤٥.

للغرض الرئيس وهو مدح الوزير الكاتب ابن واجب.

٤– ابن بقنّة[١] وزير المعتلي يحيى بن علي بن حمّود، أحمد بن أبي موسى ابن بقنّة البربري (ت ٤٣٣هـ). وزير المعتلي وكاتبه ومدبِّر دولته.

وقد أورد ابن بسّام شطرًا من قصيدة لابن اليمان يمدح فيها «ابن بقنّة»[٢]، وزير يحيى بن حمود أوّلها:

دعاه الهوى من ذي الأراك فلبّاه وغنّاه أيكيُّ الحمام فأبكاه[٣]

وفيها يذكر اسم الوزير صراحة غير مرة:

تكامل فيه السول حتى كأنه ندى ابن أبي موسى إذا الشعر ناجاه

لقد كان معنى الجود عمّيَ فانبرى له ابن أبي موسى ففكّ معمّاه[٤]

٥– ابن حمّود

ذكر ابن بسام أن عبّادًا المعتضد سأله أن «يمدحه بقصيدة يعارض السينية التي مدح بها آل حمّود»[٥]، وفي بعض نسخ الذخيرة «السينية في ابن حمّود»، فمن ابن حمّود هذا، وما هي هذه السينية الفائقة التي طلب منه ابن عبّاد معارضتها.

ولعل المقصود هو: **يحيى بن علي بن حمّود العلوي الحسني**[٦]

(١) جذوة المقتبس: ٣٠، الذخيرة ٥٥٢/١/١، ٦٤٩/٢/١، ٣٥٢/١/٣، المغرب ٢٠٦/٢، البيان المغرب ١٤٣/٣، ٢١٧، أعمال الأعلام ١٣٦–١٤١، الخلافة الأموية والدولة العامرية ٦٧١/٢/١.

(٢) في الأصل ابن مقنة، وهو وهم من الأستاذ الفاضل العالم محقِّق الذخيرة، وذكره أيضًا باسم ابن أبي موسى في مواضع أخر لم يعلم أن الاسمين لعَلَم واحد.

(٣) الذخيرة ٣٥٢/١/٣.

(٤) الذخيرة ٣٥٣/١/٣.

(٥) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

(٦) جذوة المقتبس: ٢٤، المعجب: ٥٢–٥٤، المغرب ٢٩٩/١، البيان المغرب ١٣١/٣، أعمال الأعلام: ١٣٢، الخلافة الأموية والدولة العامرية: ٦٧٠/٢/١، الأعلام: ٨/

(٣٨٥-٤٢٧هـ)، أحد ملوك دولة بني حمود من عقب الأدارسة.

وثمّة قصيدة لاميّة أوردها ابن بسام في مختاراته لابن اليمان ولم يحدِّد لمن قيلت ولكن بعض أبياتها تدل على أنها قيلت في أحد آل حمّود الذين يرجعون بنسبهم إلى عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه، وهي:

هذا ابن خاضب ذي الفقار بجانبي وادي حنين والصفوف حوافلُ
وبخيبر والحرب بارق عارضٍ وبنات أعوج ما شحته زائل
دفع الرسولُ إليه رايته وقد طمحت عيون نحوه وأنامل[1]

٦- أبو جعفر[2] **بن عبّاس وزير الفتى زهير الصقلبي العامري** (ت٤٢٩هـ)

أبو جعفر أحمد بن عبّاس بن أبي زكرياء القرطبي (ت ٤٢٩هـ) وزير كاتب من أعلام كتّاب عصر الفتنة.

وقد سبق[3]، أن أشرنا إلى أن ابن ظافر قد أكّد أن ابن اليمان «قد كان وفد عليه بالمرية وامتدحه بقصيدة فلم يحفل به»[4]، وبعد أن خرج ابن اليمان من المرية أوصل إليه مقطّعة هجاه فيها وأفحش.

١٥٧، وانظر كتاب: «الحموديون سادة مالقة والجزيرة الخضراء» – لويس سيكو دي لوثينا: ٢٥ وما بعدها.

(١) الذخيرة ٣/١/٣٥٧.

(٢) الذخيرة ١/٢/٦٤٥، ورسائله في ٣/١/٢٢٩ ومواضع متعددة، المغرب ٢/٢٠٥، البيان المغرب ٢/١٦٩، الإحاطة ١/٢٥٩، أعمال الأعلام: ٢١٦، الخلافة الأموية والدولة العامرية ١/٢/٦٧٢، دول الطوائف: ١٢٩- ١٣٠- ٢٢١، الأعلام ١/١٤٢ (ووهم في سنة وفاته إذ جعلها ٥٣٠هـ).

(٣) انظر الصفحة (٨٣٦).

(٤) بدائع البدائه: ٨٤.

٧– أبو مناد باديس[١] بن حبّوس بن ماكس بن زيري بن مناد الصنهاجي (حكم ٤٢٨–٤٦٥هـ). أعظم ملوك البربر في عصر ملوك الطوائف وأقواهم جانبًا. وقد أورد ابن بسّام قطعة لابن اليمان في مديح باديس منها:

القائـد الجـرد العتـاق كأنهـا لجـج زواخـر أو عـوارض لمـعُ
متوقّـد فـي الحادثـات إذا دجـت فكأنـه فيهـا شـهاب يـسطعُ
علـم هـو القمـر المبـاهي طالعًـا صـنهاجة وهـمُ النجـوم الطلّـعُ[٢]

٨– أبو عمرو المعتضد[٣] عبّاد بن محمد بن إسماعيل الإشبيلي (حكم ٤٣٣–٤٦١هـ)

أحد كبار ملوك الطوائف وصاحب إشبيلية وما حولها.

وقد مرّ ابن اليمان بالمعتضد بإشبيلية و«سأله عبّاد في بعض رحله إليه، على كثرة بوائقه وشكاسة أخلاقه، أن يمدحه بقصيدة يعارض بها قصيدته السينية التي مدح بها آل حمود، فقال له: إشارتي مفهومة وبنات صدري كريمة فمَن أراد أن ينكح بكرها فقد عرف مهرها»[٤].

وأغلب الظن أن عبادًا قد دفع مهر قصيدة ابن اليمان وأن إدريس بن اليمان قد قال فيه قصيدة عارض بها قصيدته في آل حمود، ولكن القصيدتين كلتيهما قد ضاعتا فيما ضاع من شعر الرجل خاصة، ومن الشعر الأندلسي عامة.

---

(١) المغرب ١٠٧/٢، البيان المغرب ٢٦٢/٣، الإحاطة ٤٣٥/١، أعمال الأعلام: ٢٣٠، دول الطوائف: ١٢٦، الأعلام: ٤٠/٢.

(٢) الذخيرة ٣٥٥/١/٣.

(٣) مطمح الأنفس: ١٧٢، الذخيرة ٢٤/١/٢، البيان المغرب ٢٠٤/٣، أعمال الأعلام: ١٥٥، دول الطوائف: ٣٩، الأعلام: ٢٥٧/٣.

(٤) الذخيرة: ٣٣٦/١/٣.

٩– أبو زكريا[١] المأمون يحيى بن إسماعيل ابن ذي النون البربري (حكم ٤٣٥–٤٦٧هـ(ويكنَّى كذلك بأبي الحسن. أحد كبار ملوك الطوائف وأعظم بني ذي النون وأشهرهم.

وقد أورد ابن بسّام لابن اليمان قصيدة ميمية طويلة في مدح المأمون ابن ذي النون ذكر اسمه وكنيته فيها غير مرة:

ولكنّ هذا الزمان استقام ولولا ابن ذي النون لم يستقمْ
فقد سكنت عين دهمائه كما سكن الفعل جزمًا بلمْ
رعايا الملوك قطا البيد لكن رعية يحيى حمام الحرم

....

أرى العالم اعتدلت حاله فلا ما يعاب ولا ما يذم
وكان بحال انتقاص فتمّ ولكنه بابن ذي النون تم
همام له شيمة كالشمول تميت الهموم وتحيي الهمم
أبا الحسن الحسن المكتني بما هو نعت له لا جرم[٢]

١٠– إقبال الدولة[٣] علي بن مجاهد العامري (حكم ٤٣٦–٤٦٨هـ(أحد ملوك الطوائف حكم دانية والجزائر الشرقية. وقد أورد ابن بسّام لابن اليمان قصيدة حائية شهيرة نظمها في إقبال الدولة بن مجاهد بدانية وفيها

(١) الذخيرة ٢٦٨/١/٢، المغرب ١٢/٢، البيان المغرب ٢٧٧/٣، أعمال الأعلام: ١٧٧، دول الطوائف: ٩٧، الأعلام ١٣٨/٨.

(٢) الذخيرة: ٣٤٢/١/٣–٣٤٣.

(٣) المعجب: ٧٤، المغرب ٤٠١/٢، البيان المغرب ١٥٧/٣، أعمال الأعلام: ٢٢١، دول الطوائف ٢٠٠/١/٢، جزر الأندلس المنسية: ١٦٤، الأعلام ٣٢٢/٤.

يذكر اسمه واسم أبيه:

بعلـــي بـــن مجاهـــد أوردتـــه روض المـــديح وموســـم المـــدّاحِ

ثهلان في عقد الحبا ولدى الوغى غـــصن يَـــراحُ إلـــى نـــسيم ريـــاح

فـــالبر بحـــر مـــن مدائحـــه التـــي تربـــي علـــى الطيّـــار والـــسبّاح[١]

أصدقاؤه:

١– أبو الوليد[٢] **إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الحميري الإشبيلي** (ت نحو ٤٤٠هـ(

لقد ذكر أبو الوليد الحميري في كتابه البديع في فصل الربيع إدريس بن اليمان مرارًا وانتقى له بعض المقطوعات في وصف الأزهار، ومما يدل على معرفته الأكيدة به، وصداقته له أنه كان يأخذ أكثر ما اختار له عن الشاعر نفسه فنجده يقول في مقدمات بعض ما اختاره له: «**وأنشدني** لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني»[٣]، أو يقول: «وله أيضًا فيه تشبيه عجيب **أنشدنيه** وهو»[٤].

٢– أبو جعفر أحمد بن محمد ابن الأبّار[٥] **الخولاني الإشبيلي** (ت ٤٣٣هـ(

(١) الذخيرة ٣/١/٣٤٤.

(٢) كتب عنه د. عبد اللّه عسيلان دراسة مطوَّلة في مقدمة تحقيق كتابه البديع في وصف الربيع وحقَّق الكتاب أيضًا وكتب عنه دراسة موجزة د. علي كردي، وكذلك المستشرق هنري بيرس. وانظر كذلك مصادره في تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٤/٤٩٤.

(٣) البديع: ٩٧. وانظر: ١٠٨–١١٢.

(٤) البديع: ١١٥.

(٥) انظر: البديع (مواضع كثيرة)، جذوة المقتبس: ١٠٧، الذخيرة ٢/١/١٣٥، المغرب ١/٢٦٤، وفيات الأعيان ١/١٤١،الوافي :٨/١٣٧, نفح الطيب ٣/٤٧٧، تاريخ الأدب العربي (فروخ) ٤/٤٧٢، الأعلام ١/٢١٣.

٣– أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة[1] (ت في عهد المعتضد عباد).

نقل ابن بسّام من كتاب «حديقة الارتياح في صفة حقيقة الراح» للوزير ابن مسلمة ونصَّ على ذلك فقال: «نقلت من خطه، قال:

كتبت يومًا بهذه الأبيات إلى الأديبين أبي علي إدريس وأبي جعفر بن الأبَّار مستدعيًا لهما:

أيا شقيقي إخاء ... ويا قسيمي صفاءِ
ومن هما في ذوي الفهـ ... ـم جوهر الأدباء
تفضلا وأجيبا ... إلى نديّ نداء
لتأنسا بحديث ... وقهوة وغناء

قال، فأجابني إدريس:

يا صنو ماء السماء ... في رقة وصفاء
ويا سراج ضياء ... يجلو دجى الظلماء
بهرت سيما ذُكاء ... في بهجة وذكاء
وحزت في العلياء ... قوادم الجوزاء
يا حاتم الكرماء ... وأحمد الشعراء
بادهتنا بلآلٍ ... سواطع اللألاء
قريض حسن كدرّ ... على طلى الحسناء
يقود في كلّ معنى ... معنى الغنى والغناء

(١) انظر البديع (مواضع كثيرة)، جذوة المقتبس: ٦١، مطمح الأنفس: ٢٠٣ – ٢٠٤، الذخيرة ٢/١/١٠٥، بغية الملتمس: ٨٠، المغرب: ١/٩٦.

وقـــد أجبنـــا إلـــى مـــا دعـــــوت مـــــن آلاء

[لا زال] نجمـــــك أســـــمى مـن نجـم كـل سـماء»[١].

ولكن ابن بسّام لم يورد ردّ ابن الأبّار.

وأشار ابن سعيد في ترجمة ابن مسلمة إلى ذلك فقال: «وبينه وبين إدريس بن اليمان وابن الأبّار مراسلات»[٢].

وفي شعره المتبقي مقطوعة في وصف المجالس الإخوانية في مجالي الطبيعة الساحرة يقول فيها:

و إخوان صدق قد أناخوا بروضة ولـيس لهـم إلا النبـات فِـراشُ

فخلـتهم والنـور يـسقط فـوقهم مـصابيح تهـوي نحـوهن فَـراش[٣]

ويتبدى حرصه على قيم الصدق والمحبة في إضافة لفظة الفتيان إلى الصدق، و في هذه الصورة.

معاصروه:

من معاصريه – زيادة على ممدوحيه و أستاذه وأصدقائه – الذين ذكروا في أخبار معه من دون أن نعرف مدى صلتهم به:

١– أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[٤] **الأشجعي** (٣٨٢–٤٢٦هـ(

(١) الذخيرة: ٢/١/١٠٦–١٠٧.

(٢) المغرب: ١/٩٧.

(٣) الذخيرة ٣/٢/٨٨٧–٨٨٨ , و انظر: الوافي ٨/٣٢٧، فوات الوفيات ١/١٦٢.

(٤) جمع ديوانه وحقَّقه وصدره بدراسة كل من: شارل بلاّ – دار المكشوف – بيروت – ١٩٦٣. ويعقوب زكي – دار الكاتب العربي – القاهرة – د.ت، وحقَّق رسالة التوابع

فقد عاش ابن شهيد في العصر نفسه الذي عاش فيه ابن اليمان، وتوفي قبله وأورد له شيئًا من المختارات في بعض كتبه التي لم تصل إلينا، ونقل عنها بعض المؤلِّفين كالحميدي الذي أشار مرتين إلى ذلك في أثناء ترجمته لابن اليمان إذ يقول: «وذكره أبو عامر بن شهيد فنسبه إلى بلده»[(١)]، ويقول: «واستحسن له أبو عامر بن شهيد في التشبيه قوله:»[(٢)]

وتتبدَّى كذلك معرفته به في القصة التي حكاها ابن شهيد عن نفسه وأوردها ابن بسّام في ذخيرته، حدّث ابن شهيد عن نفسه «قال: لما قدم زهير الصقلبي فتى بني عامر حضرة قرطبة من المرّية وجّه أبو جعفر بن عباس وزيره عن لمة من أصحابنا منهم: ابن برد وأبوبكر المرواني وابن الحنّاط والطبني» وطلب الوزير منهم إجازة شطر من بيت شعري فقام ابن شهيد وأكمل ذلك في مقطوعة قافيّة ثم يكمل ابن شهيد: «ثم قمت عنهم فلم ألبث أن وردوا عليّ وأخبروا أن أبا جعفر لم يرض ما جئنا به من البديهة وسألوني أن أحمل مكاوي الكلام على حتاره، وذكروا أن **إدريس** هجاه فأفحش فلم أستحسن الإفحاش فقلت فيه معرضًا إذ التعريض من محاسن القول.»[(٣)].

ومن الخبر السابق يستنتج بأنه عاصر عددًا من الأشخاص –كذلك – وهم:

والزوابع – بطرس البستاني – دار صادر – بيروت – ١٩٨٠، وثمة دراسات كثيرة عن أدبه ونقده.

(١) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٢) جذوة المقتبس: ١٦١.

(٣) الذخيرة ١/١/٣٠٧.

٢- **أبو عبد اللّه محمد بن سليمان بن الحنّاط**[١] **الرعيني الأعمى** (ت ٤٣٧هـ).

٣- **أبو حفص أحمد بن محمد بن أحمد بن برد المعروف بابن برد الأصغر**[٢] (ت نحو ٤٥٠هـ).

٤- **أبو مروان عبد الملك بن زيادة اللّه بن علي الطبني**[٣] (ت ٤٥٧هـ).

٥- **أبو بكر المرواني**[٤].

٦- **ميمون بن يوسف بن درّي**[٥].

قال ابن بسّام: وحدّث ميمون بن يوسف بن درّي، قال: اعتمدني أبو علي إدريس بن اليماني فجاذبني في ذكر البديع من القول فأنشدني هذه القطعة في صفة الثريا، فعمدت بعدُ إلى سبعة مثاقيل صحاحًا فطبعت عليها وكتبت معها:

---

(١) البديع: ٢٢، جذوة المقتبس: ٥٣، بغية الملتمس: ٦٧، الذخيرة ٤٣٧/١/١، التكملة ٣٨٧/١، الذيل التكملة ٢٢١/٦، المغرب ١٢١/١، نفح الطيب ٤٨٣/١، تاريخ الأدب العربي (د.فروخ): ٤٨٢/٤، الأعلام: ١٤٩/٦.

(٢) البديع (مواضع متعددة)، جذوة المقتبس: ١٠٧، بغية الملتمس: ١٥٣، مطمح الأنفس: ٢٠٧، الذخيرة ٤٨٦/١/١، المطرب: ١٢٧، المغرب ٨٦/١، نفح الطيب ٥٤٦/٣، تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٥١٠/٤، الأعلام: ٢١٣/١.

(٣) جذوة المقتبس: ٢٦٥، بغية الملتمس: ٣٦٦، مطمح الأنفس: ٥٠، الذخيرة ٥٣٥/١/١، الصلة: ٣٤٣، المطرب: ٢١٥، المغرب ٩٢/١، تاريخ الأدب العربي (د.فروخ) ٥٥٩/٤، الأعلام: ١٥٨/٤.

(٤) لم يذكر سوى هذه المرة الوحيدة في الذخيرة، وهو من أهل الأدب روى عنه الحميدي في جذوته: ٣٢٨، وانظر البغية: ٤٦٨، ونفح الطيب ٣٣٠/٣.

(٥) ذكره ابن بسّام في ترجمة ابن الحنّاط ٤٣٨/١/١، وفي ترجمة المنفتل ٧٥٧/٢/١ ونعته بالقائد بجيان، نفح الطيب ٢٦٤/٣.

وجــه الثريــا إن شــيت تعرفــه فاسـلك مـن القـول نحـو موعبـه

نجمـك فـي البعـد ظـل مـشبهها وشــبهها شــبه مــا بعثــتُ بــه[١]

٧- أبو عثمان خلف بن هارون القطيني[٢].

قال الحميدي: «وأنشدني عنه أبو عثمان خلف بن هارون القطيني»[٣].

ونصّ ابن الأبّار على ذلك فقال: «وروى عنه أبو عثمان خلف بن هارون القطيني»[٤]. واختصر الذهبي فقال «عنه خلف بن هارون»[٥].

٨- محمد بن غالب[٦].

قال الحميدي: «وأنشدني، قال: أنشدني أبو علي إدريس بن اليمان لنفسه»[٧].

٩- أبو عبد اللّه محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد اللّه الأزدي الحميدي[٨] (ت ٤٨٨هـ).

قال في جذوته: «وقد أدركت زمانه ولم أره»[٩].

١٠- أبو بكر محمد بن هشام بن محمد بن هشام المصحفي[١](٣٩٣-

---

(١) الذخيرة: ٣٣٧/١/٣.

(٢) جذوة المقتبس: ١٩٨، مطمح الأنفس: ٢٨، اختصار اقتباس الأنوار: ١٨٢، بغية الملتمس: ٢٨٩، نفح الطيب ٤٥٩/٣-٥٥٥.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٤) التكملة: ١٩٥/١.

(٥) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٦) جذوة المقتبس: ٧٦، بغية الملتمس: ١٢٥.

(٧) جذوة المقتبس: ٧٦.

(٨) انظر ترجمته ومصادره في كتاب تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ٧٢٥/٤. وثمة دراسة ضافية موسَّعة في مقدمة **تحقيقي لكتابه تسهيل السبيل** الذي سينشر قريبًا إن شاء اللّه تعالى.

(٩) جذوة المقتبس: ١٦٠.

٤٨١هـ(.

قال ابن خير في فهرسته عن صاعد اللغوي: «قال أبو بكر المصحفي: وفي شعر ابن حجاج المذكور مجون كثيرة، وكان يسمعه معنا عليه شيخ من بني مفرج أقارب القاضي ابن مفرج[٢]، وإدريس بن اليماني الشاعر»[٣].

١١- **شيخ من بني مفرج**. كما هو واضح في الخبر السابق.

وفاته:

على قلَّة المراجع الحديثة التي ترجمت لابن اليمان واختصارها فإن المراجع التي ذكرت وفاته مجمعة على أنه «كانت وفاته سنة ٤٧٠»[٤]، وعلى ذلك د. عمر فروخ صاحب الترجمة الوافية الوحيدة لابن اليمان الذي يفصِّل ذلك في سفره الكبير فيقول «وكانت وفاة إدريس بن اليمان سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) وإذا نحن قبلنا أن يكون مدحه قد بدأ بابن مقنة وزير يحيى ابن حمّود، وكان يحيى قد حكم مالقة في فترتين بين سنة ٤١٢، وسنة ٤٢٧، (١٠٢١- ١٠٣٥) فيجب أن يكون قد عاش ثمانين سنة أو تزيد»[٥]!!

(١) بغية الملتمس: ١٣٩، الصلة: ٥٢٦، فهرست ابن خير: ٤٢٩، فهرست ابن عطية: ١٠٢-١٠٦، سير أعلام النبلاء ٥٨٠/١٨، فهرس الفهارس ٥٧٣/٢، شعر ابن شخيص الأندلسي: ٢٣، شعر ابن هذيل القرطبي: ٩٩.

(٢) ترتيب المدارك ٩٨/٦، الصلة، ١٣٦/١، سير أعلام النبلاء ٣٠/١، ٨٣/٨، تاريخ الإسلام (وفيات ٤٢١-٤٤٠هـ(: ٥٠١، المرقبة العليا: ٧٨، نفح الطيب ٦٤٣/٢١، إيضاح المكنون: ٣١/٣، هدية العارفين ٢٧٥/١، الأعلام: ٢١٣/٢.

(٣) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٤) من ترجمة د. إحسان عباس لابن اليمان في حاشية الذخيرة ٣٣٦/١/٣، وكذلك علماء الأندلس: ٤٧١. معجم الحضارة الأندلسية: ٨٩. معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة: ٤٤.

(٥) تاريخ الأدب العربي (د. فروخ): ٦٢٣/٤.

وإذا عدنا إلى المصادر التي اعتمد عليها د. فروخ في ترجمته لابن اليمان نجد أنها لا تهتم بوفاته وليس سوى كتاب واحد منها يذكر سنة وفاته هو الوافي بالوفيات للصفدي الذي حدّد سنة وفاة ابن اليمان بسنة (٤٥٠هـ(وليس (٤٧٠هـ(فمن أين أتى بهذا الرأي الواهم؟!

ثم إن مقدمات التحليل كانت ناقصة وواهمة فوزير يحيى بن حمود هو ابن بقنّة وليس ابن مقنة وكذلك فإن النتائج ليست صحيحة إذ لم يشر أحد من المترجمين أن ابن اليمان قد امتد به العمر ووصل إلى مرحلة الشيخوخة فبلغ الثمانين أو أكثر ولم يشر (د. فروخ) إلى مصدر تحديده لوفاة ابن اليمان.

وإذا بحثنا عن ذلك المصدر فسوف نجد أنه كتاب فوات الوفيات فقط. وأعجب من ذلك أن أغلب المصادر الأندلسية التي ترجمت لابن اليمان لم تذكر سنة وفاته وأن الذين ذكروا وفاته هم المترجمون المشارقة.

وأول من ذكر وفاته هو الحافظ ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ(وهو معاصر له، وقد ذكر أن ابن اليمان «بقي إلى قبل سنة أربعين وأربعمئة»[١].

ونقل السمعاني عنه ذلك[٢].

كما أن ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ(يذكر أنه «بقي إلى قبيل سنة ٤٤٠»[٣].

ويتشكك ابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ(في زمنه فيقول «وأحسبه توفي في نحو الخمسين وأربعمئة»[٤].

ويذكر الذهبي (ت ٧٤٨هـ(أنه توفي «في حدود ٤٤٠، كان بالأندلس»[٥]،

(١) الإكمال: ٤٧٦/١.

(٢) الأنساب ٦٧٤/٥.

(٣) معجم البلدان ٤٨٦/٥ (يابسة).

(٤) التكملة ١٩٥/١.

(٥) المشتبه ٦٦٤/٢، وعنه توضيح المشتبه ١٩٩/٩، تبصير المنتبه ١٥٠٣/٤.

ولكنه في كتابه تاريخ الإسلام يجعله في قسم خاص «بالمتوفين تقريبًا» ويقول: «وتوفي في نحو الخمسين وأربعمئة»[١].

ويذكر الصفدي (ت ٧٦٤هـ(أنه «توفي سنة خمسين وأربعمئة»[٢].

وتفرّد الكتبي (ت ٧٦٤هـ(بالقول إنه «توفي سنة سبعين وأربعمئة»[٣]، ونظن أن ذلك وهم من الناسخ أو المحقِّق أو الطابع، فالكتبي قد نقل ترجمة ابن اليمان عن كتاب الوافي بالوفيات للصفدي الذي جعل وفاته سنة (٤٥٠).

ونحن نجزم بخطأ تحديد وفاة ابن اليمان بسنة (٤٧٠) لأمور كثيرة أهمّها:

١- إن ممدوحه المأمون بن ذي النون الذي توفي (٤٦٧هـ(تحسّر على فقده وموته كما ذكر ذلك شيخ مؤرِّخي الأندلس[٤]، الذي توفي كذلك قبل ذلك الزمن بسنة أي سنة (٤٦٩هـ(مما يؤكِّد حتمًا أن وفاته كانت قبل هذا الزمن بمدة طويلة.

٢- إن أزمنة حكم بعض ممدوحيه تشير إلى تقدُّم زمنه وسبقه للقرن الخامس بعقدين على الأقل، فقد مدح ابن واجب الذي وزر للمنذر بن يحيى الذي حكم بين (٤٠٨-٤١٤هـ(، ومدح ابن بقنّة الذي وزر للمعتلي الذي حكم قرطبة (٤١٢هـ(ومرة ثانية (٤١٦هـ(وتوفي سنة (٤٢٧هـ(، ومدح مجاهدًا العامري الذي حكم (٤٠٠- ٤٣٦) ومدح أبا زيد البكري (٤٠٣-٤٤٣) وهجا أبا جعفر ابن عباس (ت ٤٢٩هـ(قبل سنة ٤٢٥هـ.

وفي قبالة ذلك يجب ألا تسبق وفاته سنة (٤٣٦هـ(لأنه مدح إقبال الدولة بن مجاهد الذي حكم (٤٣٦-٤٦٨هـ(.

٣- إن ثمة عددًا من الحوادث تدل على تقدُّم ولادته قبل نهاية القرن

(١) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) الوافي بالوفيات ٣٢٧/٨.

(٣) فوات الوفيات ١٦٢/١.

(٤) الذخيرة: ١٤٠/١/٤.

الرابع الهجري، من ذلك أنه روى عن صاعد البغدادي[١] (ت ٤١٧) ديوان ابن حجاج البغدادي في سرقسطة بين سنتي (٢١٢-٢١٤هـ(لأن صاعدًا انتقل إلى صقلية نحو سنة (٤١٤هـ([٢].

ومثل هذا الديوان الذي يحتوي على مجون كثير لا يُروى للتلاميذ الصغار، كما أن شيخًا من بني مفرج قد سمع الديوان معه وليس من عادة السماع أن يسمع الصغير مع الكبير. فنظن أن ابن اليمان كان في سن تسمح له بحضور مثل هذه المجالس وسماع هذه الدواوين.

٤- ذكره معاصره ابن شهيد الذي توفي (٤٢٦هـ(في بعض كتبه كما تدل على ذلك بعض النقول التي أوردها الحميدي عن ابن شهيد كذكر اسمه ونسبته إلى بلده واستحسان بعض شعره[٣]. ثم إن ابن شهيد يُورد ذكره في خبره مع أبي جعفر بن عباس الذي جرى سنة (٤٢٥هـ([٤].

٥- ثم إن أصدقاءه وندماءه قد ماتوا في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، فأبو جعفر ابن الأبّار توفي (٤٣٣هـ(وأبو الوليد الحميري توفي (نحو ٤٤٠هـ(وأبو عامر ابن مسلمة (قتله المعتضد).

٦- ويذكر الحميدي الذي وُلد زهاء سنة (٤٢٠هـ(وتوفي سنة (٤٨٨هـ(ابن اليمان فيقول عنه: «وقد أدركت زمانه ولم أره»[٥]، والعبارة الأولى تدل على قدم عهد ابن اليمان.

ومما سلف يتبيَّن لنا استحالة كون وفاة إدريس بن اليمان سنة (٤٧٠هـ(وأن الزمن الأقرب لوفاته هو في حدود الأربعين والأربعمئة أو في العقد الخامس

(١) فهرسة ابن خير: ٤٠٦.

(٢) انظر كتاب «صاعد البغدادي»: ١٣٩.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠.

(٤) الذخيرة ١/١/٣٠٧.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦٠.

من القرن الخامس الهجري.

شعره

الثناء على الشاعر وشعره:

حظي إدريس بن اليمان بثناء عاطر وإطراء وافر من قبل المترجمين المعاصرين له والذين أتوا بعده من الأندلسيين والمشارقة.

فمعاصره ابن حيّان (ت ٤٦٩هـ(يتحدث عن ضعف الشعر وانعدام الشعراء الحذّاق في بعض بلاطات ملوك الطوائف، كالمأمون بن ذي النون، ويذكر بعض الشعراء الذين أنشدوه شعرًا ثم يعلّق بقوله: «فبدا على الشعر يومئذ انكسار ولحق أحفافه انهيار وأصم به الناعي مسمعًا يندب شجوه بابن اليماني مناديًا ينادي: يا إدريساه ولا إدريس يومئذ للقوافي، وكل شيء له حتف موافي»[(١)].

ويقول ابن الأبّار «وذكره ابن حيّان في تضاعيف تاريخه وأثنى عليه بالإجادة»[(٢)].

ويبدأ معاصره الآخر الحميدي (ت ٤٨٨هـ(ترجمته له بعد ذكر اسمه بقوله: «شاعر جليل عالم»، ويختم الترجمة بقوله عن الأندلسيين: «لم يكن بعد ابن درّاج من يجري عندهم مجراه»[(٣)].

ويسبغ عليه ابن بسّام ثوب الثناء المرقّل فيقول عنه: «انبعث انبعاث السيل، وأدرك إدراك الليل، حتى تضاءلت الهضاب عن قدره وماجت الأرض ببحره، وصار شعره سمر النادي وتعلّة الحادي، وتمثّل الحاضر والبادي... وقد أخرجت من أخباره ما يشهد بسمو مقداره، ويعرب عن غرائب أخباره»[(٤)].

---

(١) الذخيرة ٤/١/١٤٠.

(٢) التكملة ١/١٩٥.

(٣) جذوة المقتبس: ١٦٠-١٦١.

(٤) الذخيرة ٣/١/٣٣٦-٣٣٧.

وينعته أبو محمّد الرشاطي بأنه «شاعر متقدم يناظر بالقسطلي»[١].

وينشد ابن دحية شعرًا «للأديب العالم»[٢].

ويُسهب ابن الأبّار في مدحه في كتابه الأول التكملة فيقول: «وكان عالمًا بالآداب، إمامًا في صناعة القريض، أحد الشعراء الفحول»[٣].

ويثني عليه ابن الأبّار في كتابه الثاني الحلة السيراء عند الاستشهاد بشعره – عرضًا – فيقول: «كان إدريس هذا مقدّمًا من فحول الشعراء»[٤].

ويصفه ابن سعيد بوصف مهم في رايات المبرزين بقوله: «من أشهر شعراء الأندلس»[٥]، وهو الشاعر الوحيد الذي انتقاه من جزيرة «يابسة» في كتابه المغرب بل من الجزائر الشرقية كلها.

أما **ثناء المشارقة** عليه فقد سبقت كتب الأنساب إلى التعريف بهذا الرجل والثناء عليه، فقال معاصره ابن ماكولا فيه: «أديب شاعر متقدم يناظر بالقسطلّي»[٦].

ونقل ذلك السمعاني[٧]، وياقوت الحموي[٨]، واختصره ابن الأثير[٩].

ووصفه الذهبي في كتابه المشتبه بوصف عالٍ فقال: «الشاعر المفلق»[١٠].

---

(١) اقتباس الأنوار: ٨٢، واختصاره: ١٩٠.

(٢) المطرب: ١٣٠.

(٣) التكملة: ١/١٩٥.

(٤) الحلة السيراء: ٢/١٨٤.

(٥) رايات المبرزين: ٢٢٩.

(٦) الإكمال: ١/٤٧٦.

(٧) الأنساب: ٥/٦٧٤.

(٨) معجم البلدان: ٥/٤٨٦.

(٩) اللباب: ٣/٤٠٤.

(١٠) المشتبه: ٢/٦٤٤، توضيح المشتبه: ٩/١٩٩، تبصير المنتبه: ٤/١٥٠٣.

ونعته في كتابه تاريخ الإسلام بقوله: «كان أديبًا شاعرًا محسنًا، لم يكن بعد أبي عمرو بن دراج من يجري عندهم مجراه»(١).

وحلاّه ابن فضل اللّه العمري (ت ٧٤٩هـ(وحبّر مديحه تحبيرًا فقال: «أثار معدنها منه ذهبًا، وأطار زندها منه لهبًا، وقرّ حلمًا رجح وانبثّ سعيًا نجح، وكفل أبناءَ الأدب كفالة زكريا لمريم، وأقبل على أهل الطلب إقبال قيصر على جبلة بن الأيهم، وهمى وسميًّا ووليًّا ولا غرو لإدريس إذ رفع مكانًا عليًّا»(٢).

وفي العصر الحديث لا نكاد نجد ترجمة كاملة لابن اليمان إلا لدى الدكتور عمر فروخ – رحمه اللّه تعالى – فضلاً عن بعض الترجمات القصار(٣).

ويثني د. فروخ عليه ثناء عطرًا ويفصّل في أغراضه فيقول عنه: «شاعر جليل ومكثر مطيل، نجد في شعره الوجداني عذوبة، أما شعره الرسمي في الفخر والمديح ففيه تقليد للمشارقة في الأغراض، وهو – مع ذلك – من فحول الشعراء ولم يكن بعد ابن دراج من يجري مجراه في متانة التركيب وعلوّ النفس، وقد تصرّف في المديح

(١) تاريخ الإسلام: ٢٦٣.

(٢) مسالك الأبصار: ١٧/٤١.

(٣) من أهم هذه الترجمات المختصرة التي ترجمت له:

– جزر الأندلس المنسية للدكتور عصام سالم سيسالم: ٥٣١.

– معجم الشعراء الأندلسيين والمغاربة: د. عفيف عبد الرحمن: ٤٤–٤٥.

– معجم الحضارة الأندلسية: د. يوسف عيد – د. يوسف فرحات: ٨٩.

– الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف د. سعد عبد اللّه البشري: ٣١٨.

وإضافة إلى ذلك لا نجد سوى إشارات خاطفة أو ذكرًا لاسمه فقط لدى بعض دارسي الأدب الأندلسي مثل د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة: ١١٥، وعصر الطوائف والمرابطين: ١٥٩، ومنيرة الشرقي في كتابها علماء الأندلس في القرنين الرابع والخامس الهجريين: ٢٤٧، ٤٧١، ٧٧١.

تصرفًا حسنًا وكان يأخذ على القصيدة مئة دينار، وغزله ونسيبه حسنان وله وصف بارع للخمر وللطبيعة وله هجاء»[١].

وكذلك أشار د. سيسالم إلى أن ابن اليمان «من أشهر شعراء عصر الطوائف»[٢].

وقال د. البشري: «وصف ببراعته في الآداب وأنه من فحول الشعراء»[٣].

ووصفه كل من د. يوسف عيد ود. يوسف فرحات بأنه «شاعر وعالم جليل»[٤].

أما الثناء على شعره فطويل عريض يبدأ من معاصريه من المترجمين وأولهم ابن شهيد (ت ٤٢٦هـ(إذ يذكر الحميدي أنه «استحسن له أبو عامر ابن شهيد في التشبيه قوله:

فكأن كل كمامة من حولهم خلب وكل شقيقة نامور»[٥]

وثانيهم أبو الوليد الحميري (ت نحو ٤٤٠هـ(الذي يقدّم لجميع ما يختاره من مقطوعات ابن اليمان بأوصاف تدل على إعجاب بها وتقدير لها؛

فيقدِّم للمقطوعة الأولى بقوله: «وأنشدني لنفسه فيه أبو علي إدريس بن اليماني قطعة حسنة التشبيه وهي»[٦].

ويقدّم للمقطوعتين الثانية والثالثة ويعلِّق عليهما بالثناء الوفير:

«ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه قطعة رفيعة الوصف بديعة الرصف وهي:

فتق الثرى من نوره بكواكب دعج النواظر والخدود عجائبِ

(١) تاريخ الأدب العربي (د. فروخ) ٦٢٣/٤.

(٢) جزر الأندلس المنسية: ٥٣١.

(٣) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف: ٣١٨.

(٤) معجم الحضارة الأندلسية: ٨٩.

(٥) جذوة المقتبس: ١٦١.

(٦) البديع في وصف الربيع: ٩٧.

فـأَدره علـيَّ الكـأسَ بيذختيـة في دولـة الـنجم الرفيـع الثاقـبِ

طبـع الربيـع علـى بـشاشته بـه طبـع الـشبيبة فـوق ثـدي الكاعـبِ

شبَّه لونه بلون أطراف الثدي وهو من الاختراع السري، وبيذختية منسوبة إلى بَيْذَخْت؛ قرية بعينها.

وأنشدني لنفسه أيضًا فيه بيتين أنيقي التشبيه وهما:

وأريـضة حـاك الغمـامُ بُرودهـا وسـقى بريـق الغانيـات برودَهـا

ضـحك البنفـسج فوقهـا فكأنمـا نثـرت بـه خـضر الحمـام عقودَهـا

شبهه بلون أطواق القماريّ، وهي موضع العقود ممن يستعملها، وهذا التمثيل مفضّل له مستحسن منه»[١].

ويقدّم للمقطوعة الرابعة بقوله: «وقال أبو علي إدريس بن اليماني يصفه بوصف متقدم الإحسان وهو»[٢].

ويقدّم للمقطوعة الخامسة بقوله: «وله أيضًا تشبيه عجيب أنشدنيه وهو»[٣].

ويقدّم للمقطوعة السادسة بقوله: «ولأبي علي إدريس بن اليماني فيه أوصاف مستطرفة وتشبيهات مستظرفة منها قوله»[٤].

ويقدِّم للمقطوعة السابعة بقوله: «ولأبي علي إدريس بن اليماني قطعة بديعة التشبيه موافقة الوصف لكل ما فيه وهي»[٥].

(١) البديع في وصف الربيع: ١١١-١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١١٥.

(٣) المصدر نفسه: ١١٥.

(٤) المصدر نفسه:. ١٤٠

(٥) البديع في وصف الربيع::١٤٠.

وثالث ثناء من معاصريه من الحميدي (ت ٤٨٨هـ(الذي أدرك زمانه ولم يره يقول: ((ومما يستحسن له في صفة الدرق:

إلى موقحة الأبشار من درق يكاد منها صفا الفولاذ ينفطرُ

مؤنثات ولكن كلّما قرعت تأنّث الرمح والصمصامة الذكر))[١]

وتتوالى عبارات الإطراء والمدح والثناء على قصائده من قبل الأندلسيين الذين ترجموا له أو تعرّضوا له بالذكر، كابن بسّام الذي يبدي رأيه في بعض ما اختاره له في ترجمته فيقول عن قصيدته الكافيّة: ((يقول فيها في وصف الحمامة وأجاد ما أراد وزاد))[٢]، ويصف قصيدته الداليّة بقوله: ((ولإدريس من قصيد فريد))[٣].

ويعلِّق ابن بسّام أيضًا على مقطوعة يتنازعها ابن اليمان وابن الأبّار فيقول: ((وهي لمن كانت منهما رائقة ومتأخرة سابقة، في التزام العفاف مع السلاف، وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق))[٤].

ويقدّم ابن الأبّار للأبيات التي أوردها لابن اليمان في مديح عبد العزيز البكري بأنها ((من قصيدة فريدة)) ويعلِّق على ما أورده منها بقوله: ((ثم تصرّف في المديح تصرّفه في النسيب وأحسن وأبدع))[٥].

وينقل ابن سعيد في رايات المبرزين عن ابن بسام بيتين أنشدهما لابن اليمان ويقدِّم لهما: ((وأنشد له وهو طائر بجناح الاشتهار:

ثقلت زجاجات أتتنا فرّغًا حتى إذا ملئت بصرف الراح

(١) جذوة المقتبس: ١٦٠، وانظر المطرب: ١٣٠.
(٢) الذخيرة: ٣/١/٣٤٥.
(٣) المصدر نفسه: ٣/١/٣٥٨.
(٤) المصدر نفسه: ٢/١/١٣٦.
(٥) الحلة السيراء: ٢/١٨٥.

خفّت فكادت تستطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالأرواح»[١]

ويقول ابن سعيد في المغرب عن البيتين السابقين إنهما «أبدع شعره»[٢]، ويجعلهما في كتابه عنوان المرقصات المطربات من أعلى طبقات اختياراته وهي طبقة المرقص[٣].

ويقدّم المقّري (ت ١٠٤١هـ) لهذين البيتين بقوله «ومن مشهور شعره بالمغرب والمشرق قوله»[٤].

ما يُنسَب إليه وإلى غيره:

أشار ابن بسّام في القسم الأول من المجلد الأول من ذخيرته إلى أن ابن اليمان قد أخذ معنى من شعر ابن درّاج «فقال من جملة أبيات وهي ثابتة في موضعها من هذا المجموع:

بدر ألمّ وبدر الليل ممّحق والأفق محلولك الأرجاء من حسد
تحيّر الليل فيه أين مطلعه أما درى الليل أن البدر في

ولكن هذين البيتين لم يردا مع «جملة أبيات» في ترجمته ومختاراته الشعرية التي أوردها له في القسم الثالث من الكتاب، بل يفجؤنا ابن بسّام بإيرادهما في القسم الثاني في ترجمة معاصره أبي جعفر أحمد ابن الأبّار (ت ٤٣٣هـ) في آخر مقطوعة من تسعة أبيات ثم يعلّق عليها فيقول: «وقد رأيت من يروي هذه القطعة **لإدريس بن اليماني وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني**، وهي

(١) رايات المبرزين: ٢٣٠.
(٢) المغرب: ١/٤٠٠.
(٣) عنوان المرقصات والمطربات: ٥٩.
(٤) نفح الطيب: ٤/٧٥.
(٥) الذخيرة: ١/١/٨٧.

لمن كانت له منهما رائقة ومتأخرة سابقة، في التزام العفاف مع السلاف، وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق»[١]. و قد نسبها صاحبا وفيات الأعيان و الوافي بالوفيات إلى ابن الأبَّار معتمدين على الذخيرة.

ما نُسب إليه وليس له :

١- نسب كلٌّ من صلاح الدين الصفدي وابن شاكر الكتبي مقطوعة في وصف الخمر إلى إدريس بن اليمان وجعلاها في مقدمة ما اختاراه من شعره وهي: «ومن شعره:

وموسّدين على الأكفّ رؤوسهم قد غالهم في السكر ما قد غالني
ما زلت أسقيهم وأشرب فضلهم حتى انثنيت ونالهم ما نالني
والخمر تعرف كيف تأخذ حقّها إنّي أملت إناءها فأمالني»[٢]

والمقطوعة من أشهر شعر أبي بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الحفيد، يقول ابن سعيد في رايات المبرزين: «وأنشدني والدي عنه»[٣]، ويذكر الأبيات الثلاثة السالفة، والأبيات ثابتة النسبة إلى ابن زهر في وفيات الأعيان[٤]، ومعجم الأدباء[٥]، والمطرب[٦]، ونفح الطيب[٧]...

٢- ونسب المقّري لابن اليمان بيتين في وصف الحمامة فقال:

---

(١) الذخيرة: ١٣٦/١/٢.

(٢) الوافي بالوفيات: ٣٢٧/٨، فوات الوفيات: ١٦١/١، وقد أوردها د. فروخ ضمن مختاراته لابن اليمان: ٦٢٥/٤!!

(٣) رايات المبرزين: ٥٦.

(٤) وفيات الأعيان: ٤٣٤/٤.

(٥) معجم الأدباء: ٢٥٥٥/٦ [فيه البيتان: الثاني والثالث].

(٦) المطرب: ٢٠٧.

(٧) نفح الطيب: ٢٤٧/٢.

«وقال أبو علي بن اليمان:

أبنات الهديل أسعدن أوعد نَ قليلَ العزاء بالإسعاد

بيد أني لا أرتضي ما فعلتـ ـنَّ فأطواقكنّ في الأجياد»[1]

وهو وهم جليّ منه لأن هذين البيتين من قصيدة شهيرة لأبي العلاء المعري مطلعها:

غير مُجدٍ في مِلّتي واعتقادي نَوحُ باكٍ ولا ترنّم شاد[2]

للبحث صلة

(١) المصدر نفسه: ١٥٦/٤.

(٢) ديوان سقط الزند: ٤٩-٥٢، شروح سقط الزند: ٩٧١/٣- ٩٨٠- ٩٨٣.

جولة مع تمَّام حسَّان في العامل النحوي

د. عمر مصطفى

لا يستطيع باحث أن يفرق بين الكلام واللغة، أو يعزل أحدهما عن الآخر، فقد اتفق الفلاسفة واللغويون على أن الإنسان لا يستطيع أن يفرق بين فكرتين تفريقًا حقيقيًا بلا علامات لغوية أي كلمات، فالتفكير بلا كلمات عائم، والكلمات أهمُّ مكونات اللغة، وتسمى وحداتٍ لها، وما يسميه النحاة أقسام الكلام، وهم يقصدون الاسم والفعل والحرف، ليس في الواقع إلا أقسام اللغة»[1].

فوظائف المباني الصرفية هي معانٍ نحوية، وهذا تأثيرها، إذ لا وجود لأيِّ مبنى دون أثر ومعنى، فلكل مبنى معنى، سواء أكان في سياق معين أو لم يكن، والجيد أن يقال: إن معنى المبنى ذا الدلالة المرادة التي يقتضيها السياق كامنة فيه بصرف النظر عن تخصيص النظرة الواحدة التي يريدها قائلها، فلو قيل: كاتب، أو أرض، أو مشفى، أو أي كلمة أخرى، سواء أدلت على اسم معنى أم دلت على اسم ذات، لوضعها المتلقي في سياق يفترضه، يؤدي إلى توظيفها، إذ لا وجود لكلمة مجردة، وإنما هي في سياق كامن فيها، قال إبراهيم أنيس: «أما الدلالة الهامشية فهي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم... وفي هذه الأخيرة يتسع مجال التأويل وتظهر المعاني الثانية»[2].

إنَّ لكلِّ جملة اكتفى السياق بها أصلاً تُذكر فيه عناصر الكلام كافةً،

---

(١) اللهجات العربية، نشأة وتطورًا، ص ١٢، وانظر مناهج البحث في اللغة، ص ٢٤٤.

(٢) دلالة الألفاظ، ص ١٠٣.

يُسكت عن بعضها لعدم لزومه، ولاكتفاء السياق بما ذُكر عما أُغفل، فذكْرُ الحدث يعني أنَّ لحدوثه فاعلاً ومفعولاً وزمانًا ومكانًا وغيَر ذلك، ولفاعله حالة تدلّ عليه، وكذا لمفعوله، وشدة حدوث الفعل، وسببه، وكل ما يمكن أن يتعلق بهذا الحدث، لأنه الأصل الذي أقيم عليه بنيان المعنى بتمامه.

وما يتطلبه المعنى المرادُ في السياق يُذكر، وما لا حاجة إليه لا يُذكر، وهذا لا يعني أنَّ ما لم يذكر في طور العدم، بدليل أنه قد يُذكر متى احتاج إليه السياق، فالسياق هو الذي يحدّد العناصر التي تُقيمه، فتذكر، وما لا تفيده، فتغفل، لأنها حشو فيه، وكلُّ ما هو حشو يكون زيادة في سياقه.

يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: «إن المادة الأولية للغة ثابتة، ولكن أشكالها متغيرة، وليس من الممكن أن يتطرق الفناء أو الإماتة إلى المادة الخام، إلا إذا قضى الله ألا تكون اللغة ذاتها، فأما الأشكال فإنها تحيا وتموت، تحييها ضرورة تعبيرية، ويميتها انعدام هذه الضرورة، ثم تبعثها في صورة أخرى ضرورة جديدة، وهكذا دواليك.

وفي هذا يقول اللغوي الشهير فرديناند دو سوسير: «إن المتكلم يدير في ذهنه كل العناصر التي يستخدمها في بناء صيغة جديدة بطريقة لا شعورية، قبل أن ينطق بهذه الصيغة الجديدة، أي إن الصيغة الجديدة تكون موجودة لغويًا في حيّز القوة، قبل أن توجد بالفعل»[(١)].

وقدِ استُدلَّ على أن الاسم دليل قاطع على المسمى، فهو يحمل في ذاته دليل وجوده، فالوجود كامن في «زيد» مثلا، وسبب ذلك يرجع إلى عدم وجود مجرد لأي كلمة، لأنها تحمل معنى، وهو ليس مجردا عما يجعله ذا دلالة معينة.

فالوجود متحصَّل من الاسم نفسه، لأنه دليل على مسمى معين، ولأن

(١) العربية لغة العلوم والتقنيّة، ص ٥٥-٥٦

الكلمة يجب أن تُدرج في سياق مفترض عند السامع، فهي في سياق ظاهر أو كامن في حالة معينة ذات صيغة معينة، فوظيفة علم المعنى البحث في معاني الألفاظ أو التراكيب، والأول دراسة تقليدية قديمة. يقول جون ليونز: «لقد كان علماء اللغة حتى وقت قريب يثيرون اهتمامًا كبيرا لوصف معاني الكلمات المستقلة أكثر من اهتمامهم بتحديد تفاصيل كيفية اشتقاق معنى الجملة من معاني الكلمات المكونة لها؛ وذلك بإعطائهم قواعد تشير إلى تركيبها النحوي، إلا أن الموقف تغير على نحو ملحوظ خلال السنوات الماضية»[1].

والمسمى سابق في الظهور على الاسم، إذ ليس ثمة اسم بلا مسمى، فالمسمى متبوع باسمه، والاسم تابع لمسماه في ذلك.

يقول الدكتور تمام حسان: «ولقد أشرنا من قبل إلى النحو لا يتخذ لمعانيه مباني من أي نوع إلا ما يقدمه له الصرف من المباني، وهذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو، فيعالجون كلا منهما علاجا منفصلا، ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك، يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو وما للصرف للصرف.

يقول ابن مالك مثلا:

وتاء تأنيث تلي الماضي إذا كان لأنثى كأبت هند الأذى

وهذا كله يفهم على وجهين، أحدهما صرفي والآخر نحوي، ويمكن لنا أن نضع خطة الفهم الصرفي على النحو الآتي:

المعنى	المبنى	العلامة
التأنيث	التاء على إطلاقها	التاء في أبت

فالتأنيث معنى صرفي من معاني التصريف على نحو ما أسلفنا، ففهمُ بيت

(١) اللغة والمعنى والسياق، ص ٢٥

الألفية على هذا النحو فهمٌ صرفي، ولكننا نستطيع أن نفهم هذا البيت أيضا من زاوية النحو، وهي زاوية العلاقات السياقية، ويكون ذلك كما يأتي:

المعنى	المبنى	العلامة
المطابقة في التأنيث بين الفعل والفاعل	التاء على إطلاقها	التاء في أبت»[1].

وهذا تفتيت مفترض لا وجود له في اللغة، وغريب أن يُفترض شيء، ما ظهر قط، ولن يظهر، فالمبنى «التاء في أي فعل»، والمعنى الذي تؤديه «التأنيث»، والعلامة «التاء» في فعل معين، في حين أن التاء وحدها لا معنى لها، وإنما هي ذات معنى إذا كانت متصلة بالفعل، فالمبنى -إذًا- ليس التاء وحدها على إطلاقها، وإنما هي التاء حال كونها متصلة بفعل أُريد بها التأنيث، فالتاء في «صمت» وما شابهه، ليست ذات دلالة نحوية، فهي على إطلاقها ليست كما ذهب إليه الباحث.

إن النظامين الصرفي والنحوي لا ينفكّ أحدهما عن الآخر، إذ لا يمكن الوقوف على مفهوم نحوي دون الاعتماد على مفهوم صرفي، فهما بمنزلة الاسم والمسمى، إذ إن الصيغة الصرفية المجردة تتأتى من الكلمة الواحدة المنفكة عن غيرها، ولا دلالة نحوية لها إلا في سياقها، لكن هذه الدلالة حين تتأتى لا تنفكّ عن دلالتها الصرفية. فهي للكلمات ذواتها، أما الدلالة النحوية فمنفصلة عن هذا المعنى، وتتمايز بحسب تمايز الوظائف النحوية في سياقها. يقول سوسير: «علم الصرف (Morphology) والتركيب (Syntax) معا هما ما يسمى عادة بالنحو (Grammar)، على حين علم المعجم أو علم الكلمات هو مستثنى.

ولكن من البداية، هل هذه التقسيمات تناسب الحقائق؟ وهل تتفق مع الأسس التي افترضت الآن؟

(1) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٧٨-١٧٩

إن علم الصرف يتناول أنواع الكلمات المختلفة «أفعال، أسماء، صفات، ضمائر...إلخ»، والصيغ الاشتقاقية المختلفة «تصريف الأفعال، تصريف الأسماء... إلخ»، ولفصل هذه الدراسة عن دراسة التركيب، فإنه يزعم أن موضوع التركيب الوظائفُ المرتبطة بالوحدات اللغوية، على حين علم الصرف لا يأخذ بالاعتبار إلا صيغتها... إن الصيغ والوظائف متداخلتان، ويبدو من الصعب، بل من المستحيل فصل بعضها عن بعض، لغويًا. ليس لعلم الصرف حقيقة أو موضوع مستقل، إنه لا يشكل مجالاً متميزًا للمعرفة عن التركيب، إنه لا يستطيع تشكيل علم متميز عن التركيب»[(١)].

«وهنا لا بدّ أن نتذكر دائمًا أن الفصل بين أنظمة اللغة المختلفة أمر طبيعي، وإنما قد يحدث ذلك بقصد تسهيل الدراسة وعمليات التحليل اللغوي لا غير، ولشدة هذا الترابط بين أنظمة اللغة المختلفة يستخدم كثير من علماء اللغة في العصر الحالي مصطلح «قواعد اللغة» Grammar للإشارة إلى هذه النظم جميعًا، وقد يستخدم بعضهم هذا المصطلح في الدلالة على النحو والصرف فقط، أما مصطلح النظم Syntax فهو يدلّ على دراسة نظام الجملة وطرق صياغتها، وسنستعمل مصطلح «النحو» هنا للدلالة على النظم وطرق صياغة الجملة وتحديد قواعدها»[(٢)].

يقول د.تمَّام حسَّان: «فإدراك المبنى بواسطة النظر إلى العلامة لا يُعدُّ من العمليات العقلية الكبرى في التحليل، وإنما تأتي الصعوبة عند إرادة تعيين المعنى بواسطة المبنى فلقد أشرنا من قبل إلى أن المعنى الوظيفي متعدد بالنسبة للمبنى الواحد»[(٣)].

---

(١) فصول في علم اللغة العام ص ٢٣٣-٢٣٤

(٢) مقدمة لدراسة علم اللغة، ص ١٠٧-١٠٨

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨٠

والأهمية تكمن في تعيين المعنى، وسببها أنها تحدد المطلوب، وهذه أهمية اللغة، فالتفاهم الحاصل بين المرسل والمتلقي يقف على معاني الكلمات الوظيفية[١]، ولا أهمية كبرى لإدراك المبنى، ولذلك لا يعد في العمليات العقلية الكبرى، لكن هذا كله لا يفلت من الاعتماد على النظام التقليدي للنحو لمعرفة الوظائف المختلفة، أي لمعرفتها من خلال إسقاط القاعدة المناسبة عليها.

ويقول أيضًا: «والكشف عن العلاقات السياقية – أو التعليق كما يسميه عبد القاهر– هو الغاية من الإعراب، فإذا طلب إلينا مثلاً أن نعرب جملة مثل: «ضرب زيد عمرًا »، نظرنا في الكلمة الأولى «ضرب» فوجدناها قد جاءت على صيغة «فعل»، ونحن نعلم أن هذه الصيغة[٢] تدل على الفعل الماضي سواء من حيث صورتها أو من حيث وقوفها بإزاء «يَفْعَلُ وافْعَل»، فهي تندرج تحت قسم

(١) قال السيوطي: « قال أبو الأسود الدؤلي: «دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فرأيته مطرقا متفكرًا، فقلت: فيمَ تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحنًا فأردت أن أصنع كتابًا في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة. ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إليَّ صحيفة، فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله: اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل». سبب وضع علم العربية، ص ٣٤.

وقد ذكروا أيضًا في سبب وضع النحو أن أبا الأسود الدؤلي سمع قارئًا يقرأ: «إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه» بالجر، فقال: معاذ الله أن يكون الله بريئًا من رسوله، اقرأ: ﴿إن الله بريءٌ من المشركين ورسولُه﴾، سورة التوبة، الآية ٣.

وانظر القصة بتمامها في طبقات النحويين واللغويين، ص٢٢–٢٣.

(٢) كان على الباحث ألاَّ يستسلم لأمر الصيغة في هذا السياق، لأن فكرة الزمن ودلالة الصيغة الفعلية عليها غيرُ ناضجة في أذهان النحويين السابقين، وقد أنكر ذلك أكثر الباحثين المحدثين سواء في أصول الفقه، أم في فقه اللغة. انظر البحث النحوي عند الأصوليين، ص ١٥٠ وما بعدها، ومن أسرار اللغة، ص ١٦٥.

أكبر من بين أقسام الكلم يسمى«الفعل»، ومن هنا نبادر إلى القول بأن «ضرب فعل ماض»، ثم ننظر بعد ذلك في «زيد» فنلاحظ ما يأتي:

١- أنه ينتمي إلى مبنى الاسم. (قرينة الصيغة).

٢- أنه مرفوع. (قرينة العلامة الإعرابية).

٣- أن العلاقة بينه وبين الفعل الماضي هي علاقة الإسناد. (قرينة التعليق).

٤- أنه ينتمي إلى رتبة التأخر. (قرينة الرتبة).

٥- أن تأخره عن الفعل رتبة محفوظة. (قرينة الرتبة).

٦- أن الفعل معه مبني للمعلوم. (قرينة الصيغة).

٧- أن الفعل معه مسند إلى المفرد الغائب. (وهذا إسناده مع الاسم الظاهر دائمًا قرينة المطابقة).

وبسبب كل هذه القرائن نصل إلى أن «زيد» هو الفاعل. ثم ننظر بعد ذلك في «عمرًا»، ونلاحظ:

١- أنه ينتمي إلى مبنى الاسم. (قرينة الصيغة).

٢- أنه منصوب. (قرينة العلامة الإعرابية).

٣- أن العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة التعددية. (قرينة التعليق).

٤- أن رتبته من كل من الفعل والفاعل هي رتبة التأخر. (قرينة الرتبة).

٥- أن هذه الرتبة غير محفوظة. (قرينة الرتبة).

وبسبب هذه القرائن نسارع إلى القول بأن«عمرًا» مفعول به»[1].

فتحديد الفاعل يحتاج إلى سبع قرائن، والمفعول به إلى خمس قرائن، وهذه تختلف بين وظيفة وأخرى، فهو ذكر ذلك في صدد الفاعل والمفعول، ولم يذكر شيئًا في صدد المبتدأ أو الخبر، ولاسيما أن هذا قد يؤدي إلى شيء من

(١) اللغة العربية، معناها ومبناها، ص ١٨١-١٨٢.

التشابه. قال العكبري: «وأما اختلاف الإعراب مع اتفاق المعنى وعكسه، فشيء عارض جاز لضرب من التشبيه بالأصول، فلا يناقض به»[١]. ولو سلّمنا بذلك لأصبح لكل وظيفة نحوية لأي كلمة في سياق ما قرائن خاصة بها للدلالة عليها، وهذا يقعّر المسألة، ويزيدها تعقيدًا، وليس هذا هو القصد، ولاسيما أن وضع هذه القرائن كان لكشف الوظائف أو لإعراب الكلمات، وهي مسألة تعليمية بفهمها اليسير، وإن كانت تدخل في صلب التفكير النحوي[٢].

إن العلاقة التي تربط الفعل والفاعل ذات تأثير، يحتاج إلى مفعول، بصرف النظر عن الناصب الحقيقي للمفعول، فالعلاقة الناظمة لهذين الأمرين تكوّن الجملة الفعلية، إذ بهما تقوم، وتتحقق علاقة الإسناد.

إن سلَّمنا بأن الرافع للفاعل هو الفعل، وأنَّ الناصب للمفعول هو الفعل؛ فعلينا أن نسلَّم أن هذا التأثير الذي يرفع الفاعل وينصب المفعول ثابت في الاسمين معًا، فالتسليم بتأثير العلاقة بين الفعل والفاعل تسليمٌ بأنَّ ظهورها يكون على المفعول، وأثر العامل يظهر عندما نعلم أنّ الناصب للمفعول به ليس الفعل وحده، ولا الفاعل وحده، ولا الفعل والفاعل معًا، وإنما علاقة الفعل بالفاعل وتأثير ذلك في المفعول، ولاسيما أنهما يكونان علاقة الإسناد في الجملة الفعلية، وإعراب الكلمة حالاً دليلٌ على ذلك، فالفاعل في «جاء زيد فرحًا» صاحب الحال، والعامل في نصبها الفعل، والحقيقة لا معنى للحال بلا صاحبها، والنصب من علاقة الفعل والفاعل، ولا نصب من غير الفعل والفاعل معًا.

ومَن قال: إن نصب الحال من تأثير الفعل جرى على ما أراده البصريون[٣] من جعْل الفعل هو العامل الحقيقي في المنصوب، أو ما له تأثير

(١) اللباب في علل البناء والإعراب ٥٧/١.

(2) انظر ص ٢ من هذا البحث.

(٣) انظر الإنصاف ٧٨/١–٨٠، وكذا سيبويه ٩٢/١، وشرح المفصل لابن يعيش ٩/٨–١٠.

الفعل، وهذا نصٌّ على أن تأثير الحدث ليس مجردًا، والحدث المجرد لا تأثير له، وإنما التأثير بسبب العلاقة الإسنادية، فالأمور المجردة لا معنى لها، ومعانيها تتأتَّى من سياقها، وهو أشبه بنار تخرج من ضرب حجرين أحدهما بالآخر، إذ الحجر الواحد لا يقوى على ذلك، ولكنَّ العلاقة بين هذين العنصرين تخرج هذه النار، فالتأثير حصل من علاقتهما، وليس من أحدهما فقط، ومحصوله أن هذا من أثر النظم الذي يؤثر في الكلمات، ويسميها بمسمياتها الوظيفية في السياق.

ولو سلّمنا بما ذهب إليه د.تمَّام حسَّان وجدنا أن الأخذ بذلك يفرض أن تُراقب عملية التفكير بنحو دقيق عند إعراب الفاعل مثلاً، لتتبيّن حقيقة مرور هذا التفكير بهذه المراحل، أو تُستحضر هذه المعاني التي عبر عنها بالقرائن، وإن كانت تعتمد على فهم سابق، استُخلص من قاعدة نحوية معينة، فلو لم يكن لدى المعرب مفهوم سابق لهذه العملية على أن هذه الصيغة تنتمي إلى صيغ الاسم لما استطاع معرفة ذلك، وكذا القرائن الأخرى، ولاسيما قرينة التعليق، وسآتي على ذكرها.

فمراقبة ذلك تعني استحضار عدد من القواعد، لأستطيع تحديد الوظيفة للكلمة المعنية، مع أن علاقة الإسناد وحدها تكفينا مؤونة القرائن الأخرى للوصول إلى ما نريد في أمر الفاعل، وهي التعليق كما سماها عبد القاهر، وتبعه الباحث؛ لأن ما يوضح ذلك، ويحتاج إليه المعرب معرفةُ حقيقة الإسناد، فمعرفة ذلك تبيّن الفاعل، وأمَّا ظهور الضمة عليه فمسألة أخرى، فكون الكلمة فاعلا على سبيل المثال هو الذي تطلّب وجود الضمة، لأنها مجرد علامة على ذلك، ولا صلة لها بحقيقة العلاقات بين الكلمات بصرف النظر عن ظهور الحركات، وأما تفسير ظهور الحركات فهذا يدفع إلى معرفة حقيقة العوامل التي جعلت هذه الحركة دون غيرها تظهر على هذا الاسم.

وهل يلزم أن أنظر في القرائن التي ذكرها الباحث حتى أتبين فاعلية

الكلمة أو مفعوليتها، وما أقول إذا كان الكلام مكتوبًا، ولم تظهر حركاته؟ لكن معرفة حقيقة الإسناد، هي التي تجعلني أضع الضمة على هذه الكلمة والفتحة على تلك، وليس ظهور الحركة هو الذي يدلل على ذلك، ولاسيما أن الفتحة – على سبيل المثال– تظهر على عدد غير قليل من الوظائف المختلفة للكلمات.

ويضاف إلى ذلك ما للسياق من أثر ظاهر في هذا الأمر، فقد اعتنى النحاة بالمقام الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية، مشيرين بذلك إلى تأثير دلالة السياق اللغوي وسياق الموقف الملابس له في العناصر النحوية، من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير، وغير ذلك مما يعرف بعلم المعاني، إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل(١).

والوظيفة النصية تختص ببناء الحدث اللغوي «المقال»، وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام ولقوانين النحو ولتنظيم المحتوى بطريقة منطقية مترابطة تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها(٢).

والباحث أغفل أثر المقام في الكشف عن العلاقات، وهو الغاية من الإعراب كما قال الباحث(٣)، وأعني بذلك أنه لما ذكر القرائن التي تكشف وظيفة الكلمة في السياق أو ما يسمى بالإعراب لم يذكر قرينة المقام، فبدلُ النسيان أو الغلط كما عبَّر عنه النحويون في كلامهم قد يصبح بدل قصْدٍ بالنظر إلى أثر المقام، نحو: «قرأ زيد كتابًا، مجلةً»، فالنحويون يعربون «مجلة» بدلَ نسيان

(١) انظر النحو والدلالة، محمد حماسة عبد اللطيف، ص ١١٣.

(٢) انظر الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، ص ١١٨.

(3) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٨١.

أو غلط، والمقامُ هنا يأبى الخطأ أو النسيان، بل الأمر مقصودٌ بذاته، والمغزى أن يُوحى إلى زيد بضرورة قراءة كتاب بدل مجلة. فهذا الذي ظُنّ أنه غلط مقصودٌ، فهو – إذًا – بدلُ قصد، لا نسيان. والأمثلة على ذلك كثيرة. وهذا كله مما يؤكد أثر المقام في الكشف عن العلاقات وتبيانها، وإذا سلّمنا بذلك كان «المقام» قرينة لا تقلّ أهمية عن القرائن التي ذكرها لأجل الإعراب.

قال نهاد الموسى: «وكنت نظرت في سياق بحث مختلف في كتاب سيبويه، ألتمس فيه هذا العنصر من عناصر التحليل، فوجدته منذ ذلك العهد المبكر، يفزع إلى «السياق» والملابسات الخارجية وعناصر المقام، ليردَّ ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة، إلى أصول النظام النحوي طلبا للاطراد المحكم، وهو يوافق فيما صدر عنه في الكتاب ملاحظات كثيرة مما تنبني عليه الوظيفة ومناهج «التوسع» أو اللغويات الخارجية بعبارة دي سوسير»[١].

ثم قال: «وسيبويه يجمع في كتابه بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق، ولا يقف عند الجانب اللغوي الخالص المنسجم مع نظرية العامل، بل يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها، وما يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام، كما تنبه إلى أثر السياق في أمن اللبس وتحديد البناء الجواني المقصود من البناء البراني ذي الاحتمالات»[٢].

وقول تمَّام حسَّان: «والكشف عن العلاقات السياقية... هو الغاية من الإعراب»، يقتضي أن يكون المقصود الإعراب التطبيقي، وهذا مختلف عن

(١) نظرية النحو العربي، ص ٨٨.

(٢) نفسه، ص٩٠-٩١.

الإعراب الذي دخل الكلام لأغراض توضيح الوظائف وإزالة اللبس[١]، فهو موجود في اللغة بالقوة، سواء أُعرب الكلام أم لم يُعرب، وهو ما صرح به غير واحد من النحويين.

قال الزجاجي: «والإعراب إنما دخل الكلام ليفرق بين الفاعل والمفعول، والمالك والمملوك، والمضاف والمضاف إليه، وسائر ما يعتور الأسماء من المعاني»[٢].

وقال ابن جني: «الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرمَ سعيدًا أباه، وشكر سعيدًا أبُوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا واحدا؛ لاستبهم أحدهما من صاحبه»[٣].

وقال ابن فارس: «الإعراب هو الفرق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد»[٤].

وقال عبد القاهر الجرجاني: «قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه هو المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه»[٥].

---

(١) انظر تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده، ص ٥٨.

(٢) الإيضاح، ص ٧٦، وانظر الجمل، ص٢٦٠.

(٣) الخصائص ٣٥/١، وانظر نحو وعي لغوي، ص ٥٥.

(٤) الصاحبي، ص ٧٦، وانظر المزهر ٣٢٧/١ .

(٥) دلائل الإعجاز، ص ٢٨، وانظر المقتصد ٢١٠/١ .

وقال السهيلي: «إن الإعراب دليل على المعاني التي تلحق الاسم نحو كونه فاعلا، أو مفعولا، أو غير ذلك»(١).

وقال السكاكي: «إن كل واحد من وجوه الإعراب دال على معنى، كما تشهد لذلك قوانين علم النحو»(٢).

وقال ابن أبي الربيع: «وهذا التغيير في الحركات إنما قصد به في الأصل الدلالة على المعاني من الفاعلية والمفعولية والإضافة»(٣).

وقال ابن قيم الجوزية: «اختص الإعراب بالأواخر، لأنه دليل على المعاني اللاحقة للمعرب، وتلك المعاني لا تلحقه إلا بعد تحصيله، وحصول العلم بحقيقته»(٤).

إذًا، ثمة فرق كبير بين الكلام على العامل الذي أثَّر في الكلمة، فكان ظهورُ هذه الحركة دون غيرها دليلاً عليه، وبين معرفة المعنى الوظيفي للكلمة ذاتها في السياق ذاته. ويدلُّ على أن المسألة ليست محصورة في العامل النحوي فقط، بل في السياق الذي له أثر في ذلك، وهو ما يُعرف بالنظام النحوي. فالعامل يُحدث الحركة على الكلمة المعربة في الأصل، غير أنه لا يُحدثها على الكلمة المبنية في الأصل، وهذا يعني أن العامل من حيث المبنى لم يؤثر في الكلمة، لكن السياق ما زال يؤثر فيها، فيبين وظيفتها، ويكشف ارتباط الكلمات الأخرى بها.

ولعلّ الباحث في كلامه على العامل النحوي خلط بين العامل ذي الأثر الظاهر على الكلمات بسبب اختلاف المعاني الوظيفية، وبين النظام

(١) نتائج الفكر، ص ٨٢ .

(٢) مفتاح العلوم، ص ٢٥١ .

(٣) البسيط ١/ ١٧٢-٥٨١ .

(٤) بدائع الفوائد ١/٣٤.

النحوي الذي يكشف وظائف الكلمات بعملية الإعراب.

وهو أمر يظهر واضحًا في عملية ضبط الكلمات المكتوبة أو المنطوق بها عند من يجهل ما تقتضيه القواعد، وضرب الباحث مثالاً على ما نحن فيه قولنا: «ما أحسن زيدًا»، فقال: «وأما بالنسبة لمبنى «ما»؛ فقد رأينا من قبل أنها تصلح على إطلاقها للشرط، والاستفهام، والموصول، والمصدرية، وأن تكون كافة، أو زائدة، إلخ، بل إنها في هذا الموضع بالذات رأينا أن النحاة اختلفوا فيها بين أن تكون:

١- نكرة تامة بمعنى «شيء».

٢- استفهامية.

٣- معرفة ناقصة بمعنى «الذي».

٤- نكرة ناقصة، وبعدها صفة.

وإن كانوا اتفقوا على أنها اسم وأنها مبتدأ، والمغزى من وراء كل ذلك أن ما يتسم به المعنى الوظيفي للمبنى الواحد من التعدد والاحتمال يجعل الناظر في النص يسعى دائماً وراء القرائن اللفظية والمعنوية والحالية، ليرى أي المعاني المتعددة لهذا المبنى هو المقصود، ومن هنا نرى التفاصيل بين المعربين للجملة الواحدة»[(١)].

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن القرائن السبع التي سبق ذكرها أو الخمس أو غيرها، لا تعين على كشف المراد من «أحسن»، وأن تسليط هذه القرائن وغيرها على«أحسن» لا يحدد حركتها، إذًا، فما قيمة هذه القرائن وحدها إذا لم تبيّن حركة هذه الكلمة في هذه الجملة؟ ولا بدّ من اللجوء إلى قرائن أخرى لمعرفة وظيفة الكلمة أو إعرابها، ولاسيما أن القرائن التي ذكرها لا توجب حركة ما دون

(١) اللغة العربية، معناها ومبناها، ص١٨٠-١٨١.

أخرى، ولا تحدد كون حركة الكلمة ضمةً أو فتحة، وفي هذا السياق نجد أن المراد لا يستبين إلا باللجوء إلى السياق العام الذي وردت فيه الجملة، فإذا تعذر هذا، أُخضعت الجملة للمعنى الشائع والأكثر ورودًا في هذا النمط من التعبير، وهو – على سبيل المثال في هذا الأمر– أن تكون «ما» نكرة تامة، و«أحسن» فعلاً ماضيًا لإنشاء التعجب.

فالتنوع السياقي يؤدي إلى تنوع في المعاني الوظيفية بصرف النظر عن أي عامل، وهذا من طبيعة النظام النحوي[١]، وليس من خصائص العامل النحوي، فالعامل يؤثر في الكلمات التي تقبل التأثُّر، فتكون الحركات دلائل على ذلك، وأما ما يضبط هذه الأمور جميعًا – بالإضافة إلى العامل– فهو النظام العام للسياق، إذ ليس من وظيفة أحد ولا بمقدوره أن يحدد المعنى الوظيفي بمعزل عن السياق المعني.

ثم قال: «وفي رأيي –كما كان في رأي عبد القاهر على أقوى احتمال– أن التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية، لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعًا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية»[٢].

إن إدراك التعليق أمر خاص بالعملية الإعرابية التي تبين المعاني الوظيفية

(١) «والنحو من اللغة كالقلب من الجسم الإنساني –كما يقول تشومسكي– وإذا كان القلب يمد الجسم الإنساني بالدم الذي يكفل له الحياة، فإن النحو يمد الجملة بمعناها الأساسي الذي يكفل لها الصحة ويحدد لها عناصر هذا المعنى». النحو والدلالة، ص ٩.

(٢) اللغة العربية، معناها ومبناها، ص ١٨٩ .

للكلمات في السياق، ولا يعني القضاء على خرافة العمل النحوي كما ذهب الباحث إليه، إذ إن بين الإعراب والعامل فرقًا كبيرًا، فقد يجري هذا الكلام على الإعراب، فيصبح التعليق هو الأهم بين القرائن التي ذكرها، قال ابن يعيش: «الإعراب: الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها، ألا ترى أنك لو قلت: «ضرب زيد عمرو» بالسكون من غير إعراب، لم يُعلم الفاعل من المفعول، ولو اقتُصر في البيان على حفظ المرتبة، فيعلم الفاعل بتقدُّمه والمفعول بتأخُّره، لضاق المذهب، ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب، ألا ترى أنك لو قلت: «ضرب زيد عمرًا»، و«أكرم أخاك أبوك»، فيعلم الفاعل برفعه، والمفعولُ بنصبه، سواء تقدَّم أو تأخَّر.

فإن قيل: فأنت تقول: «ضرب هذا هذا»، و«أكرم عيسى موسى»، وتقتصر في البيان على المرتبة، قيل: هذا شيء قادت إليه الضرورة هنا لتعذُّر ظهور الإعراب فيهما، ولو ظهر الإعراب فيهما أو في أحدهما، أو وُجدت قرينة معنوية أو لفظية، جاز الاتساع بالتقديم والتأخير»[(١)].

أما أمر العامل النحوي؛ فمختلف عما سبق، إذ لا مدخل للمتكلم على السليقة بأمر العامل، فهو مسألة لا سلطان له عليها، فالمتكلم –قصد أو لم يقصد– لا يستطيع إلا أن يلفظ بنحو صحيح، وبذلك يظهر أثر العامل النحوي في كلامه، وهذا الإنسان الذي أعنيه هو صاحب الفطرة والسليقة، وخير مثال على ذلك ما فعله بعضهم في مناصرة الكسائي على سيبويه، عندما قالوا: هي بالنصب لا بالضم، ولم يلفظوها[(٢)]، لأنهم لو لفظوها لما استطاعوا أن يناصروا الكسائي، وذلك بسبب قوة العامل في كلام صاحب السليقة، أي إن الاسم

(١) شرح ابن يعيش ٧٢/١.

(٢) انظر الإنصاف ٧٠٢/٢.

الواقع بعد «إن» وهي حرف ناسخ، لا يكون إلا منصوبًا، ولو أراد المتكلم غيرَ ذلك لما استطاع، فهذا هو العامل، وما دون ذلك لا يكون إلا بتأثير المتكلم نفسه، فالمتكلم اليوم هو الذي يرفع الفاعل وينصب المفعول[١]، ولكن الفاعل عند أصحاب السلائق يرفعه الفعل بتأثيره، وليس بتأثير إرادة المتكلم نفسه.

قال سيبويه في باب مجاري أواخر الكلم من العربية: «وإنما ذكرت لك ثمانية مجار لأفرُق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يُحدث فيه العامل[٢] – وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه– وبين ما يُبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ في الحرف، وذلك الحرف حرف الإعراب»[٣].

وابن جني نفسه أقرَّ بالعامل النحوي مع أنه كان قد استسلم في بداية كلامه عليه بجعله من فعل المتكلم نفسه بقوله: «فأما في الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره، وإنما قالوا: لفظي ومعنوي، لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ، أو باشتمال المعنى على اللفظ، وهذا واضح»[٤]، ثم عاد عن

(١) انظر إحياء النحو، ص ٧٨، و«في إصلاح النحو العربي»، ص ١٠٠، والنحو العربي بين التطوير والتيسير، ص ٢٤٢، وإحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي، ص ١١٥-١١٦ .

(٢) قال الفارسي: «وهذا مما يدلّ على أن الغرض في الأسماء أن تكون معرَّضة للعوامل والإخبار عنها، ألا ترى أن الحركة تجب لها بالعامل». المسائل العسكريات، ص ١٥١.

(٣) سيبويه ١/١٣.

(٤) الخصائص ١/١٠٩-١١٠.

ذلك، وجعله من أثر السياق[١]. لأنه مفروض على المتكلم، ولا إرادة له فيه، وشأنه شأن التلفظ في أي حرف من حروف العربية بنحو صحيح، إذ لا قدرة للمتكلم على تغيير ذلك.

قال العكبري: «واختلفوا هل الإعراب سابق على البناء أم العكس؟ فالمحققون على أن الإعراب سابق، لأن واضع اللغة حكيم، يعلم أن الكلام عند التركيب، لابد أن يعرض فيه لبس، فحكمته تقتضي أن يضع الإعراب مقارنا للكلام. وقال الآخرون تكلمت العرب بالكلام عاريا من الإعراب، فلما عرض لهم اللبس، أزالوه بالإعراب، وهذا لا يليق بحكمتهم»[٢]. إن إعراب الكلام من صنع المعرب، وهو توضيح الوظائف، غير أن العامل هو الذي أحدث هذه الحركات المنبية عن بعض الوظائف، وأما السياق فهو الذي أناط الوظائف بالكلمات.

فالنظام النحوي لا يقوم على تبيان وظيفة الكلمة، لأنه في الكلمة ذاتها، فهو – وإن لم نفصح عنه– كامن فيها بسبب مكانها في السياق، وهي مسألة يسيرة تعليمية، لأن تبيان وظائف الكلمات لا يلغي هذه الوظائف في سياقها أو يغيرها، وعدم تبيانها لا يؤثر في جوهر النظم وحقيقته وصحته. «فقد اتخذ التشومسكيون من معرفة التركيب شرطا أساسيا لمعرفة المعنى، كما اتخذوا من المادة الدلالية دليلا يهتدون به في معرفة الصلات النحوية»[٣]. والدراسات التي تحاول الإجابة عن هذه التساؤلات تكشف صعوبة البحث في هذا المجال وأهميته في الوقت نفسه.

(١) وهذا ظاهر في مواضع كثيرة من الخصائص.

(٢) اللباب في علل البناء والإعراب ٥٧/١ .

(٣) نظرية تشومسكي اللغوية، ص ١١٨ .

ولهذا أثر في إنشاء النص اللغوي، وليس في دراسة نصٍّ مُنشأ، والفرق بين الأمرين كبير، لأن دراسة أمرٍ ما بقصد تفسيره تختلف عنها بقصد إنشائه، والقاعدة تظهر من جراء التفسير، وليس من جراء الإنشاء. «إن جميع التأويلات النحوية تفسير لواقع الجملة، أي للحدث اللغوي، وهي بهذا لا تتصل بعلم النحو الذي هو علم النماذج التركيبية، بل بعلم المعاني الذي هو تفسير لمعاني الأحداث اللغوية الواقعية من ناحية والنماذج التركيبية من ناحية أخرى»[(١)]. أما دراسة علل ظهور النص اللغوي على هذا النمط؛ فهي جوهر المسألة. لأنّ العبرة في الإنشاء أولاً، ثم في تفسيره ثانيًا، لأن في ذلك يسرًا قد لا يكون لولا المرحلة المتقدمة عليه، وهي تَكَشُّفُ هذه العلل التي جعلت السياق اللغوي يسير على هذا السمت دون غيره.

وخلاصة الكلام أن صعوبة تفسير النمط اللغوي الخاص باللغة العربية وكثرة اختلافات النحويين في علل ذلك تحتاج إلى ما يزيل عنها هذا الغموض، ويكشفها كشفًا، يجعل تلك الاختلافات تنحصر في مسائل قليلة ودقيقة. وهي بغنى عن تفسير جديد، لا يقدم إليها إلا ما يزيدها صعوبة وتعقيدًا، والرغبة في التفرّد برأي ما، قد يجرّ صاحبه إلى غير ما يلبي العوز فيه، ويحقق المنشود.

والمسألة إما علمية أو تعليمية، والتيسير فيهما مطلوب بنفسه، وعدم الإغراق في استكشاف قواعد ذلك أو مراحله قصدٌ مطلوب. فالعامل النحوي على ما هو عليه عند النحويين ثار عليه بعض منهم، فكيف الحال عند المحدثين منهم؟ وكيف الحال عند المتعلمين؟ وما نقول عنه إذا سلَّمنا بأنّ معرفة إعراب الفاعل تحتاج إلى سبع قرائن، والمفعول به خمس قرائن؟ وذلك يعني أن لكل حالة

(١) دراسات نقدية في النحو العربي، عبد الرحمن أيوب، ص ١٢٧ .

إعرابية قرائن خاصة بها، أو عاملاً مختلفًا عن الآخر، كما أن إدراك العملية الإعرابية التي تبين المعاني الوظيفية للكلمات في السياق، لا يعني القضاء على العامل النحوي، كما أشار الباحث، إذ الفرق بين الأمرين كبير.

فهو بما أراده وذهب إليه جعل وظيفة النظام النحوي كشفَ الوظائف النحوية أو معرفةَ العوامل فحسب، غير أن التنوع السياقي يؤدي إلى تنوع في المعاني الوظيفية بصرف النظر عن العامل، وهذا من طبيعة النظام النحوي، وليس من خصائص العامل النحوي.

ومهما يكن من أمر؛ فالمسألة لا تقف عند حدود العامل النحوي، وإنما تتعلق بالنظام النحوي، وما ذهب إليه الباحث يحتاج إلى إعادة نظر إذ لا يلبي الغرض، ولا يُيسِّر الأمر.

ثبت المصادر والمراجع

- إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ١٩٣٧م.
- إحياء النحو وتجديده بين إبراهيم مصطفى وأمين الخولي لعبد الله أحمد خليل منشورات جامعة عمر المختار، ليبيا، ط١، ١٩٩٤م.
- الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية، الدكتور سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، المكتبة التجارية الكبرى.
- الإيضاح في علل النحو للزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، ط٤، ١٩٨٢م.
- البحث النحوي عند الأصوليين لمصطفى جمال الدين، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع، تحقيق د.عياد الثبيتي، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

– تيسير النحو التعليمي قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده، الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف.

– الجمل للزجاجي، علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.

– الخصائص لابن جني، تحقيق محمد علي النّجار، عالم الكتب، بيروت.

– دلائل الإعجاز للجرجاني، تصحيح محمد عبده، نسخة مصورة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٨م.

– دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.

– سبب وضع علم العربية للسيوطي، تحقيق مروان العطية، دار الهجرة، دمشق، ط١، ١٩٨٨م.

– شرح المفصل لابن يعيش، مكتبة المتنبي، القاهرة.

– الصاحبي لابن فارس، تحقيق أحمد صقر، البابي الحلبي، ١٩٧٧م.

– طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر.

– العربية لغة العلوم والتقنيّة، الدكتور عبد الصبور شاهين، دار الاعتصام، ط٢، ١٩٨٦م.

– فصول في علم اللغة العام، ف. دي. سوسير، نقله إلى العربية أحمد نعيم الكراعين، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥م.

– في إصلاح النحو العربي، دراسة نقدية، عبد الوارث مبروك، دار القلم الكويت، ط١، ١٩٨٥م.

–كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.

– اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري، تحقيق غازي مختار طليمات، وعبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.

– اللغة العربية، معناها ومبناها لتمَّام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

– اللغة والمعنى والسياق، جون ليونز، ترجمة د.عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة «آفاق عربية»، بغداد ١٩٨٧م.

– اللهجات العربية، نشأة وتطورًا، دكتور عبد الغفار حامد هلال، ط٢، ١٩٩٠م.

– المزهر للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزملائه، دار التراث، القاهرة، ط٣

– المسائل العسكريات للفارسي، تحقيق إسماعيل أحمد عمايرة، منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨١م.

– مفتاح العلوم للسكاكي، المطبعة الأدبية بمصر، ١٣١٧هـ.

– المقتصد في شرح الإيضاح للجرجاني، تحقيق كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة العراقية، ١٩٨٢م.

– مقدمة لدراسة علم اللغة، دكتور حلمي خليل، دار المعرفة، الإسكندرية، ١٩٩٣م.

– من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٤

– مناهج البحث في اللغة، دكتور تمام حسان، طبعة الرسالة، ١٩٥٥م.

– نتائج الفكر للسهيلي، تحقيق د. محمد البنا، دار الرياض، ١٤٠٤هـ.

– النحو العربي بين التطوير والتيسير، عبد الرحمن السيد، مجلة مجمع القاهرة، مجلد ٧٠، ١٩٩٢م.

– نحو وعي لغوي، الدكتور مازن المبارك، دار البشائر، دمشق، ط٤، ٢٠٠٣م.

– نظرية تشومسكي اللغوية، جون ليونز، ترجمة حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٥م.

معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير
في كتاب القانون لابن سينا
(القسم الرابع والعشرون)(*)

د . وفاء تقي الدين

جُبْن°

جبن ١: ٢٢، ٩٧، ١٤٤، ١٦٨، **٢٨٦**، ٢٨٧/
٢: ٤٥٧، ٥٧١، ٥٩٩

أجبان ٢: ٢٣٤، ٢٣٥، ٤٧٠، ٥٠٠

جبن حديث ٢: ١٢٨

(*) نُشرت الأقسام الثلاثة و العشرون السابقة في مجلة المجمع (مج٦٧: ص٧٤، ٤٢٨) و (مج ٦٩: ص ٣٤١، ٥٢٥) و (مج ٧٠: ص٧٥، ٣٠٣) و (مج ٧١: ص ٣٠٩، ٦٠٣) و (مج ٧٢: ص ١١٧، ٣٢٣، ٧٤٧) و (مج٧٣: ص ١١٧) و (مج ٧٥: ص ١٥٣) و (مج ٧٦: ص ١٣٥، ٦١١) و (مج ٧٧: ص٥٢٥) ومج (٧٩: ص٧١، ٣٣٣ ، ٦٢٥، ٨٣٧) ،و مج (٨٠: ١٦١، ٣٩١، ٦٢١) .

°كتاب ديسقوريدس ١٥٢ (توروس تاروس)، والحاوي ٢٠: ٢٧٢، والملكي ١: ١٩٦، ومنهاج البيان ٦٦ب، ٢٤١ أ (ماء الجبن)، وأقرباذين القلانسي ٣٩ (ماء الجبن)، والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠١، ومفيد العلوم ٧٤ (ماء الجبن)، ومفردات ابن البيطار: ١: ١٥٧، والمعتمد ٦٣، والشامل ١٥٨، ومالايسع ١٤٢، وتركيب مالايسع ٨٢ب (ماء الجبن)، وتذكرة الأنطاكي ١: ٩٩، ومعجم الشهابي ٢٨٩، ومعجمات اللغة (جبن).

جبن رطب، أجبان رطبة ١: ٢٨٧/ ٢: ١٦٦، ٥٠٠، ٥٧١/ ٣: ٢٢٦
جبن رطب غير مملح ٣: ٦٣
جبن طري ١: ٢٨٧
جبن عتيق ٢: ٢٣٤، ٤٧٠، ٤٨٢، ٦٢٣/ ٣: ٢٤٤
جبن عتيق مقلو ٢: ٤٣٠، ٤٣٣
جبن عديم الطعم ١: ٢٨٧
جبن الماعز الذي يرعى مثل الثيل والجلبان ١: ٢٨٧
جبن الماعز الذي يرعى الملطفات : ٢٨٧
جبن متوسط بين العلوكة والهشاشة ١: ٢٨٧
جبن مشوي ١: ٢٨٧
جبن مملوح عتيق ١: ٢٨٧
جبن مملوح غير عتيق ١: ٢٨٧
جبن منزوع عنه ملحه ٢: ٤٣٩
جبن يابس ٢: ٥٧١
جبن يتخذ من لبن الماعز والضأن ١: ٢٨٧
الجبنية (الموجودة في اللبن) ٢: ٢٥٩، ٤٩٩/ ٣: ٧٠
غراء الجبن ٢: ١٣٧، ٥٢٢
ماء الجبن ١: ٢٨٧، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٤٠٩،

٤٤٨/ ٢: ٦٩، ٧١، ٨٥، ١٣٩، ٢٢٣،
٣٠٢، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٤٠٥،
٤٠٩، ٤١٠، ٤٦٥، ٤٩٣، ٦١١/ ٣:
٢٨، ٥٣، ٧٠، ١١٧، ١٣٧، ٢٥١،
٢٨٢، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٣٦، ٣٧٣،
٤٣٤.

مياه الجبن ٢: ٣٩٢

الجبن من الأغذية التي ذكرتها كتب المفردات الطبية، واتخذه ابن سينا مدخلاً مستقلاً عن اللبن، وقال فيه: «الماهية: الجبن قد يتخذ من الحليب، وقد يتخذ من الرائب، وهو المسمى الأقط..» ثم ذكر خواصه وفوائده الطبية الكثيرة وبخاصة ماء الجبن الذي ذكر نسخة منه في معالجات اليرقان الأصفر، أما غراء الجبن فذكره مرتين الأولى علاجاً لإلصاق الشعر المنقلب إلى داخل العين حيث قال: «ومن الإلزاق الجيد أن يلزق بالدهن الصيني، وأجود منه بغراء الجبن وقد ذكرناه في القراباذين» والثانية في صفة بعض أنواع القاثاطير الذي يصنع من جلود الحيوانات ويلصق بغراء الجبن. ولم أجد في قراباذين القانون ولا في غيره من القراباذينات ذكراً لهذا الغراء بله وصفاً له.

الجبن ماجُمِّد صناعةً من اللبن، وله أصناف كثيرة جداً تختلف باختلاف المادة المجبَّنة واللبن المجبَّن. وقد أشار ابن سينا إلى صنفين منه أحدهما يصنع من اللبن المحلوب حديثاً، والآخر منه حين يروب فينفصل بعض مائه عن سائر مكوناته، وذكر أصنافاً أخرى في تضاعيف الكتاب. وأكثر مايخثر الجبن

بالإنفحة.

ضبط الكلمة المشهور بضم الجيم وسكون الباء، وجاء في لسان العرب: «الجُبْن، والجُبُن والجُبَن مثقل: الذي يؤكل، والواحدة من كل ذلك بالهاء .. الجوهري: الجبن هذا الذي يؤكل، والجبنة أخص منه».

جثرد

جثرد ١: ٣٣١

ورد هذا الاسم في كلام ابن سينا على حيوان سماه طاطيقس، قال فيه «..وأهل خراسان يسمونه جثرد» فهو اسم محلي لذاك الحيوان. انظر (طاطيقس).

كذا وردت اللفظة في القانون المطبوع، ومادة طاطيقس مما حذف من المصورة والمخطوطات الأخرى في جملة أدوية ذات أسماء غريبة مجهولة.

جُدْجُدْ*

جدد [كذا وهو تصحيف] ١: ٤١٦

في فصل الصاد من كتاب الأدوية المفردة ذكر ابن سينا الصرصر، وقال في شرحه هو الجدد، كذا وردت الكلمة مصحفة في المطبوع ببولاق، وهي محذوفة من المطبوع برومة، وفي المصورة «الهدهد» وهو خطأ أيضًا. والصواب من المخطوطات الأخرى. جاء في لسان العرب: «قال ابن سيده: والجُدْجُد دويبة على خلقة الجندب إلا أنها سويداء قصيرة، ومنها مايضرب إلى البياض ويسمى

* حياة الحيوان ١: ١٦١، ومعجم الحيوان ٧٥، ١١٩، ومعجم الأمير مصطفى الشهابي الألفاظ الزراعية ٣١٩، ومعجمات اللغة (جدد).

صرصراً. وقيل: هو صرار الليل، وهو قفّاز فيه شبه من الجراد، والجمع الجَدَاجِد..» واسمه العلمي Cryllus وهو من جنس حشرات من فصيلة الجدجديات ورتبة مستقيمات الأجنحة

ضبط هذا الاسم بضم الجيمين وسكون الدال. قال في تاج العروس: «والجدجد كهدهد طويئر يصر بالليل ..»

جدوار*

جدوار ١: **٢٨٧**، ٣٠٣، ٣١١/ ٢: ٢٦٧/ ٣:

وأدق منه، وفي قوته، وأفضل منه، ينبت مع البيش، ويضعف نبات البيش بجواره. قال ابن ماسرجويه إنه في فعله كالدرونج، إلا أنه أضعف منه. أقول: إن عنى به أن الجدوار أضعف منه، فقد أساء فيما نظن، وإن عنى به أن الدرونج أضعف فلا يبعد ذلك، وما عندي أن ابن ماسرجويه وَفَتْ تجربته بهذا التمييز، ثم ليس له في هذا رواية مأثورة إلى صدر موثوق بقوله، وقد عرف أن الجدوار يقاوم البيش، فكيف يكون أضعف من الدورنج؟!»[1] وذكر من فوائده أنه مضاد

* الحاوي ٢٢: ١٨، والصيدنة ١٣١، ومنهاج البيان ٦٧أ، والمختارات ٢: ٥٠، وشرح أسماء العقار ١٢، والمنتخب ٩٤، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٩، ومنهاج الدكان ١٨٤، والمعتمد ٦٥، ومالايسع ١٤٣، وحديقة الأزهار ٨١ (٨٤): والتذكرة ١: ١٠٠، وقاموس الأطبا ١: ١٥٨، ومعجم أسماء النبات ٦٣(٤)، ومعجم الشهابي ٦٨٨، والألفاظ الفارسية المعربة ٣٩، ومحيط المحيط ٩٦ (جدر)، وبرهان قاطع ٢: ٥٦٦ (جدوار) ١٠٠٨ (زدوار)، ١٠٥٨ (زْدوار).

(١) كثيراً ماينقل ابن سينا عن غيره من أطباء العرب دون أن يذكر اسمهم، فإذا أراد تَنَقُّصَهم ذكره. انظر المقدمة: علاقته بمعاصريه.

لجميع السموم. ونقل عنه ابن البيطار أنه عده في الأدوية القلبية من المفرحات القوية.

قال الرازي في الحاوي: «جدوار: هو قطع صلبة تشبه الزرنباد» ونقل البيروني في الصيدنة من أسمائه، زدوار، وماه پروين بالفارسية، وأنتله وزرنب وزرنباد وزرنباهه وبوحا وبيش بوحا. واسمه بالهندية تربس، وباليونانية سوطيريوس أي مخلص الأرواح .. وقال: هو خمسة أصناف كلها تجلب من الهند، وذكر من خواصه أنه يقاوم السموم جميعًا، ويفرح تفريحًا عظيمًا يقارب الخمر. وأكثر المراجع بعد ابن سينا نقلت ما جاء في القانون، منها منهاج البيان ومختارات ابن هبل ومالايسع الطبيب جهله وقاموس الأطباء.. أما أبو المنى العطار، وابن سمجون (فيما نقله عنه ابن البيطار) فقالا إنه الأنتله. وجاء في المنتخب من مفردات الغافقي:«جدوار. ابن سينا: هو قطع تشبه الزراوند وأدقّ منه... ابن الكتاني وغيره من المحدثين قالوا إنه الأنْتَلَة. والبيش الذي ينبت معها هو الطوارة، وهي أصول كالبلوط الصغير ينفع من السموم والقولنج .. والأنتلة مرة، وهي درياق عجيب يقوم مقام الترياق الفاروق .. لي: الأنتلة عندنا ضربان: ضرب يعرف بالأنتلة السوداء، وهي التي ذكروا أنها الجدوار، والأخرى هي البيضاء فأما السوداء فهي مدورة وخارجها أسود وداخلها أبيض إلى الصفرة وورقها كورق كزبرة الثعلب وينبت معه الطوارة ...» ولم يقطع ابن البيطار في أمر هذا الكلام بل نقل بعضه ثم قال: «لي: قد ذكرت الأنتلة والطوارة في حرف الألف فتأمله هناك» وفي الأنتلة قال: «هي الجدوار الأندلسي». أما داود الأنطاكي فنقل في تذكرته كلام البيروني في الصيدنة. الاسم العلمي لنبات الجدوار -Cur cuma zedoaria.

ضبطت جدوار في جميع المراجع بفتح الجيم وسكون الدال، وهي معربة من الفارسية زدوار، ومنها أخذ الاسم العلمي.

جدول

جدول، جداول ١: ٢٤٢، ٢٤٣/ ٢: ٢٣٧، ٣٩٤، ٥٧٥/ ٣: ١٤٩، ١٨٤، ٤١٣ وغيرها.

استعمل ابن سينا كلمة الجداول في كتاب الأدوية المفردة للدلالة على ما أورده منها منظمًا متتاليًا مرتبًا ترتيبًا خاصًا، وفي مقدمة كتاب الأدوية المفردة ما يبين أنها كانت مرتبة في جداول ملونة. يقول ابن سينا[1]: «اعلم أني قد جعلت الأدوية الجزئية المفردة المستعملة في صناعتنا الطبية ألواحًا مصبوغة بأصباغها .. فجعلت اللوح الأول لأسماء الأدوية .. والثاني لاختيار الجيد منها.. والرابع لخواص أفعالها .. وجعلت لكل واحد منها كتابة بصبغ حتى يسهل التقاطه، والخامس في أفعالها التي تتعلق بالزينة إما في الجلد نحو إزالة البهق والبرص .. وفي الشعر نحو تطويله .. وأعلمت على كل شيء يقع في الجلد أو الشعر أو أعضاء أخر بعلامة صبغية ليسهل بذلك طلبه في الجداول حتى يلتقط جميع الأدوية المفردة التي يقع فيها بسرعة. ويستعير ابن سينا أيضًا هذا المصطلح عند الكلام على الأوردة والشرايين وفروع القصبة الهوائية مما لا يعنينا تدوينه هنا. الجدول في معجمات اللغة النهر الصغير، والجمع جداول. قال البستاني في محيط المحيط «وفي اصطلاح العلماء عبارة عن شبكة تحتوي مجموع قضايا على وجه مختصر يمكن به الوقوف عليها ومقابلتها معًا دفعة واحدة مرتبة على شكل شجرة كجدول الكليات في المنطق .. والجدول في اصطلاح الكتاب خطوط مستقيمة ترسم في صفحة الكتاب حول الأسطر محيطة بها من كل الجهات ..» قلت: مصطلح ابن سينا قريب مما ذكر، ولا يمكننا الجزم بشكل الجداول التي صنعها للأدوية إلا إذا توصلنا إلى نسخة القانون الأم.

---

(١) القانون ١: ٢٤٢.

جدي

اطلبه في مادة (ماعز) في باب الميم من هذا المعجم.

جَذْر*

جذر	١: ٣٤٤
جذر التودري	انظر تودري
جذر الكبيكج	انظر كبيكج
جذر اللوف	انظر لوف

جذر كل شيء أصله. وفق ماورد معجمات اللغة. وجذور النبات والشجر أصوله التي في باطن الأرض. ويلاحظ أن ابن سينا استعمل في كتابه كلمة أصل وجمعها أصول أكثر بكثير مما استعمل كلمة جذر[١] على حين تميل كتب النبات الحديثة إلى استعمال كلمة الجذر بدل أصل.

أما كلمة جذر التي وردت في القانون أثناء كلام ابن سينا على الكرفس[٢] فهي تصحيف فيما أُرجّح، والنص الذي وردت فيه هو كما يلي: «.. ومنها الكرفس العظيم .. ورأيت أنا منه بخلف جبال طبرستان وعلى أصله أصول كثيرة كأنها مفلقة منه بأطوالها كالجذر، ولغلظه إذا دعكته تقصف وفاحت منه رائة كرائحة ماء الكافور» كذا وردت اللفظة بإعجام الذال في القانون المطبوع ببولاق وبالإهمال في المطبوع برومة، والكلام على أنواع الكرفس كله مما حذف من المخطوطات والمصورة. وأظن أن الصواب «الجدر» كما في طبعة رومة جاء في اللسان: « الجَدر سلع تكون في البدن خلقة أو من ضرب أو جراحة، واحدته

---

* معجم الشهابي ٥٤٨، ومعجمات اللغة (جذر، جدر).

(١) انظر مادة أصل وقد سبقت في باب الهمزة من هذا المعجم.

(٢) القانون ١: ٣٤٤.

جَدَرة وجُدْرة .. وقيل الجدر إذا ارتفعت عن الجلد، وإذا لم ترتفع فهي نَدَب. وقال اللحياني: الجدر السلع تكون بالإنسان أو البثور النائتة».

جراد*

جراد	١: **٢٨٦**، ٣٣١
جراد سمين لاجناح له	١: ٢٨٦
جراد صغير	١: ٢١٤
الجرادة العظيمة التي لا جناح لها	٣: ٢٥٦
رأس الجراد	١: ٢٨٦
رجل الجراد، أرجل الجراد	١: ٢٨٦، ٣٥٢
زبل الجراد	١: ٣٠٨
أطراف الجراد	١: ٢٨٦
مرقة الجراد الحي	٣: ٢٣٧

الجراد من أدوية القانون المفردة. لم يحدد ابن سينا ماهيته لأنه معروف بل بدأ ببيان أصنافه ثم ذكر فوائده في الطب فقال: «جراد. الاختيار: أجوده السمين الذي لا جناح له. الزينة: أرجلها تقلع الثآليل فيما يقال ... مستديراتها .. يشرب للاستسقاء وتؤكل للسع العقرب».

الجراد حشرة ضارة معروفة، ذكرها الأطباء في كتبهم واستخدموها دواء،

* كتاب ديسقوريدس ١٤٤ (اقروش)، وكتاب النبات ٣: ٥٣، وكتاب الحيوان ١: ٣٠/ ٤: ٣٣٧/ ٥: ٥٥١ وغيرها كثير، والمخصص ٨: ١٧٢، والملكي ٢: ١٣٧، والحاوي ٢٠: ٢٨٤، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥ ومنهاج البيان ١٣٩ ب (زبل الجراد) والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠٣، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، والمعتمد: ٦٥، ومالايسع الطبيب جهله ١٤٥، وحياة الحيوان ١: ١٦٢، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٠، وقاموس الأطباء ١: ١٢٦، ومعجم الشهابي ٥٨٩، ومعجم الحيوان ١٥٢، ومعجمات اللغة (جرد).

وذكرها مصنفو معجمات اللغة وكتب الحيوان. الاسم العلمي لهذا الجنس من الحشرات هو Acridium، وهي من الفصيلة الجرادية ورتبة مستقيمات الأجنحة. أما ما جاء في القانون (١: ٣٩٣) فالمراد به الجراد البحري.

فصل ابن سيده في المخصص في أسماء الجراد وأنواعها وبيضها وأسماء أطوارها وغير ذلك، ويكفينا اختصاراً أن نقول كما جاء التاج: «جراد بالفتح معروف، الواحدة جرادة للذكر والأنثى».

جراد البحر*

ماء ملح الجراد المالح ١: ٣٩٣

في كتاب الأدوية المفردة تكلم ابن سينا على السمك وأصنافه وفوائده فكان مما قال: «.. وماء ملح الجراد المالح إذا جلس فيه [ينفع] من به قرحة الأمعاء في ابتداء العلة» فمراده هنا حيوان بحري وصفه البيروني في الصيدنة حيث قال: «جراد البحر... حيوان بحري ذو رأس مربع أو يكاد، وله فيما يلي رأسه صدف بالعناكب إلا أنها كبار جداً، ولها قرنان دقيقان قائمان، ولها في مواضع شواربها قرنان دقيقان، وعينان بارزتان متدليتان من رأسها، وهذا الجراد يكثر في بحر الروم..» نقل هذا الوصف كثيرون بعد البيروني منهم ابن البيطار الذي نسبه إلى الشريف، وابن الكتبي، والدميري، وغيرهم. ونبه مؤلف معجم الحيوان على أن هذا الاسم قد يطلق على هذا السرطان النهري وعلى الروبيان أيضاً والظاهر أن ابن سينا أراد الأول واسمه العلمي Palinurus vulgaris وهو من القشريات عشارية الأرجل.

* الصيدنة ١٣٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، ومالايسع الطبيب جهله ١٤٥، وحياة الحيوان ١: ١٦٦، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٠، ومعجم الحيوان ١٥٢ ومعجم الألفاظ الزراعية ٣٨٢.

جُرَادة

جرادة القرع انظر قرع

الجُرادة وزن فُعالة من جرد الشيء يجرده جرداً: قشره، فمراد ابن سينا من جرادة القرع ماينقشر منه. انظر مادة (قرع) في معجمنا هذا.

جِرجِير*

جرجير ١: ٨٤، ١٥١، ٢٠١، **٢٨٨**، ٣٨٧/ ٢: ٢٨٠، ٢٨١، ٤٧٠، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٨/ ٣: ٢٩، ٢٥٤، ٢٩٨

جرجير بري ١: ٢٨٨

جرجير بستاني ١: ٢٨٨

جرجير الماء ١: ٤٢٤ وانظر كرفس الماء وقطف وقرة العين.

جرجير مسلوق ٣: ٢٥٠

جرجير مطحون ٣: ٤٢٩

بزر الجرجير ١: ٢٣٥، ٢٨٨، ٣١٤/ ٢: ٣١٦، ٣٧٨، ٥١٤، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤، ٦١٢/

* كتاب ديسقوريدس ٢٠٤ (اوزمن)، وكتاب النبات ١: ٩٦، والحاوي ٢٠: ٢٣٦، والملكي ١: ١٨٤، والصيدنة ١٣٢، ١٣٣ (جرجير الماء)، ومنهاج البيان ٦٧أ، وشرح أسماء العقار ١١، والمختارات ١: ٢٥٧، والمنتخب من مفردات الغافقي ٩٢، ومفيد العلوم ٣١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٠، والمعتمد ٦٦، والشامل ١٦٢، ومالايسع ١٤٣، ١٤٥ (جرجير الماء) وحديقة الأزهار ٧٢ (٧٢)، وقاموس الأطباء ١: ١٥٨، وتذكرة داود ١: ١٠١، ومعجم أسماء النبات ٧٧ (١٢) جرجير، ٣٢ (١٢) جرجير بري، ١٧٠ (١١) جرجير الماء، ومعجم الشهابي ٥٧٠، ٨٤ (جرجير الماء)، ١٠٣ (جرجير بري).، والمعجم الموحد ١٧١، ومعجمات اللغة

٣: ٢٣٨، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٧، ٢٦٨،
٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢،
٣٠٨، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣،
٣٢٨، ٣٢٩، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٧٤،
٣٩٣، ٣٩٨، ٤٣٩.

بزر الجرجير البري الاقليطي ٣: ٣٣٣
بزر الجرجير الرطب ٢: ٥٤٠
حب الجرجير ٣: ٣٦١، ٤٣٨
دهن بزر الجرجير ٣: ٢٩٢
دهن الجرجير ٣: ٣٩٧
طبيخ الجرجير ٣: ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٥٤
عصارة الجرجير ٢: ٥٤٠
ماء الجرجير ١: ٢٨٨/ ٢: ١٢٤، ٥٤٣، ٥٤٤/ ٣:
٢٩، ٢٣٧، ٢٨٠
ماء الجرجير الرطب ٢: ٥٤٠
ورق الجرجير ١: ٣٩٧

أورد ابن سينا الجرجير في مفرداته لكنه لم يُحلِّه واكتفى في ماهيته بالقول: «معروف منه بري ومنه بستاني، وبزر الجرجير هو الذي يستعمل في الطبخ بدل الخردل» ثم ذكر خواصه وفوائده الطبية ..

وهكذا معظم المراجع استغنت عن وصفه فعل أبي حنيفة الذي قال في كتاب النبات: «جرجير: هذه البقلة. وبزرها الأيهقان وقد وصفناه» وذكر القرطبي في شرح أسماء العقار أن اسمه بالعربية الكثاء، والبري منه يقال له بالعربية الأيهقان. وممن فصَّل شيئًا ما في الكلام عليه مؤلف الشامل الذي قال:

«الجرجير نبات مأكول فيه حرافة، ومنه بري هو أشد حرافة شبيه بالخردل في هيئته وطعمه، ومنه بستاني، وهذا على قسمين أحدهما عريض الورق قليل الحرافة رخص طيب الطعم خضرته إلى صفرة ما، وثانيهما ورقه دقيق مشرف من الجانبين تشريفًا داخلاً فيه كثيرًا، وهو شديد الحرافة يعمل بزره في الطعام فيطيبه تطييب الأبزار الحارة..» الاسم العلمي للجرجير هو Eruca sativa، والجرجير البري Brassica eurcastrum، وجرجير الماء Sium latifolium وهو نفسه كرفس الماء أو قرة العين الذي ذكره ابن سينا في باب القاف.

ضبطت جرجير بكسر الجيمين؛ قال أبو حنيفة: «ولم أسمعها عن الفصحاء إلا بالكسر. وقال الفراء: تخفف جرجير فيقال جِرجِر، ويقال لها الكثأة، وسمعتها من الأعراب غير مهموزة».

جُرَذ*

طبيخ الجرد الحي ٣: ٣٨

ذكره ابن سينا في جملة الأطلية على اللسوع فقال: «ومن النطولات الجيدة ماء البحر حارًا مفردًا، ومع الخردل، وطبيخ الجرد الحي وابن عرس».

كذا ورد الاسم بالدال المهملة في المطبوع، وهو في المصورة بالمعجمة.

الجُرَذ حيوان قارض معروف. جاء في اللسان وغيره نقلاً عن ابن سيده: «الجرذ الذكر من الفأر، وقيل الذكر الكبير من الفأر، وقيل هو أعظم من اليربوع

* كتاب الحيوان ٣: ١٤٥/ ٥: ٢٦/ ٦: ٢٢٢ وغيرها، والحاوي ٢٠: ٢٥١ (جرذان البيوت)، ومنهاج البيان ٦٧ أ (جرذان)، وحياة الحيوان ١: ١٦٦، وقاموس الأطباء ١: ١٤٧، ومعجم الحيوان ١٦٦، ومعجم الألفاظ الزراعية ٤٣٩، ومعجمات اللغة (جرذ)، ومحيط المحيط ١٠١. وانظر مادة (فأر).

أكدر في ذنبه سواد، والجمع جُرذان. الصحاح: الجُرَذ ضرب من الفأر». قال الجاحظ: «والفرق بين الجرذ والفأر كالفرق بين الجواميس والبقر» الاسم العلمي لهذا الحيوان هو Mus، وهو اسم يشمل مايسمى بالعربية الفأر والجرذ لا فرق بينهما إلا أن الفأر صغير والجرذ كبير.

ضبطت اللفظة بضم الجيم وفتح الراء، والجمع جرذان بضم الجيم أو كسرها كصُرَد وصِرْدان ولم يقل أحد إن ذاله تهمل، لكن العامة عندنا يسميه الجردون بالدال.

جرمدانق

جرمدانق ٣: ٢٢٦

وردت اللفظة في القانون مرة واحدة أثناءالكلام على النباتات السامة وطريقة علاج من يتضرر بها. قال ابن جزلة في منهاج البيان[1]: «جرمدانق هو كرمدانه» وقاله آخرون. قلت: وكلاهمامن الفارسية. انظر التحقيق في مادة (كرمدانه) ٦: ٨٦

جرو

جرو ثعلب انظر (ثعلب)

جرو ضبع انظر (ضبع)

جرو كلب انظر (كلب)

الجرو معروف من أولاد الكلب وسائر السباع. قال ابن سيده: **وهو الصغير** الجرو الصغير من كل شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقثاء ونحوه. قال

(١) منهاج البيان ٦٧ب.

◦ حياة الحيوان ١: ١٦٧، ومعجمات اللغة (جرو)، والكليات ٢: ١٣٦.

الزبيدي: .. والصحيح أنه على المجاز كما نبه عليه الزمخشري. ولم يستعمل ابن سينا هذا المصطلح إلا في الحيوان فوافقه ماجاء في الكليات: «الجرو: وَلَدُ كل سبع جرو، ووحشية طلا، وطائر فرخ، وإنسان طفل».

الجرو مثلثة الجيم تفتح وتضم وتكسر. وجمها أجر والجمع الكثير جراء. وقد ألحقتُ كل جرو بأصله أثناء الفهرسة.

جِرِّيّ°

الجري ٢: ٥٤٠

السمك الجري ١: ٣٩٣

لحم السمك الجري ١: ٣٩٣

ذكره ابن سينا في كلامه على السمك ولم ينعته بل ذكر بعض فوائده. وهو نوع مشهور معروف من السمك خلط كثير من مؤلفي المفردات بينه وبين مايسميه الفرس مارماهي[1] منهم البيروني وابن هبل، لكن ابن سينا لم يقع في هذا الغلط. وهذا السمك لايزال يعرف في بعض المناطق باسم الجري، ويطلق عليه في بلاد الشام اسم سلُّور وهو اسم معرب من اليونانية. وصفه ابن الكتبي في مالايسع فقال: «جري اسم لسمكة لا فصوص لها، ولا عظام كثيرة كباقي السمك بل سلسلة وعظمان تحت الفك كالضلعين، ويسمى باليونانية سلورس ..

° كتاب ديسقوريدس ١٣٧ (سلورس)، والحيوان ١: ٢٣٤، ٢٣٥/ ٤: ٩٦/ ٧: ٣٩ وغيرها، والصيدنة ١٤٣، والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، ومالايسع ١٤٥، وقاموس الأطباء ١: ١٥٨، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٠، ومعجم الحيوان ٦٥، ٢٢٩، ومعجم الألفاظ الزراعية ٦٠٤، ولسان العرب وتاج العروس (جري)، ومحيط المحيط ١٠٥. وانظر مراجع مادة (سمك).

(١) انظر مادة (مارماهيج).

وفي لحمه رخاوة ولزوجة، واليهود لا تأكله..» وهذا السمك كثير في نهر الفرات اسمه العلمي Silurus.

ورد هذا الاسم مصحفًا أحيانًا في القانون المطبوع بإهمال الجيم. أما ضبطه فهو كما في المعجمات بكسر الجيم وتشديد الراء والياء. جاء في التاج: «الجري كذِمِّي سمك معروف».

جَزَرْ

جزر ١: ١٥٢، **٢٨٧**، ٤٤٩/ ٢: ٨٣، ٢٨٠، ٣٩٧، ٥٤٣، ٥٤٤، ٦٢٤

جزر بريّ ١: ٢٨٧/ ٢: ٣٧٧، ٣٩٨، ٤١٥.

جزر بستانيّ ١: ٢٨٨

جزر صلب صافي اللون ٣: ٣٨٠

جزر له ثمر ١: ٢٨٨

جزر مربى ١: ٢٨٨، ٤٣٦/ ٣: **٣٨٠**

أصل الجزر البري ٢: ٣٩٣

بزر الجزر ١: ١٥٢، ٢٦٢، ٢٨٧، ٢٨٨/ ٢: ٣٣، ٥٠٥، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٤/ ٣: ٢٢٠، ٢٢١، ٣١٨، ٣٢٢، ٣٢٣،

◦ كتاب ديسقوريدس ٢٦٤ (سطافولينس اغريوس)، وكتاب النبات ١: ٩٤، والحاوي ٢٠: ٢٢٦، ٢٤٥ (جزر بري)، والملكي ١: ١٨٥/ ٢: ٥٩٤ (جزر مربّى)، والصيدنة ١٣٤، ومنهاج البيان ٦٧ب (جزر بري)، وشرح أسماء العقار ١١، والمنتخب من مفردات الغافقي ٦٩، ومفيد العلوم ٣١، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦١، والمعتمد ٦٦، والشامل ١٦٣، ومالايسع ١٤٦، وحديقة الأزهار ٧٢ (٧١)، وقاموس الأطباء ١: ١٥٨، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠١، ومعجم أسماء النبات ٦٩ (٤، ٥). ومعجم الألفاظ الزراعية ١٢٥، والمعجم الموحد ٣٤، ومعجمات اللغة (جزر)، وبرهان قاطع ٣: ١٨١١ (گزر)

٣٤٠، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٩٣، ٤٣٣،
٤٣٧، ٤٣٩.

بزر الجزر الاقليطي ٣: ٢٢١، ٣١٥

بزر الجزر البري[1] ١: ٢٨٨، ٢٩٤/ ٣: ٢٣٧، ٣٢٧، ٣٦٦،
٤٣٦، ٤٣٨

ساق الجزر ١: ٢٨٧

فقاح الجزر ١: ٢٨٧

ماء الجزر ٢: ٥٤٣

ورق الجزر ١: ٢٨٧، ٢٨٨

ورق الجزر البري ١: ٢٨٨

الجزريّة ٢: ٥٤٢

الجزر من أدوية القانون المفردة، استغنى ابن سينا بشهرته عن وصفه فقال: «الماهية. معروف وأقوى بزره البري. قال ديسقوريدس: صنف منه ورقه أصغر من ورق الرازيانج وهو في صورته، وساقه إلى شبر، وفقاحه أصفر، وله كصومعة الكزبرة أو الشبث، وله ثمر أبيض حاد طيب الرائحة والمضغ، وينبت في الأمكنة الضاحية المشموسة الحجرية. والبستاني منه يشبه الكرفس الرومي حريف محرق طيب الرائحة. والثالث ورقه كورق الكزبرة أبيض الفقاح شبيه الصومعة والثمرة وله كأقماع الجوز محشوة بزرًا كمّونيًا في هيئته وحدته». كذا جاء في القانون بعد قوله هو معروف.

والذي في كتاب ديسقوريدس يوافقه مانقله عنه ابن البيطار: «الجزر البري نبات له ورق شبيه بورق الشاهترج إلا أنه أعرض منه، وطعمه إلى المرارة ماهو. وله ساق مستوٍ خشن عليه إكليل شبيه بإكليل الشبث فيه زهر أبيض، وفي وسط

(١) وانظر مادة (دوقوا) في هذا المعجم

الزهر شيء صغير شبيه بالفطر[١] لونه فرفيري، وله أصل في غلظ اصبع طوله نحو من شبر طيب الرائحة يؤكل مطبوخًا». وقال الغساني في حديقة الأزهار: «جزر: هو من جنس الهُدَبات[٢] بعضه بقل ينبت من بزره وبعضه جنبة ينبت من أرومته. وهو على نوعين: بستاني وبري. فالبستاني على أنواع منها ماهو أصله أبيض وأصفر وأسود وأحمر ومجزّع، وكلها متقاربة القوى الطبيعية، ويعرف عندنا بفاس بالسفناريّة، وبمراكش خيزّو. وأما البري فأنواعه كثيرة منها الدوقو...». وقال أبو حنيفة في كتاب النبات إن الجزر البري يقال له الحِنْزاب. الاسم العلمي للجزر هو Daucus Carota

ضبطت معجمات اللغة هذا الاسم بفتح الجيم وكسرها. قال أبو حنيفة: «يفتح ويكسر، أصله فارسي» وفارسيته گزر بفتح الكاف الفارسية والزاي التي تليها. ويظن بعضهم أنها من أصل سنسكريتي.

جزور

انظر مادة (إبل) التي سبقت في باب الهمزة

جزي

الجزي ٣: ٤١٠

معجون يعرف بالجزي ٣: ٣٢١

في كتاب الأدوية المركبة، وفي المقالة الأولى التي تتكلم على الترياقات والمعاجين الكبار: «معجون يعرف بالجزي ينفع من المرتين[٣] والمليلة[٤] والحكة

(١) في المفردات (بالقطن).

(٢) الهدب كل ورق غير مستعرض كورق الأثل والطرفاء والسرو.

(٣) أي المرة الصفراء والمرة السوداء.

(٤) نوع من أنواع الحمّى.

والأدرة ويقوي المعدة وينفع من القولنج .. أخلاطه: .. سقمونيا ولباب التربد ودارفلفل من كل واحد ستة دراهم، عاقرقرحا وبزر الكرفس ونانخواه وزنجبيل وملح هندي من كل واحد وزن درهم، قرنفل وزرنب من كل واحد نصف درهم.. الخ».

لم أجد هذا المعجون بهذا الاسم في القراباذينات، وقد ورد ذكره ثانية في الكلام على المعاجين التي تنفع المعدة، ورسمت اللفظة بالرسم نفسه في المطبوع ببولاق، أما في طبعة رومة فهي في الموضع الأول كالمذكور، وفي الثاني الحزي، وكذلك في إحدى المخطوطات.[1] أما في المصورة فهي في الموضع الأول الجربي[2] وفي الثاني الحربي. ومن الاعتساف الجزم بصحة هذا الرسم أو ذاك دون دليل مقنع.

جص

انظر مادة (جبسين) التي سبقت.

جَعْدة °

جعدة ١: ٢٤٥، **٢٨٥**، ٣٧١/ ٢: ٧٠، ٨٤، ١٠٠، ١٢٣، ١٨٨، ١٨٩، ٢٢٢، ٢٦٠،

(١) هي المخطوطة رقم ٣١٤٠.

(٢) لعل الناسخ استفاد هذا الإعجام من قول ابن سينا إنه ينفع من الحكة. يدعم ظني عبارة المصورة وهي: «معجون يعرف بالجربي ينفع من الحكة والمرتين والمليلة.. الخ».

° كتاب ديسقوريدس ٢٨٩ (فوليون)، وكتاب النبات ١: ٨٨/ ٢: ٢٠٧، والحاوي ٢٠: ٢٥٢، والملكي ٢: ١٠١، ١١٩، والصيدنة ١٣٥، ومنهاج البيان ٦٨أ، وشرح أسماء العقار ١١، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٤، والمنتخب ٩٦، ومفيد العلوم ٣٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٣، ومنهاج الدكان ١٨٤، والمعتمد ٦٨، والشامل ١٦٥، ومالايسع ١٤٧، وحديقة الأزهار ٨٢ (٨٥)، وقاموس الأطباء ١: ١٢٦، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠١، ومعجم أحمد عيسى ١٧٩ (٨، ١٠، ١١)، ومعجم الشهابي ٣٠٥، ٦٣٨، واللسان ومستدرك التاج (جعد) ومحيط المحيط ١١١.

٣٣٠، ٣٣٥، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٧٧،
٣٧٨، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٩٤، ٥٠٣،
٥٠٦، ٥١٠، ٦١٩/ ٣: ١٧٣، ١٧٤،
٢٣٩، ٢٥٢، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣١٢، ٣١٣،
٣١٤، ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٣١، ٣٣٧،
٣٣٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧،
٣٩٥، ٤١٤، ٤١٥، ٤٣٨

جعدة جبلي ١: ٢٨٥
جعدة صغيرة ١: ٢٨٥
جعدة رطبة ١: ٢٨٥
جعدة كبيرة ١: ٢٨٥
جعدة يابسة ١: ٢٨٥
أصل الجعدة ٣: ٢٥٧
بزر الجعدة ١: ٢٨٥
طبيخ الجعدة ٢: ٣٧٦/ ٣: ٢٢١
طبيخ الجعدة الكبيرة ١: ٢٨٥
قشور الجعدة ٢: ١٨٨
ماء طبيخ الجعدة ٢: ٤١٣

قال ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة: «جعدة. الماهية: نوع من الشيح فيه حرارة وحدّة يسيرة. والصغيرة أحدّ وأمر، وهي قضبان وزهر زغبي أبيض إلى الصفرة مملوء بزراً ورأسه كالكرة فيه كالشعر الأبيض، ثقيل الرائحة مع أدنى طيب. والأعظم أضعف وهو مرّ أيضًا وفيه حرافة. والجبلي هو الأصغر..» ثم ذكر فوائدها واستعمالاتها في الطب.

ورد هذا الاسم في كتب النبات وكتب الطب وكتب اللغة للدلالة على

عدة أنواع من جنس واحد، لذلك قد يختلف الوصف من مرجع لآخر. ففي كتاب النبات قال أبو حنيفة: «جعدة: أخبرني بعض الأعراب أن نبات الجعدة نبات العِظلِم إلا أنها غبراء طيبة الريح ولها ثمر مثل فقاح الإذخر إلا أنه أثخن متلبد لين تحشى به المخاد. وقال ومنبت الجعدة الجبال. وقال غيره من الأعراب: الجعدة خضراء وغبراء تنبت في الجبال لها رَعَثة مثل رعثة الديك تحشى به المرافق طيبة الريح. والوصفان متقاربان. والجعدة مما تدوم خضرته ذكر ذلك أبو نصر». وجاء في الملكي: «أفضل الجعدة ما كانت شآمية»، وفي منهاج الدكان «جعدة هي نوع من أنواع الشيح يجلب من أرض الشام يستعمل في الترياق وغيره»، وفي الشامل: «النوع المستعمل من هذا النبات هو الجبلي، وهو نبات صغير دقيق لايزيد طوله على شبر كثير البزر في رائحته طيب وطعمه مر ومرارته ليست بشديدة ومع ذلك فإنها لا تظهر بدءًا وعند أول ملاقاته للسان بل يكون أولاً فاقد الطعم ثم تظهر مرارته..» الاسم العلمي لهذا النبات الطبي هو Teucrium polium من الفصيلة الشفوية.

ضبطت اللفظة بالفتح ضبط قلم. وفي قاموس الأطباء ضبط ألفاظ، لكنها ضبطت في حديقة الأزهار وفي معجم أسماء النبات بضم الجيم.

جفت

جفت البلوط، جفت — انظر (بلوط).

جُفْت آفَريد*

جفت افرند — ١: ٢٨٥/ ٣: ٣١٩

* الصيدنة ١٣٦ (جفت أفريد)، ومنهاج البيان ١٨ ب (جفت افريذ)، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥ (جفت أفريد) والمنتخب من مفردات الغافقي ١٠٠ (جفت آفريد)، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٤ (جفت افريد)، والمعتمد ٦٩ (جفت افريد)، ومالايسع الطبيب جهله ١٤٧ (جفت افريد). وتذكرة داود الأنطاكي ١: ١٠٢، ومعجم أحمد عيسى ٦ (٢١)، والألفاظ الفارسية المعربة ٤٢ (جفتا فريد) وبرهان قاطع ٢: ٥٧٧ (جُفت آفرَيد).

جفت افريد ٣: ٣٢٥

ذكره ابن سينا في كتاب الأدوية المفردة فقال: «الماهية: شيء صنوبري الشكل في رأسه كالشوكتين، ويقال أيضًا إنه يشبه اللوز وربما انشق وانفتح. أعضاء النفض: يزيد في الباه جدًا» ثم ذكره في موضعين آخرين داخلاً في تركيب كل من معجون الشليثا ومعجون الكاسكبينج وهما من المعاجين الكبار المشهورة.

نقل كلام ابن سينا السابق بحذافيره كلٌّ من ابن هبل في المختارات وابن العبري في المنتخب وابن جزلة في المنهاج واكتفوا بما قال. أما البيروني فقد وصف نباته قائلاً: «هو باليونانية ارقيس، وبعضهم يصحفها بصورة رقاقس. ومعنى جفت آفريد: المخلوق زوجًا. وهو نبت كثير الشبه بالسورنجان يستأنف كونه في كل عام طوله نحو شبر وأطول منه بقليل، له ساق معقدة عليها قضبان كثيرة دقاق، وورق أدق من ورق الحمص متراصف يعلو بعضه بعضًا، وله على طرف الساق غلف صنوبرية الشكل ثلاثة أو أربعة في طرف الساق كالهليلج الأصفر، وفي أطرافها كالشعب. وفي داخل كل ثمرة منها ثلاثة حجب على الطول فيها بزر يشبه الحلبة عددها خمس حبات. وقد ظن بعضهم أنه خصى الثعلب وهو غير هذا وإن كان يشبهه». ثم نقل ابن البيطار كلام ابن سينا معزوًا إليه وكلام البيروني مضافًا إلى الشريف محذوفًا منه عبارة التنبيه الأخيرة ثم قال: «لي: هذا الدواء يعرف اليوم[1] بالشام والمشرق أيضًا عند العامة والخاصة جميعهم بخصى الثعلب وإياه يستعمل أطباء العصر بالبلاد المذكورة اليوم مكان خصى الثعلب، وخصى الثعلب في الحقيقة غيره». الاسم العلمي لهذا النبات كما ورد في معجم الدكتور أحمد عيسى هو Androsaces وذكر من أسمائه رقاقس ومُلاّح وكلف وكُشْمَلَخ قال: وهو نوع من الحمص البري.

(١) أي في النصف الأول من القرن السابع الهجري.

ورد هذا الاسم في القانون المطبوع ببولاق «جفت افرند» بالنون، وهو في طبعة رومة «خفت افريذ» وفي المصورة «جفت افريد» وهو الصواب. معرّب من الفارسية ومعناه المخلوق زوجًا، لأن جفت معناها زوج وآفريد المخلوق. وكتبت في بعض المراجع متصلة هكذا «جفتافريد» ولم تضبطه المراجع العربية، على حين ضبط في برهان قاطع ضبط ألفاظ بضم الجيم وفتح الفاء. وضبطه اديشير بكسر الجيم.

جُلَّاب*

جلاب ١: ٩٧، ١٨٦، ١٩٨، ٢٠١، ٢٦٦، ٤٠٩، ٤٦٨/ ٢: ٤٠، ٤١، ٧١، ٨٨، ٩٨، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٨٠، ٣٢١، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٧٦، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٥٩، ٤٦٦، ٤٩١، ٤٩٨، ٥٥٥، ٦٢٣/ ٣: ١٠، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٦، ٥١، ٦٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٣٠٦. ٣١١، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٨٢.

الجلاب بماء الورد ٣: ٣٦٦

جلاب رقيق جدًا ٣: ٢٥

* الملكي ١: ٢٠٧/ ٢: ٥٩٠ (صفة الجلاب النافع من الحميات)، ومنهاج البيان ٨٦ ب، واقرباذين القلانسي ١٧٣ (صفة جلاب ساذج)، ومفيد العلوم ٣١، ومنهاج الدكان ٦، والمعتمد ٧١، وتركيب مالايسع ٢٦أ، وتذكرة داود ١: ١٠٣، وكشاف اصطلاحات الفنون ١: ١٩٠، ولسان العرب والقاموس المحيط وتاج العروس (جلب)، وشفاء الغليل ٩١، والمعربات الرشيدية ١٢٠..، والألفاظ الفارسية المعرّبة ٤٢، وبرهان قاطع ٢: ٥٨٠ (ح٦: گلاب).

جلاب كثير المزاج ٣: ٢٢
جلاب بأفاويه ٢: ٤١
جلاب ساذج ٢: ٤١
جلاب مبرد بالثلج ٢: ٤٨
جلاب العسل ٣: ٤٩
جلاب الفواكه ٢: ٣٣٣
شراب الجلاب ٢: ٣٢٨
صنعة جلاب ٣: **٣٦٦**

الجلاب من أدوية القانون المركبة ذكره ابن سينا في اقرباذينه وبين طريقتين لصنعه. الأولى: «يؤخذ منا من سكر ويصب عليه أربع أواقي ماء، ويطبخ بنار ليّنة، ويصب عليه أوقيتان من الورد وينزل عن النار ويصفى..» والثانية أساسها أيضًا السكر وماء الورد يضاف إليهما الزعفران.. والجلاب شراب معروف يكثر ذكره في كتب الطب والقراباذينات وهو ماء ورد عُقد بالسكر أو العسل، وهو كما قال الكوهين العطار في منهاج الدكان ـ أصل جميع الأشربة السكرية المعروفة.

هذا الاسم معرب من الفارسية گل ومعناها الورد وآب ومعناها الماء. قال ابن الحشاء شارح ألفاظ المنصوري في كتابه مفيد العلوم «جلاب معناه بالفارسية ماء الورد، والمراد به عند المؤلف في جميع الكتاب شراب ماء الورد فكان ينبغي أن يقول شراب الجلاب كما يقول الناس، ولكنه حذف لفظ الشراب واستمر على ذلك». وهذا ما فعله ابن سينا أيضًا إلا مرة واحدة.

ضبطت اللفظة بضم أولها وتشديداللام. قال الفيروزبادي: «الجلاب كزنار ماء الورد معرب» وجاء في بعض المراجع بالتخفيف.

جلباب*

الجلباب وهو ضرب من اللبلاب ٢: ٥٥٠

ذكره ابن سينا في بعض معالجاته فقال: «والجلباب وهو ضرب من اللبلاب له لبن» كذا وردت اللفظة في المطبوع برومة وببولاق، وهي في المصورة الحليلاف.

لم يرد هذا الاسم في كلام ابن سينا على اللبلاب ولا في المراجع المعتمدة، لكنني وجدت في منهاج البيان في باب الجيم «جلبوب هو اللبلاب العريض» وفي المنتخب: «جلبوب هو لبلاب صغير»، ومن أسمائه التي جمعها الدكتور أحمد عيسى حبل المساكين، ولبلاب كبير (العريض الورق)، وجلبلاب وحَلْباب. واسمه العلمي كما ورد في معجمه هو Hedera helix.

لم أتمكن من معرفة الضبط الصحيح لهذه الكلمة على وجه اليقين، وأُرجِّح أن إعجام الحرف الأول منها تصحيف وأن الصواب الإهمال (حلباب).

جُلَّبان**

جلبان ١: ٢٨٧

عرض ذكر هذا الحب مرة واحدة في أثناء كلام ابن سينا على أصناف اللبن حيث ذكر أن جبن الماعز الذي يرعى الملطفات خير من جبن الماعز الذي يرعى مثل الثيل والجلبان.

---

* منهاج البيان ٦٩أ (جلبوب)، والمنتخب لابن العبري ٩٨ (جلبوب)، ومعجم أسماء النبات ٩١ (٢).

** كتاب النبات ١: ٩٧، والحاوي ٢٠: ٢٤٦، ومنهاج البيان ٦٨ب، وشرح أسماء العقار ١٢، والمنتخب ٩٨، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٤، والشامل ١٦٨، وتذكرة داود الأنطاكي ١: ١٠٢ ومعجم أسماء النبات ١٠٥ (٩)، ومعجم الشهابي ٣٠٦، والمعجم الموحد ٣٩، ومعجمات اللغة (جلب، خرف).

والجلبان حب معروف من الأعلاف ويأكله بعض الناس مطبوخًا. اسمه العلمي Lathyrus Sativum وهو جنس نباتات عشبية من القرنيات الفراشية له أنواع كثيرة. ومن أسمائه المذكورة في المراجع العربية الخَرْفى والخُلَّر وغيرهما.

ضبط أبو حنيفة هذا الاسم في كتابه النبات حيث قال: «الجلبان من القطاني وهو يسمى بالفارسية الخرفى وهو الخلر أيضًا.. ولم أسمعه من الأعراب إلا بالتشديد، وما أكثر من يخففه ولعل التخفيف لغة» واختُلف في أمر التشديد أهُوَ للاّم [كما نص على ذلك الزبيدي في مادة خرف حيث قال: «والخرفى كسكرى الجلبان بتشديد اللام، وتخفيفها غير فصيح قاله أبو حنيفة وهو اسم لحب معروف..» والأمير الشهابي الذي رآه هكذا في مخطوطة الجزء الخامس من كتاب النبات]. أم هو للباء كما في سائر المراجع اللغوية. من أجل هذا آثرت التخفيف الشائع على ألسنة الناس.

جلبهنك

لم يرد هذا العقار بهذا الاسم في كتاب القانون مع أنه هو الصواب. انظر مادة (جبلاهنك) التي سبقت.

جِلْد*

جلد	١: ٢٨٦
جلود خلقة محرقة	٣: ١٦٠

* الحاوي ٢٠: ٤٤٧، والملكي ٢: ١٣٩، ومنهاج البيان ٦٩أ، ١٩٣ب (غراء الجلود)، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٥، ومنتخب ابن العبري ١٠٢، ومفردات ابن البيطار ١: ١٥٦، والمعتمد ٧٠، والشامل ١٦٨، ومالا يسع ١٤٨، وتذكرة داود ١: ١٠٢، ومعجم الشهابي ٤٩٠، ومعجمات اللغة (جلد).

جلد أسود سالخ انظر أفعى

جلد الأفعى انظر أفعى

جلد الألية انظر ألية

جلد الأيل انظر أيل

جلدالتامور انظر تامور

جلد الجداء انظر ماعز

جلود حيوانات بحرية انظر حيوان

جلود حيوان البر انظر حيوان

الجلدة الداخلة في قوائص الطير انظر طير

جلد الذئب انظر ذئب

جلود الرضَّع انظر حيوان

جلود السمك انظر سمك

جلود السمك المعروف بسير انظر سمك

جلد سينيانوس انظر سمك

جلد الضبع انظر ضبع

جلد العجل انظر بقر

جلد فرس الماء انظر فرس

جلد القنفذ انظر قنفذ

جلد كلب انظر كلب

جلدٌ مسلوخ من شاة انظر ماعز

جلدُ المهر انظر فرس

جلد تامور انظر تامور

غراء الجلود ١: ٤٧٩/ ٢: ٦٠٧/ ٣: ٢٨٩

ذكر ابن سينا الجلد في مفرداته فعل كثيرين غيره فبين فوائده واستعمالاته في الطب وهي تختلف باختلاف الحيوان، وقد فهرست كل جلد مع أصله. أما غراء الجلود الذي سبق ذكره فقد شرح ابن جزلة في المنهاج طريقة صنعه فقال: «صنعته أن يؤخذ جلد غير مدبوغ إما بقري أو جاموسي أو غير ذلك فيغسل نظيفًا ويقطع لطافًا ويجعل في قدر مرصصة أو برام ويجعل عليه غمرة ماء ويوقد تحته في كانون مدور بحطب جزل بحيث يبقى على جمرها تحته فإذا صار تحته من النار مايبقى يومًا قطع الوقود. ويغطى رأس القلة بخيش .. وفوقه غطاء خشب ويثقل ويترك ست ساعات ويكشف عنه فإنه ينحل أكثره ويصفّى..»

الجلد الذي يغطي أجسام معظم أصناف الحيوان هو بكسر الجيم وسكون اللام، وفتحهما لغة

جُلَّنار*

جُلَّنار ١: ١٥٥، ١٥٧، **٢٨٤**، ٣٢٧، ٤٣٠، ٤٣١/ ٢: ٣٨، ١١٦، ١٦٤، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٥، ٢٠١،،٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٨٠، ٢٨٧، ٣١٥،

* كتاب ديسقوريدس ١٠٨ (بالوسطيون)، والحاوي ٢٠: ٢٥٤، والملكي ٢: ١١٨، ٥٦٩ صفة قرص الجلنار)، منهاج البيان ٦٩أ، ٢٠٦ب (أقرص الجلنار)، ومختارات ابن هبل ٢: ٥٤، وشرح أسماء العقار ١١، ومنتخب ابن العبري ٩٠، ومفيد العلوم ٣٠، ومفردات ابن البيطار ١: ١٦٤، ومنهاج الدكان ١٨٣، والمعتمد ٦٩، والشامل ١٦٧، ومالا يسع الطبيب جهله ١٤٨، وتركيب مالايسع الطبيب جهله ٧٣أ (قرص الجلنار)، وتذكرة الأنطاكي ١: ١٠٢، ومعجم أحمد عيسى ١٥١ (٣). ومعجم الشهابي ٧٢، والقاموس واللسان والتاج (جلنر)، والمعربات الرشيدية ١٥٨، ومحيط المحيط ١١٩، وبرهان قاطع ٣: ١٨٣١ (گلنار)، وانظر مادة (رمان) في معجمنا هذا.

٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٦٣، ٣٧٩،
٣٨٠، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٤، ٤٣٥،
٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٨٣، ٤٨٥،
٥٠٤، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٧، ٥٣١، ٥٤٥،
٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٤، ٥٧٢، ٥٨٤، ٥٨٧،
٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٢، ٦٠٧، ٦١٠، ٦٢٤،
٦٢٨/ ٣: ٣٠، ٧٠، ١٥٤، ١٧٢. ١٧٣،
١٨٦، ١٨٨، ٢٨٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٣٩،
٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٧٠، ٣٧٢،
٣٧٣، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤١٧، ٤٢٦، ٤٢٩،
٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٥

جلنار أبيض ١: ٢٨٤
جلنار أحمر ١: ٢٨٤
جلنارخوزي ١: ٣٢١
جلنارفارسي ١: ٢٨٤
جلنارمصري ١: ٢٨٤
جلنار مورّد ١: ٢٨٤
بزر الجلنار ٣: ٧٠
ثفل الجلنار ٢: ٣٨
دهن الجلنار ٣: ٣٠
سحيق الجلنار ٢: ١٦٤
سلاقة الجلنار ٢: ١٩٤
شياف الجلنار ٢: ١٢٧

طبيخ الجلنار ٣: ٣٠، ١٤٦
عصارة الجلنار ١: ٢٨٤
أقراص الجلنار ٢: ٣٣٦، ٤٣١، ٤٣٨، ٥٢٧، ٥٨٧/ ٣: ٣٨٨، ٤١١
قرص الجلنار بدم الأخوين ٢: ٥٣١
مرهم الجلنار ٢: ٦٢٨

ذكر ابن سينا الجلنار في أدوية القانون المفردة فقال: «الماهية: زهرة الرمان البري فارسي أو مصري. وقد يكون أحمر، وقد يكون أبيض، وقد يكون موردًا، وعصارته في طبعها كعصارة لحية التيس. قال بولس: قوته كقوة شحم الرمان» ثم ذكر فوائده الطبية وأهمها أنه يقطع نفث الدم وكل سيلان، وتصنع منه أقراص مشهورة لها نسخ مختلفة.

اتفقت المراجع على أن المراد بهذا الاسم زهر الرمان، لكن الأطباء يخصون به زهر الرمّان البري كما جاء في القانون، وقال ابن الحشاء في مفيد العلوم مفسرًا ألفاظ الكتاب المنصوري للرازي: «جلنار معناه ورد الرمان والمراد به هنا وعند أكثر الأطباء ورد الرمان البري. ويخص ورد الرمان البستان بالجنبذ». الاسم العلمي للجلنار Balauste وهومأخوذ من اليونانية القديمة.

ضبط هذا الاسم ضبط مفردات في القاموس المحيط «جلنار بضم الجيم وفتح اللام المشددة معرب گلنار» وگلنار اسم مركب من گل ومعناها بالفارسية ورد، وانار ومعناها الرمان.

التعريف والنقد

كتاب المثلث لابن حبيب(*)

الدكتور عزة حسن

المؤلِّف:

هو أبو جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة (٢٤٥). وحبيب اسم أمه، فلذلك لا يُصْرَف[١].

وهو من علماء الكوفة. ذكره أبو بكر الزبيدي في الطبقة الرابعة من النحويين الكوفيين[٢]. وقال عنه: «وله كتب صحيحة»[٣]. وقال عنه أبو الطيب اللغوي: «فأما أبو جعفر محمد بن حبيب فإنه صاحب أخبار. وليس في اللغة هناك»[٤].

المثلث في اللغة:

المثلث ظاهرة لغوية فريدة في اللغة العربية. وهي مجيء فاء الكلمة أو عينها بالحركات الثلاث، الفتحة والكسرة والضمة. جاء في معجم لسان العرب: «والوُجْد والوَجْد والوِجْد: اليسار والسَّعة. وفي التنزيل العزيز:﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

(*) حقق هذا الكتاب كاتب هذا المقال، وقد أشار إلى ذلك في نهاية هذه المقدمة.

(1) مراتب النحويين (٩٦).

(2) طبقات النحويين واللغويين (١٥٣- ١٥٤).

(3) المصدر نفسه (٦/ ٢).

(4) مراتب النحويين (٩٦).

سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾[١]. وقد قُرِئَ بالثلاث»[٢].

وقد عرف علماء اللغة ظاهرة المثلث الفريدة في اللغة، وبيّنوا صورتها. قال ابن السيّد البَطَلْيَوْسي في تفصيل بيانها وإيضاحها في كتابه (المثلث): «وإنما نعتدّ (مثلثًا)، في كتابنا هذا، ما اتفقت أوزانه، وتعادلت أقسامه. ولم يختلف إلا بحركة فائه فقط، كالغَمْر والغِمْر والغُمْر، أو بحركة عينه، كالرَّجَل والرَّجِل والرَّجُل، أو كانت فيه ضمّتان تقابلان فتحتين وكسرتين، كالسُّمْسُم والسَّمْسَم والسِّمْسِم، والجَرْجار، والجِرْجِير والجُرْجور، والهَمْهام والهِمْهيم والهُمْهوم»[٣].

وتوالى علماء اللغة على التأليف في المثلث اللغوي، وجمع الكلمات المثلثة، وترتيبها في كتب خاصة، في بداية تدوين اللغة وجمعها في الصحف.

ويبدو أن الباعث للتأليف فيه معجمي تعليمي، يهدف إلى جمع المثلثات في اللغة، ووضعها بين أيدي جمهور المتعلمين. والشأن في ذلك كالشأن في تأليف الكتب في الظواهر اللغوية الأخرى. مثل (كتاب النوادر) لأبي مِسْحَل الأعرابي، وكتاب (المذكر والمؤنث) لأبي حاتم السِّجِسْتاني، وكتاب (الفصيح) لأبي العباس ثعلب، وكتاب (الأضداد في كلام العرب) لأبي الطيّب اللغوي. وأول من ابتدأ التأليف في المثلث أبو علي محمد بن المستنير المعروفُ بقُطْرُب، المتوفى سنة ٢٠٦[٤].

(1) سورة الطلاق (٦٥/ ٦).

(2) لسان العرب (وجد).

(3) المثلث (١/ ٢٩٨).

(4) حقق الدكتور رضا السويسي كتاب المثلث لقطرب. وطبعه في الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس ١٩٧٨.

ومن أوائل العلماء المؤلِّفين في المثلث اللغوي أبو جعفر محمد بن حبيب. ولم نقف على كتابه. ويبدو أنه ضاع في غياهب السنين الماضية فيما ضاع من آثار التراث العربي، ولم يصل إلينا.

وقد عثرنا على قطعة منه، نظن أنها أول الكتاب، في مجموع مخطوط في الخزانة الكَتّانية المحفوظة في قسم المخطوطات، في الخزانة العامة بالرباط، برقم (١٠٠٣ ك)، في الصفحات (١٠٨-١١٨). وهو مكتوب بخط مغربي جيد، والكلمات المثلثات مكتوبة بالحمرة لإبرازها وتمييزها من سائر الكلام. وقد كتب الناسخ كتاب ابن حبيب بعد فراغه من نسخ (المثلث) لقطرب. وقال: «الزيادة لابن حبيب».

بادرنا إلى تحقيق هذا الشيء الباقي من الكتاب. فضبطنا متنه بالشكل. وزدنا ما نقص فيه من ضلال النسخ . وشرحنا بعض عباراته التي تحتاج إلى بيان وإيضاح، لتيسير فهمها فهمًا صحيحًا.

ثم خرَّجنا شواهده من آي القرآن الكريم، وأحاديث الرسول ﷺ، وأشعار العرب وأقوالهم. وشرحنا فيها ما يحتاج إلى التفسير والتوضيح.

وبعدُ فإن عملنا هذا مُهْدى، إتحافًا وإكرامًا، إلى روح أستاذنا الكبير الدكتور أمجد الطرابلسي، رحمه الله وأرضاه، وجعل الجنة العليا مثواه، في أكرم جوار، مع الصديقين والأبرار.

والله ولي المخلصين من عباده الصالحين.

الزيادة لابن حَبِيبَ رحمه الله تعالى ورضي عنه.

الأَلّ والإلّ والأُلّ

فأمّا الأَلّ فالبَريق. يقال: أَلَّ يَؤُلُّ، إذا بَرَقَ ولَمَعَ. ومنه سُمّيت الحَرْبةُ أَلَّةً. ويقال أيضًا: أَلَّت الفرسُ، إذا أسرعتْ وخفّفتْ قوائمَها.

قال الشاعر:

حتى أَتيتُ بها يَؤُلّ فَريصُها وكأنَّ صَهْوَتَها مَدَاكُ رُخام[1]

وأمّا الإلّ بالكسر فالعَهْد. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً﴾[2]. والإلّ أيضًا بالكسر القَرابة. قال الشاعر لمعاويةَ [بنِ أبي سفيانَ] بنِ حرب[3] :

أَلاَ بَلِّغْ معاويةَ بنَ حَرْب مُغَلْغَلةً عن الرجل اليَمانِ

أتغضبُ أنْ يقالَ: أبوك عَفٌّ، وترضى أنْ يقالَ: أبوك زانِ؟

وأشهد أنَّ إلَّكَ من قريش كَإلّ السَّقْبِ من وَلَد الأَتانِ

وأمّا الأُلّ بالضم فالأوَّل في بعض اللغات. قال امرؤ القيس[4]:

---

(1) البيت في لسان العرب (ألل). وروايته فيه حتى رميتُ بها يئِلّ فريصها...

(2) سورة التوبة (٩/ ١٠).

(3) الأبيات ليزيد بن مفرِّغ الحِمْيري في ديوانه (٢٢٩– ٢٣٢) مع تخريجها من مصادر عديدة. المغلغلة: الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد. والرجل اليماني: هو الشاعر نفسه لأنه حِمْيري من اليمن. والسقب: ولد الناقة ساعة يولد.

(4) البيتان في الأمالي للقالي (١/ ٤١) والمثلث لابن السِّيد البطليوسي (١/ ٣١٠). ولسان العرب (ألل)، وديوان امرئ القيس (٤٧٣) نقلاً من المصادر. والزحلوقة: آثار تزلّج الصبيان من فوق الرمل إلى أسفل.

لِمَنْ زُحْلوقةٌ زُلُّ بها العينانِ تنهلُّ
ينادي الآخِرَ الأُلُّ: ألاَ حُلّوا، ألاَ حُلّوا

* * *

ومنه[1] العَضّ والعِضّ والعُضّ

فأمّا العَض بالفتح فمصدرُ عَضَّ يَعَضّ عَضًّا.

وأمّا العِضّ بالكسر فالرجل الداهي.

أحاديثُ من عادٍ وجُرْهُمَ جَمَّةٌ يُنَتِّجُها العِضّانِ: زَيْدٌ ودَغْفَلُ[2]

هو زيدُ بنُ الكَيِّس النُّمَيْري، وكان عالمًا نسّابًا.

ودَغْفَل النسَّابةُ البكريّ معروف.

وأمّا العُضُّ بالضم فنَبْتٌ معروف.

* * *

ومنه الحَبَّة والحِبَّة والحُبّة

فأمّا الحَبّة بالفتح فواحد الحَبّ.

وأمّا الحِبَّة بالكسر فواحدة بِزْر البَقْل. ومنه حديث رسول الله ﷺ: «يخرج قومٌ من النار، فيدخلون في نَهَرٍ من أنهار الجنة، يَنْبُتون به كما تنبُتُ الحِبَّة في

(1) ومنه: أي من المثلث.

(2) البيت للقطامي عُمَيْر بن شُيَيْم التغلَبي في لسان العرب (عضض). وروايته فيه:

أحاديثُ من أنباءِ عادٍ وجرهُمٍ يُنَوِّرُها...

يريد بالعِضّين زيدَ بنَ الكَيِّس النمَيْري ودغفلاً النسّابة، وهو دغفل بن حنظلة الشيباني البكري. وكانا عالمين بأنساب العرب وأيامها وحِكَمها.

حَمِيل السيل»[١].

وأمّا الحُبّة بالضم فمعروف[٢].

* * *

ومنه الرَّبَّة والرِّبَّة والرُّبَّة

فأمّا الرَّبّة بالفتح فيقال: فلانةُ ربَّةُ البيتِ، أي صاحبتُه.

وأمّا الرِّبّة بالكسر فقِطْعة من سَمْن مجتمعةٌ. ومنه سُمِّيت الرِّبَابَ قبائلُ، لاجتماعها.

وأمّا الرُّب بالضم فمعروف[٣]. والرُّبّة منه.

* * *

ومنه الخَلْب والخِلْب والخُلْب.

فأمّا الخَلْب بالفتح فمصدرُ خَلَبَتْه المرأةُ خَلْبًا، إذا استمالتْه وخدعتْه عن عقله. وكلُّ خادعٍ خالبٌ.

وأمّا الخِلْب بالكسر فمعناه شَغَاف القلب. وهو غِشاء رقيق يلبسه. قال الراجز[٤]:

---

(1) ورد الحديث في لسان العرب (حبب، حمل). وفيه (حمل): «حَمِيل السيل: ما يحمل من الغُثاء والطين.. فإذا اتفقت فيه حِبّة، واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة. فشَبَّهَ بها سرعةَ عَوْد أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها».

(2) الحُبّة: هي الحُبّ. لسان العرب (حبب).

(3).الرب: سلافة كل ثمرة بعد الاعتصار والطبخ. لسان العرب (ربب).

(4) الرجز في المثلث لابن السيِّد البَطَلْيوسي (١/ ٤٩٧). ولسان العرب (بكر). وفيه: «البِكْر: أوّل ولد الرجل، غلامًا كان أو جارية. وهذا بكر أبويه: أي أول ولد يولد لهما».

يا بِكْرَ بِكْرَيْنِ، ويا خِلْبَ الكَبِدْ
أصبحتَ مني كذراع من عَضُدْ

وأمّا الخُلْب بالضم فجمعُ خالِب[1]. يقال: قوم خُلْب وخُلَب وخُلُب.

* * *

ومنه الخَلْف والخِلْف والخُلْف

فأمّا الخَلْف بالفتح فالرديء. قال الله عَزَّ وجل: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ﴾[2].

والخَلْف أيضًا بالفتح الاستسقاءُ. يقال: خَلَفْتُ خَلْفًا، إذا استسقيتَ.

والخَلْف أيضًا ضِدُّ أمَام.

وأمّا الخِلْف بالكسر فواحدُ أخلاف الناقة. وهي الحَلَمات والضُّروع.

وأمّا الخُلْف بالضم فاسمُ الإخلاف ومَصْدَرُه. يقال: أَخْلَفْتُ موعدَه إخلافًا وخُلْفًا.

* * *

ومنه المِلْح والمِلْح والمُلْح

فأمّا المِلْح بالفتح فهو الإسراعُ. قال الشاعر:

مَلْحَ الصُّقورِ تحت دَجْنٍ مُغْيِنِ[3]

(1) الخالب: الخادع الكذّاب. لسان العرب (خلب).

(2).سورة مريم (١٩/ ٥٩).

(3) الشطر في المثلث لابن السيِّد البَطَلْيوسي (٢/ ١٥٤)، ونسبه إلى رؤبة. وليس في ديوانه. وهو في لسان العرب (ملح) من غير نسبة.

والمغين: من الغَيْن وهو الغيم. لسان العرب (غين).

ومنه سُمِّيَ الملاّحون. والدَّجن إلباسُ الغيمِ السماءَ.

مثل مُغْيِم ومُغْيِن سواء.

وسُمِّي الملاحون لإسراعهم بالمحاذيف. ويُسَمَّوْنَ أيضًا الصَّرَارِيّينَ، واحدُهم صَرَاريّ، لأنه يَعْطِفُ السفينةَ.

ويقال: صَرى إذا جَمَعَ. قال الشاعر:

مُعَتَّقَة مِمّا صَرَى أرضُ بابلِ

وأمّا المِلْح فمعروف. وهو أيضًا الرَّضاع.

ومنه قولُ هَوَازِنَ لرسول الله ﷺ: «لَوْ مَلَحْنا للنُّعْمان بنِ المنذر، أو الحارثِ ابنِ أبي شَمِرٍ، لَنَفَعنا ذلك عندهما. وأنت خيرُ الكَفِيلَيْنِ»[1]. قال الشاعر:

وإني لأَرْجو مِلْحَها في بطونكمْ وما نَسَجَتْ من نسج أَشْعَثَ أَغْبَرا[2]

المِلْح أيضًا من المِلاَحة. تقول: جاريةٌ عليها مِلْحٌ.

وأمّا المُلْح بالضم فجَمْعُ أمْلَحَ ومُلَح. والمُلْحَة سواد وبياض يختلطانِ. يقال: كبشٌ أملحُ ومُلَحٌ، إذا كان كذلك.

والأَخْرَجُ قريبٌ من ذلك. يقال: ظَلِيمٌ أَخْرَجُ.

---

(1).جاء في لسان العرب (ملح): «وفي حديثِ وفدِ هوازن: أنهم كلّموا رسول الله ﷺ في سَبْيِ عشائرهم. فقال خطيبهم: إنّا لو كنّا مَلَحْنا للحارث ابن أبي شَمِر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل هذا منا، لَحُفِظ ذلك لنا. وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك. قال الأصمعي في قوله (مَلَحْنا)، أي أرضعنا لهما. وإنما قال الهوازني ذلك، لأن رسول الله ﷺ، كان مُسْتَرْضَعًا فيهم. أرضعته حليمة السعدية».

(2) البيت لأبي الطَّمَحان القَيْني. جاء في لسان العرب (ملح): «قال أبو الطمحان، وكانت له إبل يسقي قومًا من ألبانها، ثم أغاروا عليها فأخذوها:

وإني لأَرْجو مِلْحَها في بطونكمْ، وما بَسَطَتْ من جلد أَشْعَثَ أَغْبَرا

ومنه سُمِّي الخُرْجُ خُرْجًا[1]، لاختلاط البياض والسواد فيه.

ويقال للخرج: الكُرْزُ. وبه سُمّي الرجل كُرْزًا وكُرَيْزًا والكَرّاز: تَيْسٌ يحمل عليه الراعي أداته.

* * *

ومنه الغَيْل والغِيل والغُول

فأمّا الغَيْل بالفتح فهو ما تسقيه المرأةُ ولدَها في صِغَره إذا جَلَتْ عنه.

وأمّا الغِيل بالكسر فشجرٌ ملتفّ.

وأمّا الغول فالشياطين.

* * *

ومنه الفَرْج والفِرْج والفُرْج

فأمّا الفَرْج بالفتح ففرج المرأة. والفَرْج ما بين الشيئينِ. يقال لما بين رِجْلَي الفرس: فَرْج. قال امرؤ القيس[2]:

لها ذنبٌ مثلُ ذيلِ العروسِ تَسُدُّ به فَرْجَها من دُبُرْ

والفَرْج أيضًا موضعُ المخافة من أرض العدوّ والثَّغْر.

وأمّا الفِرْج بالكسر فالذي ينكشف فَرْجُه أبدًا. يقال: رجلٌ فِرْج، وفُرْج.

= وذلك أنه كان نزل عليه قوم، فأخذوا إبله. فقال: أرجو أن تَرْعَوْا ماشربتم من ألبان هذه الإبل، وما بسطت من جلود قوم، كأن جلودهم قد يبست فسمنوا منها... يقول: إني لأرجو أن يأخذكم الله بحرمة صاحبها وغدركم به. وكانوا استاقوا له نَعَماً كان يسقيهم لبنها)).

(1) الخرج: هو هذا الوعاء، جُوَالق ذو أَوْنَيْن. لسان العرب (خرج).

(2) البيت في وصف الفرس. وهو من قصيدة في ديوان امرئ القيس (١٥٤– ١٦٧).

ومنه الطَّرْق والطِّرْق والطُّرق

فأمّا الطَّرْق بالفتح فمصدر طرقتُ طَرْقًا، وهو الضرب. ومنه سُمّيت المِطْرَقةُ. والطَّرْق أيضًا البعير الذي يُخْتار لِضراب الإبل. وهو أيضًا الكَهَانة. قال لَبيد(١):

لَعَمْرُك، ما تَدْري الطوارقُ بالحصى ولا زاجِراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ

وهو أيضًا الماء الذي بالت فيه الماشيةُ وخَوَّضَتْه.

وأمّا الطِّرق بالكسر فالقوة. والطِّرْق أيضًا الشحم. يقال: إنما سُمِّيت القوةُ طِرْقًا، لأنها من الشحم تكون. كما سُمّيَ هُدْبُ العين شُفْرًا، لأنه على الشُّفْر يكون. وقد تسمّي العربُ الشيءَ باسم الشيء إذا كان مجاورًا له، أو كان منه بسبب.

وأمّا الطُّرق بالضم فجمع طَرِيق، أي المطروق المسلوك عليها.

* * *

ومنه الجِلَّة والجَلَّة والجُلَّة

فأمّا الجَلَّة بالفتح فالبعير.

وأمّا الجِلّة بالكسر فقَوْم أَجِلاّءُ.

وأما الجُلّة بالضم فجُلَّة التمر. وهي القَوْصَرَة.

* * *

ومنه النَّحْلة والنِّحْلة والنُّحْلة

فأمّا النَّحْلة بالفتح فالذُّبابة التي تجمع العسلَ.

وأما النِّحْلة بالكسر فالعَطِيّة.

وقد يقال في العَطيّة: نُحْلَة، بالضم.

(1) البيت من قصيدة في ديوانه (١٦٨-١٧٢) وهي في رثاء أخيه أرْبَد.

ومنه الغَسْل والغِسْل والغُسْل

فأمّا الغَسْل بالفتح. فمصدر غَسَلْتُ.

وأمّا الغِسْل بالكسر فهو ما غُسِلَ به الرأسُ من خَطْمِيّ[1] وغيره.

وأمّا الغُسْل بالضم فاسْمُ الاغتسال.

* * *

ومنه القَطْع والقِطْع والقُطْع

فأمّا القَطْع بالفتح فمصدر قَطَعْتُ قطعًا.

وأمّا القِطْع بالكسر فآخِرُ الليل، وهو السَّحَر. ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ﴾(٢).

وأما القُطْع بالضم فجمعُ أَقْطَعَ(٣).

* * *

ومنه الضَّر والضِّر والضُّر

فأمّا الضَّرّ بالفتح فمصدر ضَرَرْتُ ضرًّا. وهو ضدُّ النَّفْع.

وأمّا الضِّرّ بالكسر فأَنْ يتزوّجَ الرجلُ الضَّرائرَ.

يقال: تزوَّجَ الرجلُ فلانةَ على ضِرٍّ.

وأمّا الضُّرّ بالضم فاسمٌ أيضًا من الضَّرّ الذي هو ضدّ النَّفْع. وهو لغتانِ.

* * *

ومنه الرَّوَاء والرِّوَاء والرُّوَاء

فأمّا الرَّوَاء بالفتح والمدّ فالماءُ الكثير.

---

(1) الخطمي: ضرب من النبات يغسل به الرأس. لسان العرب (خطم).

(2) سورة هود (١١/ ٨١).

(3) الأقطع: الرجل المقطوع اليد. لسان العرب (قطع).

يقال: ماءٌ رَوَاءٌ. ويقال: ماء رِوَاء، ممدودُ مكسور.

وأمّا الرِّواء بالمدّ والكسر فالحَبْل. والرِّواء أيضًا جمع رَيّان[١].

وأمّا الرُّوَاء بالضم فمن قولك: فلانٌ حَسَنُ الرُّوَاء.

والرُّؤى جمعُ رؤيةٍ ورؤيا.

* * *

ومنه السَّرْب والسِّرْب والسُّرْب

فأمّا السَّرْب بالفتح فالطريق. يقال: خَلِّ سَرْبَ فلانٍ، أي طريقَه.

والسِّرْب بالكسر من قولهم: فلانٌ أمينٌ في سِرْبه، أي في نفسه وحاله. والسِّرْب أيضًا من القَطا والنِّساء والظِّباء.

وأما السُّرْب بالضم فجمعُ سُرْبَةِ الخيل[٢].

* * *

ومنه العَرْج والعِرْج والعُرْج

فأمّا العَرْج بالفتح فالجماعةُ من الإبلِ الكثيرةُ، نحوُ الألف.

وأمّا العِرْج بالكسر فموضعٌ بالحجاز[٣]، يُنْسَب إليه العِرْجيّ الشاعرُ[٤]، من ولد عثمانَ، رحمه الله.

وأما العُرْج بالضم فجمعُ أعْرَجَ.

---

(1) نَبْتٌ ريّانُ، وشجرٌ رِوَاء. لسان العرب (روى).

(2) سربة الخيل: الجماعة من الخيل، ما بين العشرين إلى الثلاثين. لسان العرب (سرب).

(3) جاء في معجم البلدان (العرج): «وقال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب وذكر نواحي الطائف: وادٍ يقال له النَّخْب، وهو من الطائف على ساعة. ووادٍ يقال له العِرْج، وهو غير العَرْج الذي بين مكة والمدينة».

(4) هو عبد الله بنُ عمرَ بنِ عمرِو بنِ عثمانَ بنِ عفّانَ. وكان من شعراء قريش، ومَنْ شُهِر بالغزل منها. ونحا نحوَ عمرَ بنِ أبي ربيعة، وتشبّه به فأجاد. الشعر والشعراء (٢/ ٥٧٤- ٥٧٦)، والأغاني (١/ ٣٨٣- ٣٨٥).

ومنه القَلَّة والقِلّة والقُلّة

فأمّا القَلّة بالفتح فإسالةُ الشيء مرّةً واحدة.

وأمّا القِلَّة بالكسر فالإقلال. والقِلّة أيضًا بالكسر الرِّعْدَة. يقال: فلانٌ به قِلَّةٌ، إذا كانت به رِعْدَة.

وأمّا القُلَّة بالضم فرأسُ الشيء. قال تأبّطَ شرًّا[1]:

وقُلَّةٍ كسِنانِ الرمحِ باسِقَةٍ ضَحْيانةٍ في شهور الصيفِ، مِحْراقِ

* * *

ومنه الفَلْج والفِلْج والفُلج

فأمّا الفَلْج بالفتح فمصدر فَلَجْتُ الشيءَ فَلجًا إذا قطعتَه، وأصبتَ بُغْيَتَك منه.

وأمّا الفِلْج بالكسر فالنهرُ.

وأمّا الفُلْج بالضم فجمعُ أَفْلَجَ[2]. والفُلْج أيضًا النُّجْح.

* * *

ومنه النَّعْمة والنِّعْمة والنُّعمة

فأمّا النَّعْمة بالفتح فهي النعيم.

وأمّا النِّعْمة فاليَدُ من النِّعْمة[3]. قال الله عزَّ وجلّ :﴿وَتِلْكَ ...،﴾ [4]

---

(1) البيت من قصيدة في ديوانه (١٢٥– ١٤٤)، والمفضليات (٢٧– ٣١).

القلة: هي قلة الجبل هنا: وضحيانة: بارزة للشمس. وباسقة: مرتفعة في عُلُوّ. لسان العرب (بسق).

(2) رجل أَفْلَجُ إذا كان في أسنانه تفرّق. والفَلَج في الأسنان تباعُد ما بين الثنايا والرَّباعيّات خِلْقةً. لسان العرب (فلج).

(3) النِّعْمة: اليد البيضاء الصالحة، والصَّنيعة والمِنَّة وما أُنْعِم به عليك. لسان العرب (نعم).

(4) تمام الآية: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيل﴾. سورة الشعراء (٢٦/ ٢٢).

المصادر

١- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني. طبعة دار الكتب المصرية. (طبعة مصورة عنها).
٢- الأمالي، لأبي علي القالي. مطبعة السعادة في القاهرة سنة ١٣٧٣/ ١٩٥٣.
٣- ديوان امرئ القيس. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٩. (الطبعة الثالثة).
٤- ديوان تأبط شرًا. تحقيق علي ذو الفقار شاكر. دار الغرب الإسلامي في بيروت، سنة ١٤٠٤/ ١٩٨٤.
٥- ديوان رؤبة بن العجّاج. تصحيح W. Ahlwardt (طبعة مصورة في دار الآفاق في بيروت).
٦- ديوان لبيد بن ربيعة. تحقيق الدكتور إحسان عباس. وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت سنة ١٩٦٢.
٧- ديوان يزيد بن مفرّغ الحميري. تحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح. مؤسسة الرسالة في بيروت. سنة ١٣٩٥/ ١٩٧٥.
٨- الشعر والشعراء، لابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٦
٩- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. طبعة الخانجي في القاهرة سنة ١٣٧٣/ ١٩٥٤.
١٠- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي. طبعة دار صادر في بيروت.
١١- المثلث، لابن السيِّد البَطَلْيوسي. تحقيق صلاح مهدي علي الفرطوسي. دار الرشيد للنشر في بغداد سنة ١٩٨١.
١٢- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. مكتبة نهضة مصر سنة ١٣٧٥- ١٩٥٥.
١٣- معجم البلدان، لياقوت الحموي. طبعة دار صادر في بيروت سنة ١٣٩٧/ ١٩٧٧.
١٤- المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر سنة ١٣٨٣/ ١٩٦٤ (الطبعة الرابعة).

الشيخ إبراهيم المنذر
١٨٧٥ – ١٩٥٠

أ. حكمت هلال

كانت المحيدثة التي فتح إبراهيم المنذر عينيه فيها أول مرة، ليرى نور الحياة في السابع من حزيران سنة ١٨٧٥م، قد بقي لها أكبر الأثر في فكره وقلبه طوال عمره.

هو إبراهيم بن ميخائيل بن منذر بن كمال أبي راجح، من بني المعلوف، الأسرة الغسَّانية الحورانية، من قرية المحيدثة بلبنان، تعلَّم في مدرسة القرية، ثم انتقل إلى المدرسة اللبنانية في قرنة شهوان، واستمر يتعلم فيها مدة أربع سنوات، درس خلالها العربية والفرنسية والإنكليزية، حتى أكمل دراسته سنة ١٨٩٠م.

باشر التعليم بعد نَيله الشهادة وهو في العشرين من عمره في مدرسة النبي إلياس في شوبا، ثم في مدرسة الشوير الوطنية، ومن ثَمَّ انتقل إلى بيروت، ودرّس في مدارسها علم اللغة والأدب العربي، وكان على قسط وافر من الذكاء وقوة الشخصية، وكان يلمّ بدقائق اللغة بعقله وقلبه أكثر مما يفهمها بقوة ذاكرته وحفظه، نجح إبراهيم المنذر في التعليم نجاحًا باهرًا، ويعود ذلك إلى تفانيه وإخلاصه في تعليم تلاميذه، وإلى غيرته الشديدة على العربية من أن تضعف وتندثر، أضف إلى ذلك حُسن سلوكه، وطيب معشره، وحبه للناس والاختلاط بهم.

وفي أثناء وجوده في بيروت علَّم في أغلب مدارسها: ثلاثة الأقمار، وزهرة الإحسان، والمدرسة الابتدائية، والفرير، والوطنية، والعلمانية، والبطريركية، والأهلية، ودار المعلمات الإنكليزية، ودار المعلمين الرسمية، وعيَّنته وزارة المعارف سنينَ عديدة في لجان امتحان الشهادات الثانوية العالية لطلاب الأدب والفلسفة.

ثمّ انتُخب شيخ صلح عن بلدته عام ١٩٠٨، وفي سنة ١٩٠٩ عُين رئيسًا لدائرة النيابة العامة في منطقة الجبل.

وقد رأس فرع جمعية الإصلاح العربية، التي حقَّقت مؤتمر باريس، وتعرَّض بسبب ذلك للمحاكمة أمام المجلس العرفي، حيث أُنقذ من الإعدام بتدخل صديقيه الأميرين: شكيب أرسلان وفائز شهاب.

شغل عضوية محكمتي المتن وكسروان من عام ١٩١٥– ١٩٢٠. وفي سنة ١٩٢٠ عندما أُعلن استقلال لبنان ألقى خطابًا حماسيًّا، ندّد فيه بالاستقلال الزائف، فعزلته السلطة عن منصبه، فذهب إلى سورية، فكلَّفته الحكومة السورية بإدارة المدارس العامة في حلب والإسكندرونة، ومن ثمّ دعاه الملك فيصل الأول لتولِّي منصب رفيع في المعارف، فاعتذر عن إجابة دعوته بسبب انشغاله في الشؤون اللبنانية.

انتخبه الشعب نائبًا عنه في الجبل عام ١٩٢٢، وجُدِّد انتخابه أربع مرات متتالية، فكان وطنيًّا حرًّا، ومناوئًا عنيدًا للانتداب الفرنسي طَوال مدة حكمه في المجلس النيابي، وكان يدافع عن الدستور والدعوة إلى إلغاء الطائفية وتحرير المرأة.

انتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق عضوًا فيه في الثالث من تشرين الأول ١٩٢٦. وانضم إليه فعليًّا في عام ١٩٢٧.

وكان يرى في هذا المجمع مثلاً يُحتذى، ويشيد بمنجزاته على الرغم من الصعوبات التي تواجهه، فيقول في مجلة المعارف: «فأعجبت بما جاء فيه من الأعمال الكبيرة التي قام بها المجمع، مع ما في هذه البلاد من المصاعب التي تعترض أمثال هذه المعاهد العلمية المفيدة»[1].

ويلحُّ كثيرًا في المطالبة بإنشاء مجمع علمي في بيروت على غرار المجمع العلمي بدمشق، ويصرِّح بذلك على صفحات الإصلاح فيقول: «ولقد كنت ولا أزال ألحُّ

(1) مجلة المجمع العلمي العربي: مجلدة – عام ١٩٢٥ ص (١٨).

بوجوب إنشاء مجمع علمي في هذه المدينة (بيروت) من نخبة الجهابذة في اللغة على مثال المجمع العلمي في دمشق، فينظر في أصولها، ويطرح العقيم منها، ويؤيِّد الجديد الذي ينطبق على قواعد البيان، ويوافق مقتضيات القرن العشرين»[١].

نظم الشيخ إبراهيم منذر قصيدة شعرية بمناسبة انتخابه عضوًا في المجمع العلمي بدمشق يقول فيها[٢]: [من الطويل]

ولوْلا رجالٌ في دمَشقَ عَرَفْتُهمْ أكارمُ لا يأتُونَ إلاّ المعاليَا
حَمَوا لُغَةَ الأَعْراب من كُلِّ لَكْنَةٍ وشَادُوا بها دُورَ الهُدَى والمغَانيا
لَمَا كانَ لي في منْبَرِ الشّام مَوْقفٌ قَطَعْتُ إليه هَضْبَها والفَيافيا
وَلا عَجَبٌ في ذَاكَ وَالشّامُ كَعْبَةٌ يَحُجُّ إلَيْهَا الصَّادقُ الحُرُّ هَانيا
إذا نَهَضَتْ صَانَتْ لسَانَ جُدُودهَا وَأَجْلَتْ عَن الأَوْطان تلْكَ الدَّوَاهيَا
وإنْ فَشلَتْ تَهْوي وتَحْتَاجُ عُجْمُهَا حمَاها، وتُخْبي نُورَهَا والدَّرَاريَا

وشفع قصيدته هذه بأطروحة قدّمها للمجمع تحت عنوان:«كتاب المنذر»، وهو كتاب لطيف الحجم، غزير المادة، تصدَّى فيه الشيخ المنذر للأغلاط الشائعة على ألسنة الكُتَّاب في عصره، والتي وردت في شعرهم ونثرهم، واقترح إنشاء مجمع علمي لغوي في بيروت، وجمع ما نشره الكتّاب في صحف بيروت تأييدًا له، أو تفنيدًا لرأيه.

وقدَّم كتابه هذا إلى المجمع، فتقبَّله منه شاكرًا له، وقام بنشر القسم الذي يتعلَّق بنقد الأخطاء اللغوية في مجلة المجمع، لِما رأى فيها من الفائدة الكبيرة والخير العميم لأبناء اللغة العربية.

وقد قرّظ هذا الكتاب، وأشاد بفضل مؤلِّفه الأستاذ أحمد رضا، أحد

(1) مجلة المجمع العلمي العربي، مجلدة – عام ١٩٢٥ ، ص (١٧).
(2) المصدر نفسه، مجلد ٩ – ص (٣٤) عام ١٩٢٩.

أعضاء المجمع العلمي، فقال:

«حيّا الله الأستاذ المنذر، فقد جاهد في سبيل لغته الشريفة جهادًا محمودًا، ودافع عنها دفاع الأبطال، لما رأى أقلام بعض الكتّاب، أو كثير منهم قد تجاوزت – عن غير تعمُّد – الحدود، وفكّت القيود باستعمالها اللحن والخطأ، حتى كادت – من ذلك – محاسن اللغة تشوّه، وسلاستها تذهب، فأخرج للناس كتابًا جليلاً مفيدًا»[1].

لقد كان الشيخ المنذر من خيرة العلماء والفضلاء الذين ضمَّهم المجمع العلمي بين جوانحه، ومن صفوة الأدباء الغيورين على مجد الأمة العربية، وعلى لغة الضاد السائدة في بلادها.

نظم الشعر في مختلف المناسبات الوطنية والقومية والاجتماعية، فكان لسان لبنان المعبِّر عن آلامه وآماله، والمصوِّر الصادق لهموم الأمة العربية وطموحاتها.

فديوان شعره النفيس يدل على تضلُّعه من اللغة العربية، واطلاعه على أسرارها، ويُعتبر الشاعر إبراهيم المنذر من أنبغ رجال عصره في العلم والأدب، وقد جادت قريحته بمصنَّفات ذات قيمة عالية في الفكر والأدب، وكيف لا؟ وقد خُطّت بيراع مؤلِّف وأديب وشاعر.

فإبراهيم المنذر أحد أعلام لبنان الأفذاذ في عصره، كونه أحد أعلام اللغة العربية، ورافع لواء الفصاحة والبيان، تحرّى بشعره الكلام البسيط الخالي من التعقيد، فهو البليغ الذي يُؤثر الإيجاز في الفصاحة، وهو الفصيح الذي يُؤثر الإسهاب في البلاغة.

فأسلوبه هو السهل الممتنع، رقيق سلس، غزير المادة، فصيح اللهجة، قوي الحجة، سريع الخاطر، تمكَّن بأسلوبه، هذا من التفوق في الصناعة الأدبية، فكان

(1) مجلة المجمع العلمي العربي: مجلد ٨ – ص (٥٣٧) – عام ١٩٢٨.

فكره منطلقًا تقطر منه نفحات عبقة هزّت مشاعره، وفتحت قلبه، وصقلت موهبته، وكوّنته تكوينًا جديدًا، فكان لهذا كله الأثر الكبير في نمط حياته، وطبيعة أسلوبه.

وصَف نواحي عدة في الحياة والمجتمع والوطن فقال[1]: [من البسيط]

أبناءَ قوْمي ما حَنَّ الفُؤادُ إلى سِوَاكُمُ تَمْلَؤُونَ السَّهْلَ وَالهِضَبَا
أنَا عَلَى العَهْدِ باقٍ عَامِلٌ أَبَدًا حَتّى أراكُمْ عَلَى مَتْنِ الذُّرا شُهُبَا
ولو بَذَلْتُ حَيَاتي في عُلا وَطَني لكانَ ذلكَ مِنّي بَعْضَ ما وَجَبَا

وكان دائمًا يحضُّ على الجهاد ومقاومة الغاصبين فيقول[2]: [من البسيط]

مَنْ جَدَّ فازَ، ومَنْ خانَتْهُ هِمَّتُهُ هَوَى، وَما خَابَ في المِضْمَار عَدَّاءُ
إنَّ الجِهادَ حَيَاةٌ، والخُمُولَ رَدىً وَطَيِّبي الذِّكْرِ بَعْدَ المَوْتِ أَحْيَاءُ

وكان ينادي بالوحدة العربية ويدعو إليها إذ يقول[3]: [من البسيط]

يا فِتْيَةَ العُرْبِ إنَّ العلم مَفْخَرَةٌ وَأَهْلُهُ الغُرُّ إخْوانٌ أَحِبَّاءُ
يا فِتْيَةَ العُرْبِ إنّا نَاظِرونَ إلى جُهُودِكمُ وَهْيَ كالأَعْراقِ شَحَّاءُ
ما في فِلَسْطِيْنَ أَوْ أَرضِ العِراقِ ولا لُبْنَانَ أَوْ سُورِيَة إلا أَشِقَّاءُ
جارَتْ عَلَيْهِمْ يَدُ البَاغِيْنَ فَاغْتَرَبُوا في الشَّرْقِ والغَرْبِ والأَيَّام سَوْدَاءُ
مِن كُلِّ شَهْمٍ إذَا نُودِي لِمَكرُمَةٍ لَبَّى نِدَاءَ المُنَادي وَهْوَ مِعْطَاءُ
لا يَعْدَمُ الحَقُّ أَنْصَارًا تُؤَيِّدُهُ والحَقُّ في الشَّرْقِ كالنِّبْراسِ وَضَّاءُ

وكان يحثُّ دائمًا على حب الأرض والتفاني من أجلها، فيقول[1]: [من الخفيف]

(1) مجلة المجمع العلمي العربي: مجلد ٨ – ص (٥٣٧) – عام ١٩٢٨.
(2) إبراهيم المنذر: «ديوان الشعر» ص (٢٠).
(3) المصدر نفسه: ص (٢٢).

أيُّها النَّاطِقُونَ بالضَّادِ صُونُوا أَرْضَكُمْ مِنْ طَوَارِقِ الحَدَثانِ
فَبَنُوهَا بَنُو المعَالِي وَأَهْلِ السَّيْفِ والضَّيْفِ وَالمزَايَا الحِسَانِ

وتُعَدُّ قصيدته التي يصف فيها «قلب الأم» ومدى حبّها لولدَها، وخوفها عليه من أن يناله أذى أو ضرر، من أجمل قصائده التي ترقرق لها الدموع في المآقي[٢]. وهي: [من الكامل]

أَغْرى امْرُؤٌ يَوْمًا غُلامًا جاهِلاً بِنُقُودِهِ حَتّى يَنَالَ بِهِ الوَطَرْ
قال: ائتِنِي بفُؤادِ أُمِّكَ يا فَتَى وَلَكَ الدَّراهِمُ والجَواهِرُ والدُّرَرْ
فَمَضَى وأَغْمَدَ خَنْجرًا في صَدْرِهَا والقَلْبُ أَخْرَجَهُ وَعادَ عَلَى الأَثَرْ
لكنَّهُ مِنْ فَرْطِ سُرْعَتِهِ هَوَى فَتَدَحْرَجَ القَلْبُ المضَرَّجُ إِذْ عَثَرْ
نَاداهُ قَلْبُ الأُمِّ وَهْوَ مُعَفَّرٌ: وَلَدي حَبيبي هَلْ أَصَابَكَ مِنْ ضَرَرْ
فَكَأَنَّ هذَا الصَّوْتَ رَغْمَ حُنُوِّهِ غَضَبُ السَّماءِ بِهِ عَلَى الوَلَدِ انْهَمَرْ
فَاسْتَلَّ خَنْجَرَهُ لِيَطْعَنَ نَفْسَهُ طَعْنًا سَيَبْقَى عِبْرَةً لِمَنِ اعْتَبَرْ
نَادَاهُ قَلْبُ الأُمِّ: كُفَّ يَدًا وَلا تَطْعَنْ فُؤَادي مَرَّتَيْنِ عَلَى الأَثَرْ

قال الأستاذ أمين نخلة فيه:

«كان الشيخ إبراهيم المنذر بحرًا لا ساحل له، فهو قد أحاط بشاذٍّ ومقيس، ووقف على غرائب ونوادر، وغاص على دقائق، واستقصى أطرافًا، وجمع أشتاتًا... إلى ذاكرة تحفظ للفور، وتُحضر المحفوظ عند الاقتضاء، فإذا هو تلا عن لوح قلبه، فكأنما يستفرغ من وعاء. وإني لا أعرف في علماء زماننا مَنْ رُزق تلك القوة في الحافظة إلا الشيخ عبد القادر المغربيّ علاَّمة وقته رحمه الله، والشيخ عبد الله

(1) إبراهيم المنذر: «ديوان الشعر»، ص (٢٤).
(2) المصدر نفسه، ص (٣١).

العلايلي علاَّمة هذا الوقت.

هو في الخطابة ليس له نظير، كان طلق البديهة، طلق اللسان، أما الشعر فإن المنذر لم يجعله مَرْمَى آماله... وهو لو انصرف إلى الشعر، لأدرك فيه أمدًا بعيدًا.

شعره شعر العلماء؛ فأسلوب رصين، وألفاظ بيّنة، وانسجام مطّرد، ومعانٍ قريبة... يصول في الإنشاد ويجول، ويتدفق تدفّق النهر الشديد الجَرْيَة... أراد من النّظم أن يُري الناس كونَ العلماء يستطيعون المشاركة في فن الشعر علاوةً على فَنِّهم المخصوص بهم. وقديمًا جاء من العلماء شعراء، ومن الشعراء علماء»[1].

أُقيمت له عدة حفلات تكريمية في الوطن والمهجر، كان آخرها وأكبرها حفلة اليوبيل الذهبي التي أُقيمت في بكفيّا في ٢٩ آب سنة ١٩٤٨.

تُوفي – رحمه الله – عن خمسة وسبعين عامًا بتاريخ ٢٧ آب ١٩٥٠ في مستشفى القديس جاورجيوس في بيروت على أثر عملية جراحية، وفي اليوم التالي وُوْرِيَ ثرى المحيدثة بموكب مهيب اشتركت فيه الدولة، حيث وقف الشاعر رئيف خوري يرثيه ويقول[2]: [من السريع]

ثَلاثَةٌ تَبْكيكَ: أُمُّ اللُّغَاتْ وَأَرْزُ لُبْنانَ وعُلْيَا الصِّفَاتْ
وَفَّيْتَ حَقًّا لِلْعُلا وَاجِبًا فَعِشْتَ لِلْعِلْمِ وَلِلْمَكْرُمَاتْ
إِنْ عَدَّ لُبْنَانُ ذَوي فَضْلِهِ عَدَّكَ في أَعْلامِهِ الخَافِقَاتْ
قَدْ رَدَّكَ اليَوْمَ إِلَى أَرضِهِ وَكانَ أَنْماكَ كَأَزْكَى النَّبَاتْ

مؤلَّفاته

كتب كثيرًا نثرًا وشعرًا في الجرائد منها: المنار والحرية والبرق والمعرض والإصلاح

(1) مقدمة «ديوان شعر» للأستاذ أمين نخلة بتصرُّف.

(2) إبراهيم المنذر: «ديوان شعر» ص (١٩).

والمنبر والأحرار والمستقبل والأمة. وكتب في مجلات: العرفان والمعارف والفجر والخدر ومنيرفا والمرأة الجديدة والحياة وبيت لحم والهلال وراسل الدليل ومرآة الغرب والسمير والهدى والحديقة والبريد والوطن.

نشر بعنوان «حديث نائب» مقالات شهيرة في النقد السياسي والاجتماعي، وبرع في الخطابة فلقّب بشيخ المنابر. وألّف عدة تمثيليات منها:

١– الأعرابي.
٢– الأمير بشير الشهابي.
٣– الحرب في طرابلس الغرب.
٤– المملوك الشارد.
٥– أمير القصر.
٦– علي بن أبي طالب.
٧– صلاح الدين الأيوبي.
٨– كتاب المنذر في النقد اللغوي وعثرات الأقلام.
٩– كتاب الدنيا وما فيها. في الأدب والاجتماع.
١٠– ديوان شعر. منشورات مكتب الدراسات العلمية ١٩٧٣.

المراجع

١– الأعلام للزركلي صفحة (١٧٦م).
٢– ديوان شعره، طبع بيروت ١٩٧٣.
٣– مصادر الدراسة الأدبية – يوسف أسعد داغر.
٤– القاموس العام – حنّا أبي راشد، طبع لبنان، الجزء الثاني، صفحة ٥٧٩.
٥– معجم المؤلّفين – عمر رضا كحالة. طبع دار إحياء التراث، بيروت، الجزء الأول، صفحة (١١٩).

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ٢٠٠٥م

أ – الكتب العربية

أ. خير الله الشريف

- **أصول النحو عند البغدادي: دراسة في شواهد الخزانة**/ د. فاطمة راشد الراجحي – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٥).
- **أوراق جامعية**/ د. داخل حسن جريو – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٥.
- **تاريخ القدس والخليل عليه السلام**/ الخليلي – لندن: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ٢٠٠٤.
- **تاريخ مدينة دمشق**/ ابن عساكر، تحقيق: سكينة الشهابي – دمشق: مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٥ – مج ٦٤.
- **تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة**/ د. سعيد بن عبد الله القحطاني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤ – (الرسائل الجامعية ١٤٧).
- **تجاوز ضفاف المألوف: دراسة في شعر الأعشى الكبير**/ د. نسيمة راشد الغيث – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٤).
- **جمالية الخبر والإنشاء**/ د. حسين جمعة – دمشق: اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٥.
- **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية**/ د. حصة

بنت حمدان الهلالي الزهراني – الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ٢٠٠٤ – (الرسائل الجامعية ١٥٠).

- **حياة الحيوان الكبرى**/ الدميري، تحقيق: إبراهيم صالح – دمشق: دار البشائر، ٢٠٠٥ – ٥ج.
- **دليل جامعة دمشق لعام ٢٠٠٤ – ٢٠٠٥**/ جامعة دمشق – دمشق: الجامعة، ٢٠٠٥.
- **رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن**/ ابن عربي، جمع: محمود الغراب، دمشق: مطبعة نضر، ١٩٨٩ – ٤ج.
- **قواعد الإملاء**/ مجمع اللغة العربية بدمشق – دمشق: المجمع، ٢٠٠٤.
- **كتابات ثقافية**/ د. داخل حسن جريو – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٥.
- **للوفاء والذكرى: الأستاذ الدكتور مسعود بوبو المدير العام لهيئة الموسوعة العربية** / هيئة الموسوعة العربية دمشق: الموسوعة، ٢٠٠٠.
- **المعتزلة**/ د. سهام ترجمان – دمشق: جامعة دمشق، ٢٠٠٥.
- **المفصل في فلسفة التاريخ**/ د. هاشم يحيى الملاح – بغداد: المجمع العلمي، ٢٠٠٥.
- **من ظواهر الأشباه والنظائر بين اللغويات العربية والدرس اللساني المعاصر: الترادف** / د. عبد الرحمن بودرع – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٧).
- **موارد ابن عساكر**/ د. طلال بن سعود الدعجاني – المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٤ – ٣ج.
- **ندوة مشروع النهضة العربية للقرن الحادي والعشرين**/ مجموعة – دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٢ – ٢ج.
- **ندوة المحافظة على بيئة وعمران مدينة دمشق من خلال المحافظة على**

التنوع الحيوي للغوطتين / مجموعة – دمشق: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠١ – ٢ج.

– **وثائق الوقف الكويتية وأهميتها التاريخية**.../ د. فيصل عبد الله الكندري – الكويت: مجلس النشر العلمي، ٢٠٠٥ – (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ٢٥، الرسالة ٢٢٦).

ب– المجلات العربية

أ.ماجد الفندي

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١ – الأسبوع الأدبي	(٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢)	٢٠٠٥م	سورية
٢ – بناة الأجيال	العدد (٥٥)	٢٠٠٥م	سورية
٣– التراث العربي	العدد (٩٧)	٢٠٠٥م	سورية
٤– الحياة الموسيقية	الأعداد (٣٢، ٣٣، ٣٤)	٢٠٠٤م	سورية
٥– رسالة معهد التراث العلمي العربي	العدد (٧٧)	٢٠٠٥م	سورية
٦– صوت فلسطين	الأعداد (٤٤٧، ٤٤٨)	٢٠٠٥م	سورية
٧– المعرفة	الأعداد (٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠)	٢٠٠٥م	سورية
٨– الموقف الأدبي	الأعداد (٤٠٩، ٤١٠)	٢٠٠٥م	سورية
– النشرة الاقتصادية	العدد (١ أيار)	٢٠٠٥م	سورية
١٠– نضال الفلاحين	العدد (٣٥)	٢٠٠٥م	سورية

اسم المجلة	العدد	سنة الإصدار	المصدر
١١- دراسات	علوم إدارية (١)	٢٠٠٥م	الأردن
	علوم شريعة وقانون (٢)	٢٠٠٤م	
	علوم تربوية (٢)	٢٠٠٤م	
١٢- الشريعة	الأعداد (٤٧١، ٤٧٢)	٢٠٠٥م	الأردن
١٣- مجمع اللغة العربية الأردني	العدد (٦٧)	٢٠٠٤م	الأردن
١٤- الأدب الإسلامي	العدد (٤٥، ٤٦)	٢٠٠٥م	السعودية
١٥- الأمن والحياة	العدد (٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤)	٢٠٠٥م	السعودية
١٦- الحج والعمرة	الأعداد (٢، ٣) السنة (٦٠)	٢٠٠٥م	السعودية
١٧- عالم الكتب	الأعداد (٣، ٤) مج (٢٦)	٢٠٠٥م	السعودية
١٨- المجلة العربية	الأعداد (٣٣٨، ٣٣٩)	٢٠٠٥م	السعودية
١٩- مجلة المجمع العلمي العراقي	مج (٥١) الجزء (٤)	٢٠٠٤م	العراق
٢٠- البيان	الأعداد (٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠)	٢٠٠٥م	الكويت
٢١- العلوم	الأعداد (١، ٢) مج (٢١)	٢٠٠٥م	الكويت
٢٢- إسلامية المعرفة	الأعداد (٣٧، ٣٨)	٢٠٠٤م	ماليزيا
٢٣- مجلة كلية دار العلوم	الأعداد (٣٣، ٣٤)	٢٠٠٥م	مصر
٢٤- الأكاديمية المغربية	العدد (٢١)	٢٠٠٤م	المغرب
٢٥- الواضحة	العدد (٢)	٢٠٠٤م	المغرب
٢٦- أخبار الألكسو	العدد (٢٩)	٢٠٠٥م	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
٢٧- صوت الأمة	الأعداد (٤، ٥، ٦، ٧) مج (٣٧)	٢٠٠٥م	الهند

ج- الكتب والمجلات الأجنبية

أ. ربى معدني

1- Books:

- Poets of The Thirties / D.E.S. Maxwell.
- Shakespeare's Doctrine of Nature/ John F.Danby.
- Axel's Castle/ Edward Wilson.
- The Situation of the Novel/ Bernard Bergonzi.
- Literature and Criticism/ H. Coombes.
- Problems of Leninism/ J. Stalin.
- Oxford Lectures on poetry / A .C. Bradley.
- The Truest Poetry /Laurence Lerner.
- Hamlet and the Philosophy of Literary criticism / Morris Weitz.
- Elizabethan and Metaphysical Imagery/ Rosemond Tuve.
- The Matter of Britain/ A. L. Morton.
- Collected Essays (Virginia Woolf)/ Leonard Woolf.
- Language and Silence/ George Steiner.

2 – Periodicals:

- Population and Development Review, Vol. 32, No. 1, 2006.
- Resistance, No. 1, 2, 3, 4, 2006.
- East Asian Review, Vol. 18, No.1, 2006.
- Deutschland, No. 1- 2, 2006.
- معارف (باللغة الفارسية) , Vol. 177, No. 2.

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثمانين

(المقالات)

رأي في تيسير مبحث الممنوع من الصرف	د. إحسان النص	٧٣١
من مواضع تيسير تعليم النحو، وحلول مقترحة	د. محمود السيد	٧٤١
دراسة وتحقيق حول فاء السببيّة	د. سيّد علي فلاورجاني	٧٥٧
مقامات الحريري والدراسات اللغوية	أ. محمود الحسن	٧٧٧
واو الثمانية	أ. يوخنّا مرزا الخامس	٨٠٧
شعر إدريس بن اليمان (القسم الأول)	د. أحمد صلاحية	٨٢٩
جولة مع تمّام حسّان في العامل النحوي	د. عمر مصطفى	٨٦٣
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٢٤)	د. وفاء تقي الدين	٨٨٥

(التعريف والنقد)

كتاب المثلث لابن حبيب	د. عزة حسن	٩١٥
الشيخ إبراهيم المنذر	أ. حكمت هلال	٩٢٩

(آراء وأنباء)

الكتب والمجلات المهداة في الربع الثالث من عام ٢٠٠٥	٩٣٧
فهرس الجزء	٩٤٢
فهرس المجلد	٩٤٣

الفهارس العامة للمجلد الثمانين

أ- فهرس أسماء كُتَّاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

د. إحسان النص ٣، ٤٩٩، ٧٣١
د. أحمد صلاحية ٨٢٩
د. أحمد فوزي الهيب ٢٧٥
د. أحمد محمد علي ٥٦٣
د. أيمن الشَّوا ٧٠١
د. حسان الطيان ٥٤٧
د. حسين جمعة ٤٢١
أ. حكمت هلال ٩٢٩
أ. خير الله الشريف ٣١
د. سهيل خصاونة ٥٩٧
د. سيّد علي فلاورجاني ٧٥٧
د. شاكر الفحام ٦٨٦
أ. شحادة الخوري ١٥، ٦٥١
د. عبد الرسول الغفاري ٥٢٩
د. عبد الكريم الأشتر ٦٩٦
د. عبد الكريم اليافي ٢٤٧، ٦٧٧
د. عبد الله واثق شهيد ٢٥٧
أ. عدنان عبد ربه ١٣١، ٣٦٧، ٤٧٣
د. عدنان عبيدات ٣٣٥
د. عزة حسن ٦٦١، ٩١٥
د. علي أبو زيد ٦٩٣
د. عمر الساريسي ٢٠١

د. عمر مصطفى ٨٦٣
د. فاتن محجازي ٩١
د. مجاهد مصطفى بهجت ١٩٣
د. محمد أمين المؤدّب ١٠٩
د. محمد العمري ٥٠٥
د . محمد وليد سراقبي ٧١
أ . محمود الحسن ٣٠٥، ٧٧٧
د. محمود السيد ٧٤١
أ. مروان البواب ٥٦٠
د. مروان محاسني ١٨٩
أ. ندى عاصم البيطار ٧٠٧
د. وفاء تقي الدين ١٦١، ٣٩١، ٦٢١، ٨٨٥
أ. يوخنَّا مرزا الخامس ٨٠٧

ب– فهرس عناوين المقالات

منسوقة على حروف المعجم

أبنية المصادر بين الوضع والاستعمال ٣٠٥
أسماء أعضاء المجمع في مطلع عام ٢٠٠٤م ٢١٧
الانحراف اللغوي (القسم الأول) ٩١
بقية أشعار بني سلول ٧١
تجربة سورية الرائدة في تعريب العلوم في التعليم العالي ٢٥٧
تصحيح ٧٢٥
تعريب تدريس العلوم في الوطن العربي ١٥
تعريف بكتاب: في عصور حضارتنا وتوصيفها ١٨٩
تعقيب على مقال العربية لغة العلم ٥٦٠

التقرير السنوي لعام ٢٠٠٤م ٤٧٣
ابن جبارة المقدسي، وكتابه (المفيد في شرح القصيد) ٣١
جماليات اللون في مخيلة بشار بن برد الشعرية ٣٣٥
جولة مع تمَّام حسَّان في العامل النحوي ٨٦٣
حفل تأبين الأستاذ عاصم البيطار رحمه الله: ٦٨٥
كلمة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام – رئيس مجمع اللغة العربية ٦٨٦
كلمة الأستاذ الدكتور علي أبو زيد – وكيل جامعة دمشق ٦٩٣
كلمة الأستاذ الدكتور عبد الكريم الأشتر ٦٩٦
كلمة الأستاذ الدكتور أيمن الشَّوا – طلاب الفقيد ٧٠١
كلمة الأستاذة ندى عاصم البيطار– نجلة الفقيد ٧٠٧
حول تحقيق «محاضرات الأدباء» للراغب الأصفهاني ٢٠١
رأي في تيسير مبحث الممنوع من الصرف ٧٣١
دراسة وتحقيق حول فاء السببيّة ٧٥٧
الدلالة التاريخية للشعر، ظاهرتا الغزل والنقائض في القرن الأول ٥٠٥
الشرق والغرب والتواصل بينهما ٢٤٧
شعر إدريس بن اليمان (القسم الأول) ٨٢٩
الشيخ إبراهيم المنذر ٩٢٩
عبد الله بن أيوب التيمي ١٩٣
العربية لغة العلم ٥٤٧
علاّمة الشام أحمد راتب النفاخ ٤٢١
العلامة الكبير الدكتور محمد السويسي ٦٥١
فهرس أصحاب المقالات في مجلة اللسان العربي (١–٤٧) (ق٦) ٣٦٧
فهرس الجزء الأول ٢٤٤
فهرس الجزء الثاني ٤٩٦
فهرس الجزء الثالث ٧٢٦

فهرس الجزء الرابع ٩٤٢
فهرس المجلد الثمانين ٩٤٣
فهرس موضوعات مجلة اللسان العربي من العدد (١-٤٧)(ق٥) ١٣١
قراءة في كتاب من اسمه عمرو من الشعراء ٦٦١
كتاب المثلث لابن حبيب ٩١٥
الكتب والمجلات المهداة في الربع الرابع من عام ٢٠٠٤ ٢٣٢
الكتب والمجلات المهداة في الربع الأول من عام ٢٠٠٥ ٤٨٥
الكتب والمجلات المهداة في الربع الثاني من عام ٢٠٠٥ ٧١١
الكتب والمجلات المهداة في الربع الثالث من عام ٢٠٠٥ ٩٣٧
مصطلحات من ألفاظ الحضارة ٦٧٧
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٢١) ١٦١
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٢٢) ٣٩١
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٢٣) ٦٢١
معجم مصطلحات الصيدلة والعقاقير (ق ٢٤) ٨٨٥
مفهوم الغرض في الشعر العربي ١٠٩
مقامات الحريري والدراسات اللغوية ٧٧٧
ملامح الثقافة العربية الإسلامية في كتاب كليلة ودمنة ٥٦٣
من مواضع تيسير النحو، وحلول مقترحة ٧٤١
نبوغ الإيرانيين في الشعر العربي ٥٢٩
نزار قباني والنثر، رثاء ولده توفيق نموذجًا ٥٩٧
نظرات في الشعر الجاهلي (الشاعر الجاهلي في مواجهة الموت) ٣
نظرات لغوية ٤٩٩
نور الدين محمود في شعر معاصريه ٢٧٥
واو الثمانية ٨٠٧